فبراير (شباط) ١٩٩٢ - شعبان ١٤١٢

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest February '92 N° 159

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

أمراض تحيّر الأطباء
(ص ٥٩)

الجنس على طريقة عمر الخيّام
(ص ١٤)

الوجبات الخفيفة تخفض الوزن
(ص ٩)



(ص ٧٦)



مجـــلة شهـريّــة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف: ٣٥٠٧٦٠/٣٧٠٥٧٥

الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف (١)٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤

التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ – فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575

Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O.Box 11-688, Beirut, Lebanon.

Telex 43283 PRESSE LE. FAX (1) 864572. Tel (1) 216058/327484

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

February '92 N° 159 (New Series) Vol. 14

ريـــدرز دايجســـت

المؤسسان. دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعاتـــ الدوليّـــة

رئيس التحرير: كنيث توملنسون. مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

لبنان ١٥٠٠ل – سورية ٧٥ل – الأردن ١د – الكويت ١د – الامارات العربية المتحدة ١٠د – قطر ١٠ر – البحرين ١د
السعودية ١٢ر – مصر ٢ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – الجمهورية اليمنية ٢٥ ر – مسقط ١ ر – قبرص ١٫٥ ج
تونس ١د – المغرب ١٠د – الجزائر ٧د – انكلترا ١٫٥ج – اليونان ٤٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د



- ليس المهم، في النتيجة، نوع السلاح المستخدم وانما الجهة التي قاتلنا الى جانبها.
  غ.ك. تشسترتون، كاتب وناقد بريطاني

- أسوأ السجون قلب مغلق.
  ي.ب.ث.

- لقد واجهتُ من المشاكل مع ذاتي أكثر مما واجهت مع أي انسان آخر.
  دوايت مودي

- لا شيء يجعل المرأة أكثر جمالا كايمانها هي بأنها جميلة.
  صوفيا لورين، ممثلة ايطالية

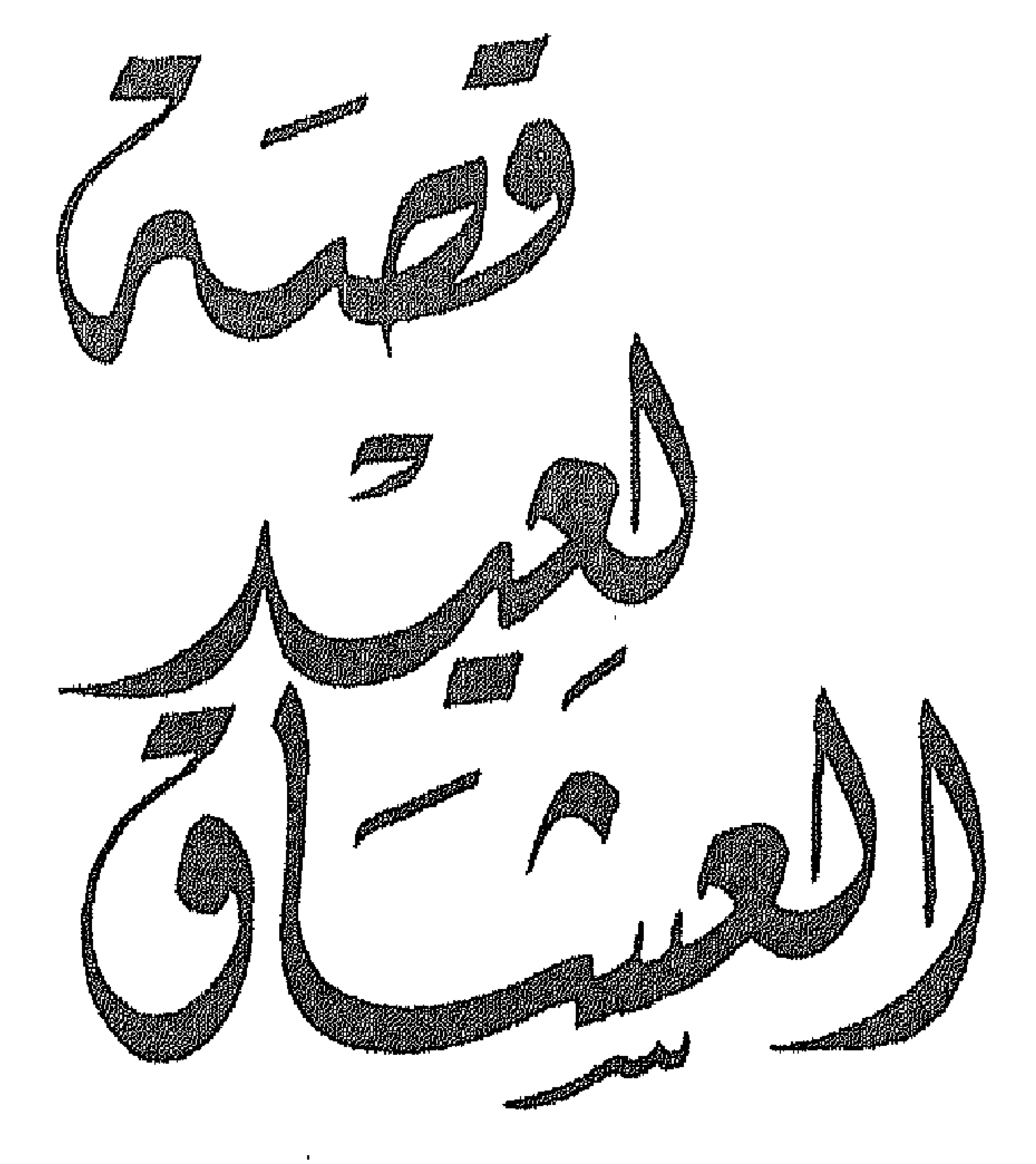
- قد تقي العثرة من سقطة.
  مثل انكليزي

- الخوف هو الغرفة المظلمة حيث تظهر السلبيات.
  أ.ل.

- تضعف القوانين العبثية مفعول القوانين الضرورية.
  مونتيسكيو، فيلسوف فرنسي

- ليست هناك أسئلة غبية، ولكن هناك اجابات غبية.
  مارشال لوب

- لم تدعم حكومة مشروعاً الا بالمقدار اللازم لازاحته من طريقها.
  هنري ديفيد ثورو، كاتب أمريكي



الرابع عشر من فبراير (شباط)
عيد العشاق
هنا قصة لهذه المناسبة

كان لاري وجوان زوجين عاديين. عاشا في منزل عادي يقوم في شارع عادي. وككل الازواج العاديين، جهدا لتأمين متطلبات الحياة ومنح أولادهما جواً عائليا مناسبا.

كانا عاديين أيضا في ناحية أخرى، اذ كانت لهما نزاعاتهما. وكانت معظم أحاديثهما ملامات على أخطاء في حياتهما الزوجية.

... الى أن جاء نهار، ووقع حادث خارج جداً على المألوف.

قال لاري لزوجته: "أتعرفين يا جوان أن لدي أدراجا سحرية كلما فتحتها وجدتها ملأى بجوارب وثياب داخلية؟ أريد أن أشكرك لانك داومت على ملئها طوال هذه السنين."

حدقت جوان الى زوجها من فوق نظارتيها وسألته: "ماذا تريد يا لاري؟"

فأجاب: "لا شيء، انما أردت أن تعلمي مدى تقديري لهذه الادراج السحرية."

لم تكن المرة الاولى يتصرف لاري بغرابة، لذا لم تعِرْ جوان الحادث التفاتا... الى أن مضت بضعة أيام.

"جوان، شكراً لك لانك أدرجت أرقام كل هذه الشيكات في سجل مصاريف هذا الشهر. لقد سجلت ١٥ رقماً صحيحا من أصل ١٦، وهذا رقم قياسي."

رفعت جوان رأسها غير مصدقة ما تسمع: "لاري، انك دائم التذمر من أخطائي في تسجيل أرقام الشيكات. فماذا غيَّرك الآن؟"

– أبدا، ليس هناك من سبب. أردت فقط أن تعرفي أنني أقدر الجهد الذي تبذلين.

هزت جوان رأسها وعادت الى الثوب الذي كانت ترتقه مهمهمة: "وَيْلي، ماذا حدث لهذا الرجل؟"

ولكن عندما دفعت جوان شيكا في اليوم التالي راجعت دفتر الشيكات لتتأكد من أنها أدرجت فيه الرقم الصحيح. وتساءلت: "لماذا اهتم فجأة بأرقام الشيكات السخيفة؟"

حاولت جوان تناسي الحادث، لكن تصرفات لاري ازدادت غرابة. فهو قال لها ذات مساء: "جوان، كان العشاء رائعا. انني أقدر لك كل هذا الجهد. لا بد من أنك أعددت أكثر من ١٤ ألف وقعة لي وللاولاد خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة."

ثم: "رائع! جوان، البيت رائع! لقد بذلت جهداً كبيراً لجعله يبدو جميلا."

و: "شكراً يا جوان لأنك أنت. انني أنعم برفقتك فعلا."

بدأت جوان تشعر بالقلق يتأكلها، وراحت تتساءل: "أين تهكمه؟ وانتقاداته؟"

وأكدت ابنتها شيلي (١٦ عاما) مخاوفها عندما هرعت اليها قائلة: "أماه، لقد جُنّ أبي! فهو قال لي انني أبدو جميلة. قال لي ذلك على رغم كل هذه المساحيق على وجهي وهذه الثياب البالية التي أرتديها. هذا ليس أبي. ماذا حدث له يا أماه؟"

لم يُشف لاري من دائه، ودأب على ابراز الايجابيات يوما بعد يوم. واعتادت جوان تصرفات زوجها الغريبة، ووجدت نفسها تمنحه أحيانا "شكرا" بخيلة. وكانت فخورة بشجاعتها في مواجهة تلك الغرائب والعجائب، الى أن حصل ذات يوم أمر تركها مربكة تماما.

قال لاري: "جوان، أريدك أن تمنحي نفسك اجازة من عمل البيت. سأتولى أنا جلي الصحون. أرجوك، دعي تلك المقلاة وغادري المطبخ."

صمتت جوان طويلا ثم قالت: "شكرا لك لاري، شكراً جزيلا."

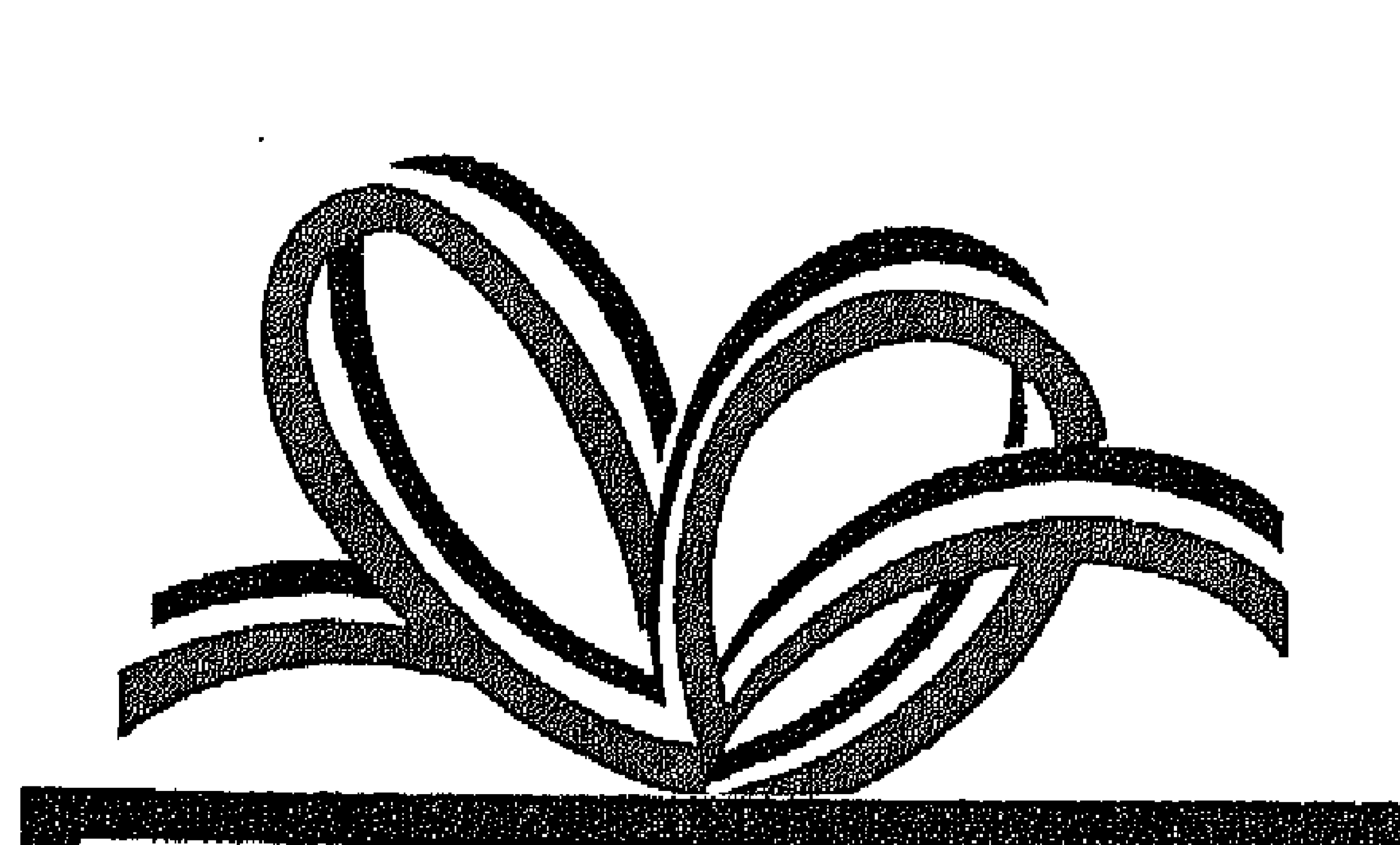
لقد صار خَطْو جوان أخفّ وثقتها بنفسها أكبر. وصارت بين فينة وأخرى تدندن لحنا. وبدا أنها لم تعد تعاني حالات كآبة هذه الايام. وفكرت: "يبدو انني أحب طريقة لاري الجديدة."

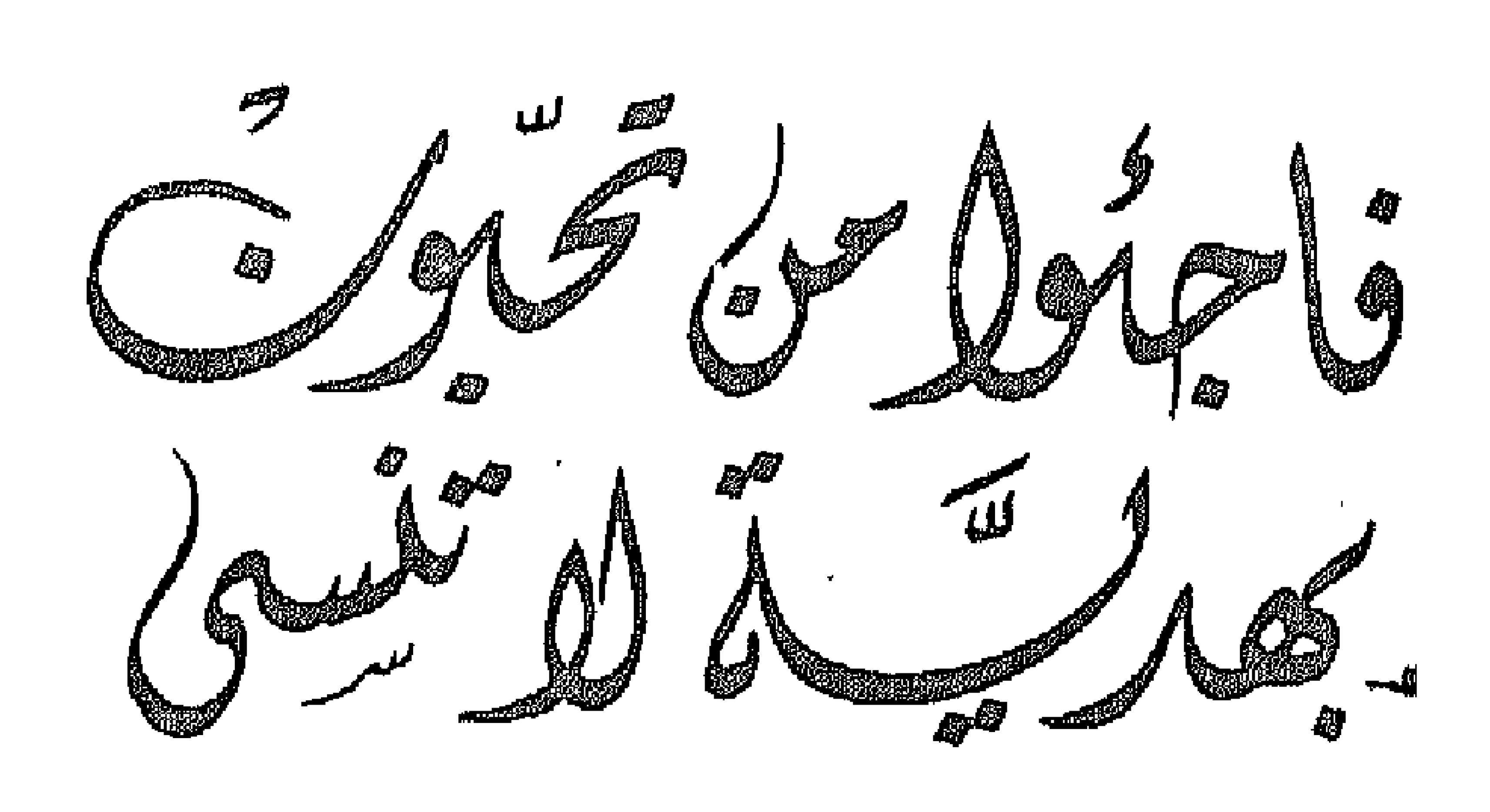
كان من الممكن أن تنتهي القصة هنا، لو لم يحدث أمر آخر خارج بكليته على المألوف. وكانت جوان هي التي "فعلتها" هذه المرة.

"لاري، أريد أن أعبر لك عن امتناني للجهد الذي بذلته كل هذه السنوات من أجل تأمين متطلبات حياتنا. أظن أنني لم أخبرك من قبل بمدى تقديري لذلك!"

لم يكشف لاري قط سبب التحول المثير في تصرفه، على رغم محاولات جوان استنطاقه الجواب. وغالب الظن أن هذا التحول سيبقى أحد ألغاز الحياة. لكنه لغز يسعدني أن أحيا به.

جوان لارسن ■





تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار)
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد وذكرى الزواج وعيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١/١/١٩٩٢ و٣١/١٢/١٩٩٢ فما عليكم الا ملء القسيمة بخط واضح باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut-Lebanon
(Telex 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex International Courier
P.O.Box 3841, Deira-United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare-France

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______________

____

عنوانه ______________

____

المناسبة وتاريخها ______________

توقيع المهدي ______________

مع أخلص تمنياتنا

Reader's Digest
المختار
فبراير (شباط) ١٩٩٢
شعبان ١٤١٢
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

القوام الرهيف والصحة الجيدة يتطلبان أمرين: غذاء صحياً ورياضة

أحسنوا اختيار وجباتكم الخفيفة

يتذكر جوناثان روبنسون (٣٨ عاما) وجبات خفيفة[١] كان يتناولها، وكأنه يستعيد ذكرى أصدقاء حميمين: دجاج مقلي، وفطائر، وكعك محلى... ويشغل روبنسون اليوم منصب نائب رئيس شركة للتسويق، وكان تعرَّض عام ١٩٩٠ لضغوط عمل جديدة، وخلال ١٢ شهراً زاد وزنه سبعة كيلوغرامات قال إن معظمها عائد الى تناوله وجبات خفيفة. واذ أصبح وزنه ١٠٥ كيلوغرامات أدرك أنه تخطى الحد المناسب لطوله البالغ ١٩٥ سنتيمتراً.

ولانقاص وزنه، لجأ روبنسون الى تناول وجبات غذاء أخف استثنى منها اللحم الأحمر كليا. وعدَّل نوعية الاطعمة التي يتناولها بين الوجبات على نحو صارم، فبدلا من تناول "الأطايب" الغنية بالمواد الدهنية راح يأكل الفاكهة والخضر واللبن والبسكويت المصنوع من الدقيق الكامل والفشار الخالي من الزيت. ولم تمض ستة أسابيع حتى نقص وزنه سبعة كيلوغرامات، كما استطاع خلال صيف ١٩٩١ إنقاص وزنه خمسة كيلوغرامات أخرى.

يقول روبنسون: "سهَّلت عليَّ الوجبات

(١) الوجبات الخفيفة (snacks) هي تلك التي يتناولها المرء بين الوجبات الرئيسية الثلاث، كالشطائر والحلوى والبسكويت والشوكولاتة.

ILLUSTRATIONS: CATHY O'CONNOR

الخفيفة المدروسة والحمية المتوازنة مهمة انقاص وزني وابقائه منقوصا."

وتلفت ماري أبوت هيس، رئيسة الجمعية الامريكية لانظمة الحمية، الى أن "الناس يتحولون بسرعة الى اتباع الوجبات الخفيفة نظاما لأكلهم. ويعكس هذا التحول تغيرات أساسية في مجتمعاتنا، بينها ازدياد عدد الامهات العاملات وتسارع نمط الحياة وتوافر الاطعمة الجاهزة."

وقد أظهرت الأبحاث الطبية أن الوجبات الخفيفة، اذا ما حُضِّرت على نحو صحيح، تزيد الناس عافية وتساعدهم في ضبط وزنهم. وفي دراسة حديثة أجريت في جامعة كورنيل، طلب من ١٣ امرأة تناول ما شئنه من ٤١ صنفا من الاطعمة القليلة الدهن في الوجبات الرئيسية والخفيفة. فخسرن ما معدله ٢،٥ كيلوغرام خلال ١١ أسبوعا.

وأجرى الدكتور ديفيد جنكينز، أستاذ العلوم الطبية والغذائية في جامعة تورنتو بكندا، دراسة جاءت نتائجها غير متوقعة. فخلال فترتين امتدت كل منهما أسبوعين، تناول سبعة رجال الطعام الصحي ذاته. في الفترة الاولى تناولوا وجبات فطور وغداء وعشاء. وفي الفترة الثانية تناولوا الطعام ذاته مقسوما ١٧ وجبة صغيرة. وعندما فحص الباحثون دم هؤلاء الرجال، وجدوا أن الحمية القائمة على الوجبات الصغيرة خفضت نسبة الكولسترول الاجمالية بمعدل ٨،٥ في المئة. وأهم من ذلك أن كولسترول البروتيين الدهني القليل الكثافة الذي يدعوه الأطباء "الكولسترول السيىء"[٢] انخفض بنسبة ١٣،٥ في المئة. وقد أذهل هذا الهبوط الباحثين.

بيد أن العلوم الطبية بينت سبب هذه النتائج باكتشافها أن وجبات الطعام الكبيرة وغير المنتظمة تمد الجسم بسعرات حرارية (كالوري) تفوق متطلبات التفاعلات المعقدة التي تنظم عمليات الهضم والأيض،[٣] فلا يستهلك الجسم الطعام كله طاقة، ويخزن الفائض في شكل مواد دهنية.

لكن الوجبات الخفيفة لا تناسب الجميع، ولاسيما أولئك العاجزون عن مقاومة ميلهم الى الطعام غير المناسب. غير أننا، بغالبيتنا، نستطيع تناول وجبات خفيفة تتيح لنا ضبط وزننا والتمتع بصحة جيدة، ان اتبعنا ما يوصي به خبراء التغذية:

١. تجنبوا معظم الوجبات الخفيفة المصنعة.

درج لاعب كرة السلة بيل ماركهام طوال سنوات على التهام مصبعات السكاكر (بونبون) ورقائق البطاطا وأطعمة

(٢) Low-density lipoprotein cholesterol «LDL»
(٣) Metabolism

أخرى ذات قيمة غذائية متدنية. ولم تكن هذه الوجبات الخفيفة الزاخرة بالسعرات الحرارية تسبب له أي مشكلة خلال مواسم اللعب. غير أن وزنه كان يزيد كل صيف نحو ٤،٥ كيلوغرامات، ولدى بدء تمارين الخريف كان هذا الرياضي يشعر بالكسل والبلادة.

وفي العام ١٩٩٠، وكان ماركهام في الثانية والعشرين من عمره، ألغى جميع الوجبات الخفيفة واكتفى بثلاث وجبات صحية يومياً علّه يوقف دورة زيادة الوزن الموسمية التي عاناها. لكنه كان يظل جائعاً، ولم يقو على مقاومة اغراء مصبعات السكاكر. وأخيراً لم يجد بداً من اللجوء الى الاختصاصية بالتغذية المسؤولة عن فريقه، فقالت له: "أنت تتناول الوجبات الخفيفة غير المناسبة." واقترحت عليه ابدالها باللبن والفاكهة والشطائر المنزلية الصغيرة. فوجد ماركهام في النظام الجديد متعة، وتمكن للمرة الاولى من المحافظة على وزنه خلال الصيف.

يحذر خبراء التغذية من أن كثيراً من هذه الاطعمة السريعة يمد الجسم بسعرات حرارية باطلة على حساب المغذيات الضرورية، مع أن لا مانع من تناول بعضها.

٢. خططوا للوجبات الخفيفة كما تخططون للوجبات الرئيسية.

جاكي برنينغ مستشارة في شؤون التغذية لدى فريق "دنفر برونكوس" لكرة القدم، وهي تحض اللاعبين على اختيار وجبات خفيفة غنية بالمغذيات، وهذه أطعمة قليلة الدهن عموما وتوفر معظم الفيتامينات والمواد المعدنية مع أقل مقدار ممكن من السعرات الحرارية. وهي أيضا أطعمة نوعية تماثل ما نأكله عادة خلال الوجبات الرئيسية. وتقول برنينغ إن مصبعات السكاكر ليست وجبة عشاء، كما لا يجوز تناولها كوجبة خفيفة. ويفضل عليها تناول قطعة خبز مكسوة بطبقة رقيقة من الزبدة.

وتقول مارلين ديسالفو الاختصاصية بالتغذية السريرية: "لا تركزوا اهتمامكم على الاطعمة التي لا يناسبكم تناولها. واحتفظوا بالاطعمة المحللة في منازلكم وفي أدراج مكاتبكم. فاذا وجدتم في متناولكم أطعمة خفيفة صحية، فهذا ما ستأكلونه."

وقد أظهر تقرير رسمي أن الوجبات الخفيفة تؤمن نحو ٢٠ في المئة من السعرات الحرارية اليومية. ويرى الخبراء أن الافادة الفضلى من السعرات الحرارية المستمدة من الوجبات الخفيفة تحصل بالتوفيق بين هذه الوجبات والحاجات الغذائية.

وعلى سبيل المثال، إن اكثر ما يفيد الأطفال في مرحلة ما قبل الدراسة هو تناول قطع صغيرة من اللحم والدجاج والفاكهة ورقائق الذرة الجافة (كورن

فلايكس) والبسكويت الهش والخضر المطبوخة قليلا ومشتقات الحليب.

أما المراهقون فلا يحصلون، غالبا، على كفايتهم من الكلسيوم وفق نظامهم الغذائي العادي. لذلك فان الحليب واللبن والبيتزا وشطائر لحم البقر الهبر وشرائح الجبن المحمصة هي خير اختياراتهم.

ويحتاج المسنون الى نماذج معدلة من طعام المراهقين، غنية بالكلسيوم وقليلة الدهن. وعليهم أيضا تضمين نظامهم الغذائي الدجاج وسمك التن لاحتوائهما على البروتيين والحديد والزنك والفيتامين "ب"، كذلك الحلوى المصنوعة من دقيق الشوفان والبسكويت الهش المصنوع من دقيق القمح الكامل والخضر النيئة الغنية بالفيتامينين "أ" و"ج".

٣. وقتوا وجباتكم الخفيفة بدقة.

تقول أليشا موغ - ستالبرغ الباحثة في أنظمة الحمية بكلية الطب التابعة لجامعة نورث - وسترن في شيكاغو: "كلوا عندما تجوعون لا عندما تشير الساعة الى وقت الاكل."

وتفيد افلين تريبول الاختصاصية بأنظمة الحمية أن الكبد تستنفد مخزونها من الكربوهيدرات التي يحولها الجسم سكرا في الدم، بعد مرور أربع الى ست ساعات على تناول الطعام. وقد تشعرون عندئذ بالتعب أو بالصداع. ولكي تحافظوا على مستوى طاقتكم، لا تمضوا أكثر من خمس ساعات من دون تناول وجبة خفيفة.

كشفت دراسة غذائية حديثة أن تناول وجبة خفيفة بعد الظهر يحسن القدرات الذهنية. وقد حلل الباحثون القدرات الذهنية لثمانية تلاميذ تناولوا بعد الظهر وجبة خفيفة غنية بالطاقة الحرارية، ثم قارنوا أداءهم الذهني بعدما أبدلوا الوجبة الخفيفة بمشروب مرطب خال من السعرات الحرارية (دايت) ومن الكافيين. فتبين أن أداء التلاميذ بعد تناولهم الوجبة الخفيفة كان أفضل بنسبة راوحت بين ٢٠ و٣٠ في المئة في اختبارات الذاكرة والتركيز. ويرى الباحثون أن الوقت الامثل لتناول وجبة خفيفة بعد الظهر هو بين الثالثة والرابعة.

٤. انتبهوا الى ملصقات الأطعمة الخفيفة.

درج طبيب نفساني على تناول عصير عنب معلب في فترة استراحته الصباحية. وهو أخبر زميلته جين نيومارك الاختصاصية بأنظمة الحمية: "تحوي هذه العلبة ٩٠ سعرة حرارية فقط!" فنظرت نيومارك الى ملصق العلبة وهزت رأسها: "انها تحوي ٩٠ سعرة حرارية في الحصة الواحدة. لكن الملصق يفيد أنها تحوي حصتين!"

لذا تتوجب قراءة ملصقات الأطعمة بدقة. وتقترح نيومارك. اختيار وجبات خفيفة تتضمن كل حصة منها:

صوديوم: ٢٥٠ مليغراماً أو أقل.

دهن: ٣ غرامات أو أقل في كل ١٠٠ سعرة حرارية.

ألياف: بين ٤ و٥ غرامات.

وتنبهوا للألاعيب. فالسلعة التي دونت على ملصقها عبارة "خفيف" لا تحتوي بالضرورة على سعرات حرارية أقل. فقد تكون أخف من ناحية اللون أو التركيب أو النكهة! والوجبات الخفيفة التي يروج لها على أنها "خالية من الكولسترول" لا تخلو دائماً من مواد دهنية، فهي لا تحتوي على دهن حيواني، لكن كثيراً منها يحتوي على نسب عالية من الدهن النباتي المشبع[٤] الذي يزيد الكولسترول.

٥. اقرنوا الوجبات الخفيفة بالرياضة.

توالت السنون وديفيد وجودي توليت مواظبان على تناول وجبات خفيفة. ونادراً ما كانا يمارسان الرياضة. ولكن عندما زاد وزن جودي كثيراً فبلغ ٧٢ كيلوغراماً، وبلغ وزن ديفيد ١٠٣ كيلوغرامات، قرر الزوجان تغيير نمط حياتهما. فباشرا في شهر فبراير (شباط) ١٩٩١ برنامجاً تضمن المشي مدة ساعة ثلاث مرات في الاسبوع، وتناول وجبات صحية. فتخلصت جودي من ١١ كيلوغراماً خلال ١٢ أسبوعاً، وخسر ديفيد ١٤ كيلوغراماً.

يقول الخبراء إن الرياضة والطعام الخفيف الصحيح هما التركيبة المثلى لخفض الوزن. فكلاهما يساعد في ضبط الشهية وزيادة مستوى الطاقة، وكلاهما يزيد مستوى الأيض أي سرعة الافادة من الطعام. وكلما تناولتم طعاماً غنياً بالكربوهيدرات أحرقت عملية الهضم نحو ١٠ في المئة من السعرات الحرارية التي يحويها.

يتفق الاختصاصيون بالتغذية على أهمية الجمع بين الرياضة والاطعمة الخفيفة الصحية، لأن ممارسة التمارين – مهما قلَّت – تمد المرء برضى ذاتي يؤدي به الى اختيار الاطعمة الصحية والوصول الى توازن غذائي يزيده عافية.

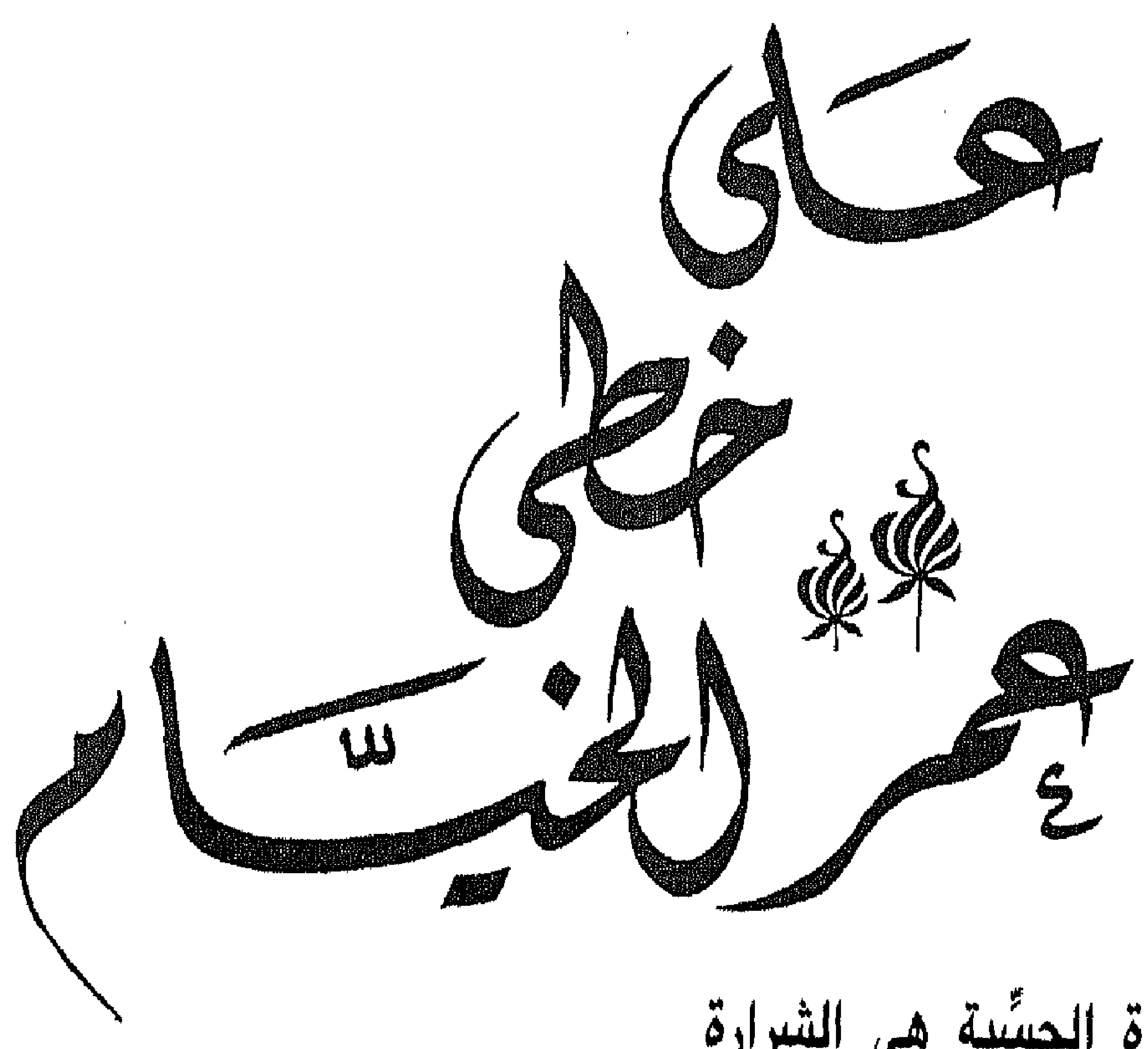
باتريشا سكالكا ■

(٤) Saturated vegetable fat

مصاعد كسولة

المصاعد في كليتنا بطيئة جداً. وفيما انا انتظر وصول أحدها سمعت طالباً يقول: "كان يمكن أن أتخرج في ثلاث سنوات لو أبدلوا هذه المصاعد!"

ك.ج.



الشهوة الحسِّية هي الشرارة التي تبقي نار الزواج متقدة

لم تبخل الحياة على ريتشارد، فهو رئيس دائرة الشرطة في مدينة كبرى، ويتمتع بنفوذ وغنى وشهرة. وله أربعة أولاد من لين، زوجته منذ ست عشرة سنة، وكان زواجهما مثالياً.. أو هذا ما اعتقده ريتشارد.

... الى أن التقى مضيفة جوية تدعى ديان في رحلة عمل. وهو يقول: "كأنما تيار كهربائي سرى بيننا." وانتهت مكالماتهما الهاتفية الى لقاءات، ووقع ريتشارد، قبل أن يعي ماذا يحدث، في شرك علاقة عاطفية محرَّمة. وهو أدرك خطأ ما يفعله، لكنه بدا عاجزاً عن ترك ديان.

واذ أغرق في علاقته الجديدة ازدادت كآبته. وتهاوى زواجه وتعثرت قراراته المهنية وخسر وظيفته في النهاية.

كان ريتشارد يعيش الوهم الذي درج معظم الافلام والاغاني الشعبية الغربية على التلميح اليه: أن فضلى العلاقات الجنسية هي العلاقة المحرَّمة. لكنه تعلّم، وقد دفع الثمن غالياً، أن الافكار

الرومانسية عن هذه العلاقات ليست سوى تخيلات، وأن العلاقات الجنسية خارج مخدع الزوجية هي في الحقيقة طريق الى اليأس لا رجعة فيها.

يرى عدد من الخبراء أن العلاقة الجنسية الفضلى هي العلاقة الزوجية، ما دامت مشبعة بالعنصر السري الذي يتمتع به كثير من الازواج والزوجات السعداء. هذا العنصر هو الشهوة الحسية.[1] وتنصح لوان كول الخبيرة بمعالجة مشاكل الجنس: "اذا رغبتما في اعادة الاثارة الى زواجكما، فاحرصا على تنمية علاقة أكثر حسيّة، وستتمتعان بحياتكما معاً أكثر من أي وقت مضى، بما فيها علاقتكما الجنسية."

والشهـوة الحسية تعني اشـراك الحواس الخمس في المتعة: اللمس والبصر والسمع والشم والذوق. كما تعني، بالنسبة الى أسعد الازواج، ادخال حاسة سادسة هي المرح.

يقول الاختصاصي بعلم النفس بيرني زلبرغلد: "كثيراً ما يخبرني أزواج أن علاقتهم تفتقر الى المرح الذي كان يسود لقاءات ما قبل الزواج. فأنصحهم: افعلوا مثل ما كنتم تفعلون في فترة تعارفكم، تسترجعوا المرح!"

دأب جوي (٤٠ عاماً) وزوجته كارين (٣٥ عاماً) على الاستعانة بحاضنة للعناية بأولادهما لكي يتمكنا من قضاء بعض الوقت في كوخ صيد كلما رغبا في خلوة. وتقول كارين: "يقع الكوخ في غابة جميلة. هناك نأكل ونشرب ونتبادل العواطف الحميمة. نحن نخصص وقتاً نكون فيه عاطفيين، لذا لن نفقد ذلك الشعور اللذيذ بأننا مراهقان مغرمان."

والمرح قد "يكسر الجليد" في الاتصال الجنسي. تشاجر مايكل وبربارة قبل بضع سنوات، وكانا كلاهما في السابعة والثلاثين من العمر، ثم سافر مايكل في رحلة عمل. ورغبت بربارة نادمة في اشاعة جو من المرح على لقائهما بعد عودته، فطبعت عدداً من الاسئلة على بطاقات، كان بعضها من نوع: ماذا يحب واحدكما في الآخر؟ وألمحت أسئلة أخرى الى حركات وذكريات مرحة.

وعندما عاد مايكل مساء بعد أيام وجد أضواء غرفة الجلوس خافتة والنار مشبوبة في الموقد. وشرحت بربارة "اللعبة" لزوجها ثم راحا يسحبان البطاقات، كل بدوره، فيجيب الواحد منهما عن السؤال أو ينفذ التعليمات التي تضمنتها البطاقة.

ويستذكر مايكل أن "اللعبة التي أعدتها بربارة كانت تجربة رائعة، اذ ساعدتني على تلمّس كل الايجابيات في علاقتنا، وهي أمور كنت نسيتها في دوامة الحياة اليومية."

كما أثارت اللعبة توق الزوجين الى الجنس.

وليس مهماً كيف تلهوان معاً. يفضل بعض الازواج عشاء على ضوء الشموع، فيما يحب آخرون مشاهدة مباراة أو السير في نزهة. المهم أن يركز كل واحد

(١) Sensuality

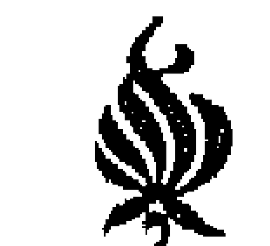
تفكيره على الآخر وينأى عن كل ما يلهي.

وما ان تسترجعا شعور المرح حتى تصبحا قادرين على اكتشاف الطرق التي تغني بها الحواس الخمس سعادتكما:

اللمس: يفاجأ الخبراء، لدى سؤالهم الازواج عن نوع العلاقة الجسدية التي يتشوقون اليها مع شركائهم، أن معظمها غير مرتبط بالجنس. تقول الاختصاصية بعلم النفس السريري ستيلا رزنيك: "يرغب الناس في العناق والقبل ساعة الفطور وبعد العمل. انهم يتشوقون الى الاحساس بتمريرة ذراع على الكتف وبتدليكة للعنق أو الظهر. وكل هذه جزء من حاجتنا العميقة الى التمتع بعلاقة جسدية حميمة."

يعتقد بعض الازواج أن اللمس الشهواني لا بد من أن يقود الى الجماع. لكن الامر ليس كذلك بالضرورة. لنأخذ الرقص مثلا: انه عملية شهوانية حسية لكنه ليس عملية جنسية. يقول زلبرغلد: "كثيراً ما يقاوم الرجال اللمسات التي لا تقود الى غاية. وأنا أقترح عليهم محاولة تبادل فرك الظهر وتدليك القدمين."

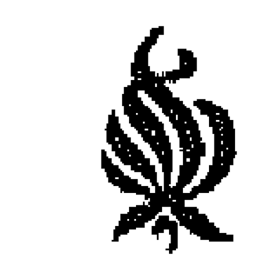
ويستحثّ اللمس الشهوة الحسية من طريق اطلاق الاندورفينات،[٢] وهي افرازات كيميائية ترفع الاحساس بالسعادة. وقد يخفض العناق ضغط الدم ويُشعر الناس بأنهم أكثر هدوءاً وسعادة. تقول الدكتورة تيريزا كرنشو من سان دييغو: "يحس الازواج الذين يستمتعون باللمس أنهم في حال أفضل لانهم، طبياً، في حال أفضل. كما أن قدرة اللمس على تخفيف حدة التوتر قد تمهد لممارسة جنسية ممتعة."



البصر: جرّبا أولاً لغة العيون. تقول شيرلي زوسمان المستشارة في شؤون العلاقات الجنسية والزوجية: "لا بد أنكم سمعتم عبارة: ان عشقنا فعذرنا أن في وجهنا نظراً. النظرات المتبادلة هي عملية شهوانية حسية جداً."

كذلك بصيص نار الموقد وضوء الشموع.

يبحث ستيف ونانسي عن مكان منعزل عندما يرغبان في قضاء وقت حميم. وتقول نانسي: "الاطار الطبيعي مهم. قد تسعدنا تمضية أوقات في كوخ صغير يطل على مناظر خلابة، لكن النار المستعرة في موقد هناك هي ما يضفي جواً حالماً على جلستنا."



السمع: احتلت الموسيقى المرتبة الاولى بين مثيرات الشهوة الجنسية، اذ أعلن ثلاثة أرباع الازواج المشاركين في دراسة أن الموسيقى تستثير رغبتهم في ممارسة الجنس.

(٢) Endorphins

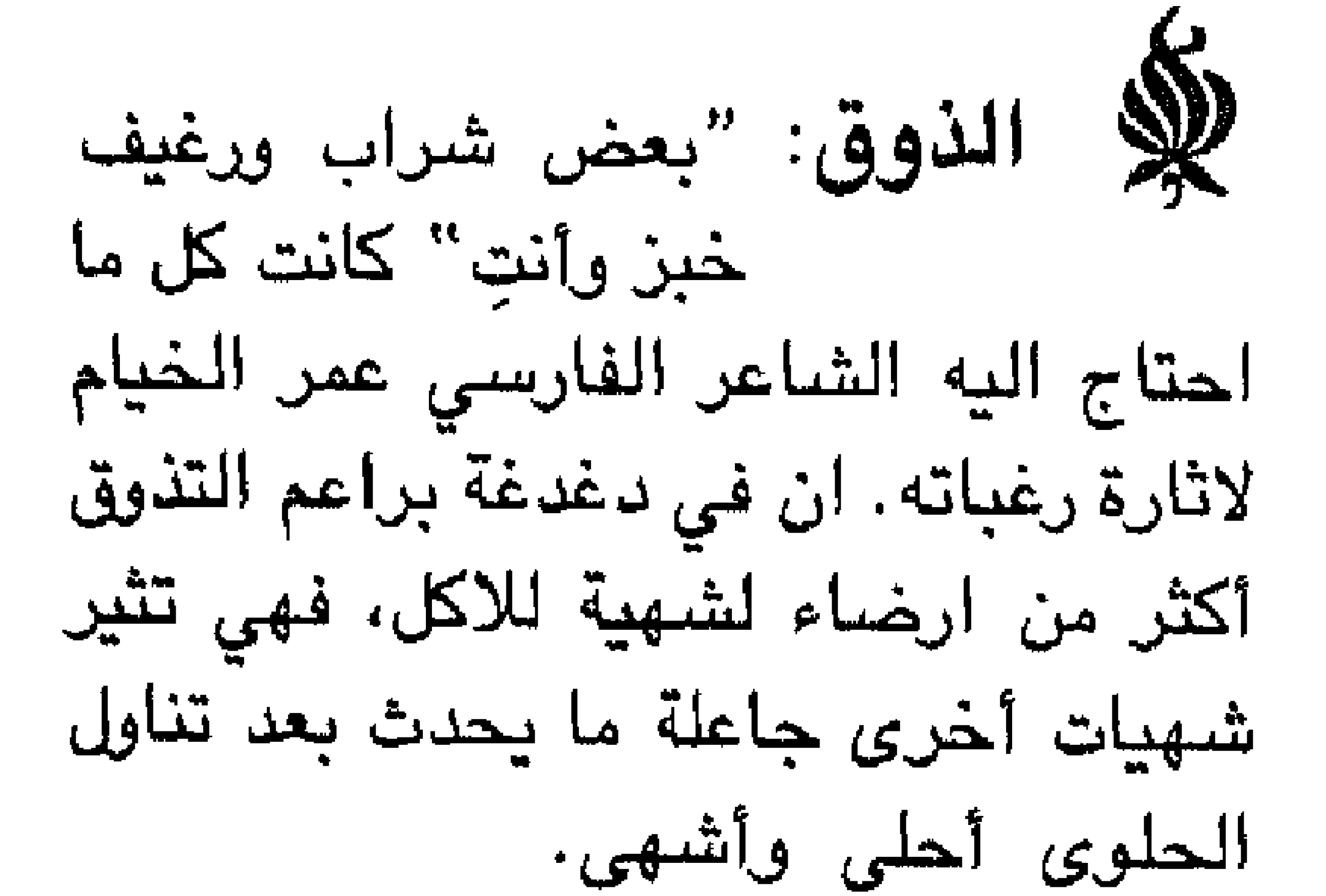
نشأ جوي وكارين في عصر الروك اند رول، لكن كارين انصرفت قبل سنوات الى الاهتمام بالموسيقى الكلاسيكية. ولم تلقَ هذه الموسيقى اهتماماً من زوجها، الى أن بدأت تضع تسجيلاً لموسيقى رافيل أثناء ممارستهما الجنس. تقول كارين: "لا يزال جوي يحب موسيقى الروك، لكنه صار يستثار كثيراً كلما استمعنا الى مقطوعة البوليرو."

ولا تنتقصا من الامكانات الشهوانية الكامنة في أصوات أخرى مثل تكسّر الامواج على الشاطىء أو خرير السواقي أو الهمسات الحالمة. تجد آمي (٣٣ عاماً) صوت انهمار المطر مثيراً لانه يذكرها بالسنوات التي عاشتها وزوجها جون (٤١ عاماً) في قارب. كانا ينامان في حجرة تحت السطح، وكان صوت المطر يملأ آذانهما. وهي تقول: "كان ذلك مثيراً حتى أصبح صوت المطر المنهمر يعني شيئاً خاصاً في حياتي."

ولا تستخفّوا بالقدرة الحسية لرسالة مثيرة تترك على آلة تسجيل للمكالمات الهاتفية. كان جون، عندما يعرف أنه سيتأخر في العودة الى البيت، يترك لزوجته رسائل "ذات مغزى" تتضمن معنى أبعد من ساعة وصوله. تقول آمي: "كنت أعرف عندما أستمع الى الرسالة أن جون يفكر فيّ، وذلك ينطوي على اطراء واثارة."

الشم: قد تجترح الروائح العطرية معجزات. تنصح زوسمان باستخدام العطور والورود والصابون والشموع. وتقترح على الازواج زيارة متاجر العطور وأدوات الحمام معاً لانتقاء الشذا الذي يستهويهما.

تهوى كارين أوراق التوت المعطرة والشذا الذي تنشره، وكثيراً ما تستخدم هي وزوجها هذا "العطر" خلال جلساتهما الحميمة. مر الاثنان ذات يوم بمحل يبيع شموعاً معطرة، وصادف أن كانت الرائحة المنبعثة من المحل رائحة توت. وتذكر كارين: "تبادلنا نظرة ذات معنى، ولم يطل بنا الوقت في السوق."



الذوق: "بعض شراب ورغيف خبز وأنتِ" كانت كل ما احتاج اليه الشاعر الفارسي عمر الخيام لاثارة رغباته. ان في دغدغة براعم التذوق أكثر من ارضاء لشهية للاكل، فهي تثير شهيات أخرى جاعلة ما يحدث بعد تناول الحلوى أحلى وأشهى.

حين يستوعب المرء لامحدودية امكانات الشهوة الحسية الزوجية يتضح له سبب قصور العلاقات المحرَّمة عن منح الرضى. فالشهوة الحسية تنشىء علاقات حميمة طويلة الاجل، خلافاً للعلاقات المحرَّمة. وتغذي العلاقة الزوجية الثقة والشعور العميق بالارتياح اللذين يعتبرهما الخبراء حيويين لعلاقة جنسية مشبعة.

وأنتما قادران على اعادة اكتشاف الشهوة الحسية في زواج تظنانه بات مملا. انها هناك، فنمّياها.

وصاحبنا ريتشارد مثال حي. فهو أنهى علاقته المحرَّمة بعد ثلاث سنوات وأنقذ زواجه بأعجوبة، وبات يدير مع زوجته ليز مكتب محاماة. وهما يؤكدان أن علاقتهما أفضل مما كانت أبداً.

كيف استطاع ريتشارد وليز الحفاظ على زواج غني بالاثارة؟ انهما يتعانقان تكراراً، ويمسك الواحد منهما يد الآخر، وكثيراً ما يلهوان أثناء مشاهدة البرامج التلفزيونية. وأحيانا، عندما تكون ليز مشغولة في المطبخ، يفاجئها ريتشارد بمعانقة. وعندما يكون هو متوتر الاعصاب تدلك ليز عنقه وكتفيه.

يقول ريتشارد: "لقد أدت هذه النزعة الحسية الى تجديد حياتنا الزوجية. واذا كان الجنس هو النار في العلاقة، فان الشهوة هي الشرارة التي تبقي النار متقدة."

مايكل كاسلمان ■

التبضّع في القرى

التبضّع في القرى مسالة استهلاك للوقت، فالناس يعرفون بعضهم بعضا في المجتمعات الصغيرة. ويحرص الباعة على سؤال الزبائن عن صحتهم واحوالهم، ما يشكّل مصدر ازعاج للزبائن الغرباء.

أعجبني اعلان رأيته معلقا على واجهة احد المحالّ القروية وقد جاء فيه: "رجاء، لا تستعجلونا، فنحن قرويون. كلّما أسرعنا تاخرنا."

ش.م.

جامعيون

غادرت ورفيقي حرم جامعتنا لحضور مباراة في كرة القدم. وفي الطريق حدثني عن قلقة حول صعوبة ايجاد وظائف في المستقبل بسبب التدهور الاقتصادي. فأكدت له ان ليس لدينا ما نخشاه ونحن خريجا جامعة شهيرة.

ولدى وصولنا الى بوابة الملعب اقترب منا متسول ما ان رأى قميص رفيقي وعليه شعار الجامعة حتى انطلق يغني نشيد جامعتنا. أعطيت الرجل بعض النقود، وفيما نحن نعبر البوابة قال لي رفيقي: "ارأيت؟ ذلك الرجل مثال حي على ما ينتظرنا!"

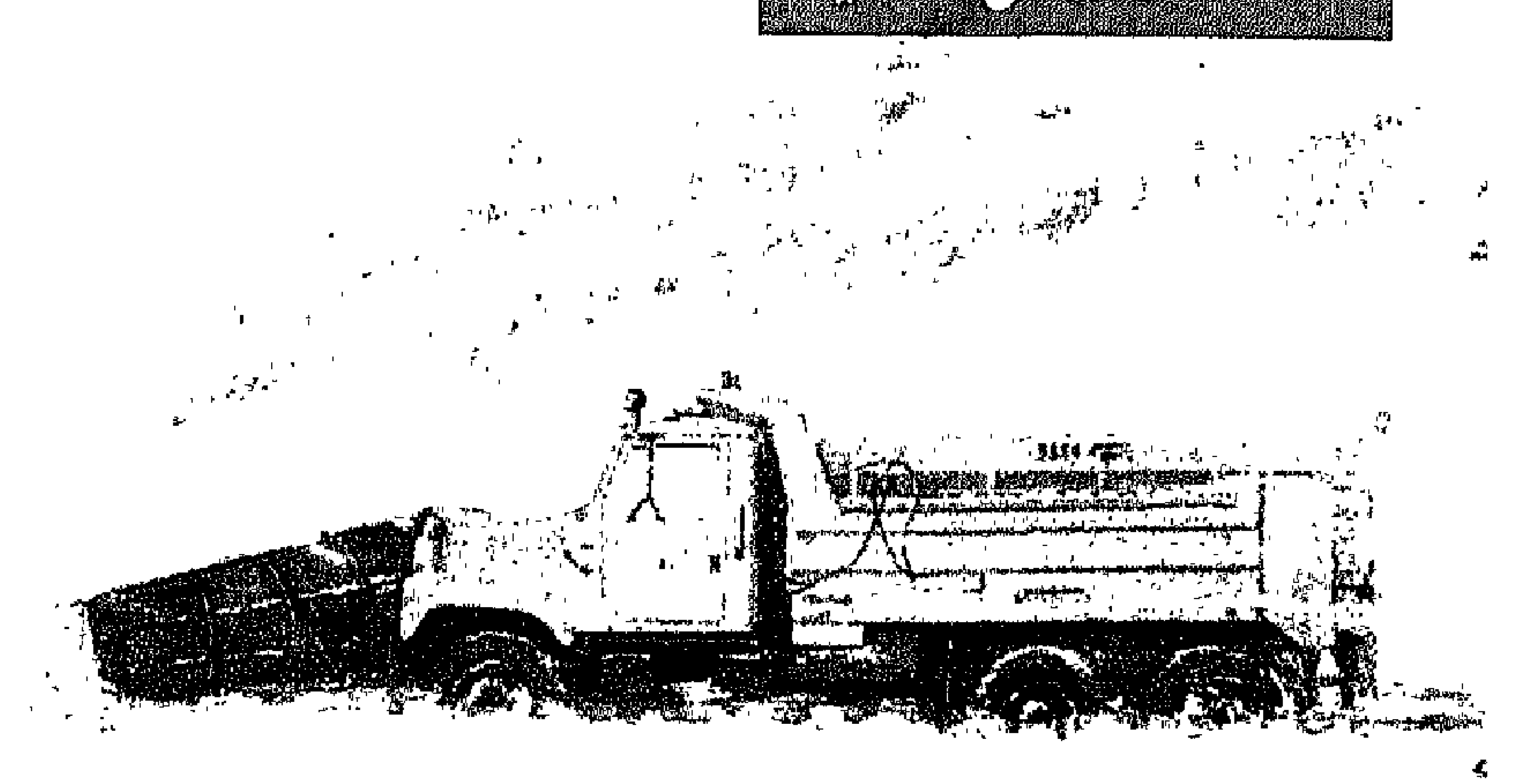
غ.هـ

واحدة فقط!

حاولت جميع الوسائل الممكنة لكي أجعل المربية الجديدة تشعر كأنها في بيتها. مرة تركت لها علبة البسكويت على المائدة. وفي اليوم التالي، حين فتحتُ العلبة، اكتشفتُ داخلها ورقة كنت تركتُها لزوجي الذي يتبع حمية وكتبتُ فيها: "قطعة واحدة فقط!"

ب.و.

قصة من واقع الحياة



علق المنقذ داخل شاحنته التي دفنها الثلج
فقبع ينتظر معجزة تخلصه
من الجدران البيضاء المطبقة عليه

سجين الشَّرنقة البَيضاء

اشتدت قبضة دون فيشر على المقود وهو يقود شاحنته التابعة لمديرية الطرق عبر "ممر تيتون" في ولاية ويومنغ. وكان دون (٦٣ عاما) عمل خلال السنوات الثلاث والعشرين الاخيرة في جرف الثلج الذي يغطي المنعطفات الحادة في الطريق الجبلية الرئيسية بين جاكسون هول بولاية ويومينغ وخط ولاية ايداهو. وكثيراً ما أدى واجبه وسط عواصف عنيفة، لكن العاصفة الثلجية التي هبت يوم ١١ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ هزت شجاعته، اذ كان لا يكاد يجرف الثلج عن الطريق حتى تعود فتبيَضّ في لحظة.

وزاد الأمر سوءاً أن كتل ثلج كانت تسقط على الطريق أثناء عملية الجرف الأولى صباحاً، فأدرك دون أن هذا يعني أمراً واحداً: ثلجاً غير مستقر في الجبل، النذير الاول بانهيال ثلجي.

ILLUSTRATIONS: BILL DODGE



وعلى مسافة ٨٠٠ متر من القمة مر بشاحنة صغيرة وسيارة متوقفتين في الخط الذي كان نظفه لتوِّه. كان سائق الشاحنة يحاول ادارة محرك السيارة المتعطلة. فقرر دون التوقف خلال جولته التالية للتأكد من سلامتهما.

في السابعة والدقيقة الثالثة والخمسين أعلن كبير العمال جاك أوكلي عبر جهاز الارسال قراره اغلاق الممر. فكان رد دون: "عليَّ القيام بجولة أخرى، فهناك سائقان عالقان في أعلى الطريق."

أجابه أوكلي: "كن حذراً، فالطريق خطرة."

زحفت شاحنة دون صعداً عبر الثلج الذي تجمع مجدداً منذ رحلته الأخيرة. وأوقفها عند فسحة جانبية تحت "غلوري بول" وهو واد ضيق يبلغ عمقه ٦٠٠ متر وتحده صخور عمودية شاهقة تعلو الطريق العامة. فتح دون باب الشاحنة في وجه الريح المزمجرة وخوَّض في الثلج الذي بلغت سماكته ركبتيه، ليعاين جرافته. فلاحظ أن الثلج المدوِّم ملأ جوف الجرافة.

وراوده احساس بوجوب التراجع والعودة الى جاكسون هول. لكنه لم يتردد عندما فكر في العربتين اللتين كان رآهما في أعلى الطريق.

وهكذا صعد دون الى شاحنته وتابع طريقه فيما لاح جدار "غلوري بول" فوقه، بثلوجه المهدِّدة، كبندقية محشوة مصوَّبة. ولم يكد ينطلق حتى هبت ريح عاصفة حرفت آليته التي تزن ٢٠ طناً الى



جانبي الطريق. وفي ثوان مزقت عصفةٌ زجاجَ النافذة اليمنى وحاجب الريح الامامي كما لو كانا من ورق.

وفيما أضاءت أنوار المصابيح كتلة الثلج فوق الطريق، رأى دون حافة تتغضن وتنثني فوقه. كانت أطنان من الثلج والحجار تتكتل وتندفع نحوه. داس كابح الشاحنة وحاول تسييرها خلفياً، ولكن بعد فوات الأوان، اذ تدفق الثلج الثقيل عبر النافذة وملأ ركن القيادة وسمّر دون الى مقعده.

وسرعان ما أطاح الانهيال الثلجي الشاحنة ذات العجلات العشر في الهواء كأنها وسادة خفيفة، وانتزع المرايا والمعدن ولوى الجرافة. وغمر الثلج المنهال الشاحنة وقذفها مسافة ٦٠ متراً على المنحدر الثلجي، فاستقرت على حافة واد منقلبة على جانبها الايسر حيث مقعد السائق.

"**انها النهاية.**" حدق دون في الظلام المريع نافضاً الثلج برموشه. وتبين له أنه بات سجين شرنقة جليدية. حاول التركيز على تنفسه، فكل لهاث قصير كان درعاً موقتة ضد الموت، اذ عصر الثلج المتراكم صدره وتضاءلت كمية الهواء المتوافرة. كان يجهل عمق الثلج الذي دفن تحته وأي اتجاه هو الى فوق.

وبعد لحظات رعدت فوق رأسه كتلة منزلقة أخرى، فأيقن أن أحداً لن يتمكن من العثور عليه، اذ لن يُطلب من المنقذين ولوج منطقة متقلقلة كهذه.

وقال دون في نفسه: "هذه هي النهاية اذاً، هكذا سينتهي بي الامر بعد كل هذه السنين." وكان لا يزال يسمع طنين مفتاح اشعال الشاحنة ففكر: "عندما تفرغ البطارية ويتوقف هذا الطنين سأكون أنا أيضاً في عداد الأموات" وما ان ساورته هذه الفكرة حتى قاومها وراح يعمل ذهنه لايجاد وسيلة للخلاص.

لم يكن قادراً على الوصول الى جهاز الارسال لطلب النجدة، فقد كانت قدمه اليمنى عالقة بين دواستي الكابح والقابض (دبرياج) بينما علقت قدمه اليسرى تحت المقعد. ومضّه الألم في ركبته الملتوية فيما كانت يده اليسرى، وراحتها الى أعلى، محشورة بين ركبته اليسرى والمقود.

كان دون رفع ذراعه اليمنى غريزياً لحماية نفسه أثناء سقوط الشاحنة، وها هي الآن محشورة في وضع تحية دائمة قرب لوحة أجهزة القياس. وكان يحرك أصابعه بصعوبة، فشرع يخدش الثلج بأظفاره حتى نزفت أنامله، محاولا كسب فسحة ثمينة لا تتجاوز مساحتها بضعة مليمترات. ومع كل نفس كان يشد قبضته ويرخيها الى أن ذاب الثلج مخلفا تجويفا جليدياً حول يده.

فكر دون في زوجته كولين (٣٨ عاماً) وأولادهما الخمسة، فخيل اليه أن الوقت تجمد أيضاً. كان اعتزم تنظيف مدخل منزلهما من الثلج بعد انتهائه من عمله. وأقلقه أن كولين قد لا تتمكن من جرفه.

وفكر دون في زملائه وفي الرفقة التي

كانت محور حياته بحيث جعلته يتطوع للعمل مجاناً في عطل نهاية الأسبوع. كما تذكر رحلات الصيد الكثيرة برفقة جاك أوكلي.

كم هو متشوق الى رؤية أوكلي في هذه اللحظة!

شكل الثلج الذائب بفعل تنفس دون طبقة جليدية رقيقة على بعد بضعة سنتيمترات من وجهه ليغدو "قناع موت" يمنع عنه الأوكسيجين. وشعر بضيق كأنما صدره محتجز بين فكي ملزمة. وكان الثلج الذائب يقطر على رقبته في نهير جليدي ويبلل لباسه الرقيق. وبدأ دون يرتعش بعنف. واذ نال منه الارهاق الشديد راح يغيب بين نوم ويقظة. سمع أصواتاً آتية من بعيد. وتهيأ له أن والده المتوفى قبل أكثر من عشر سنين يطمئنه: "سوف تنجو!"

جدار من ثلج. هالَ روس موزس أن أحداً لم يتمكن من الاتصال بدون فيشر منذ ما قبل الثامنة صباحاً، وقد صارت الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين، وليس من عادة فيشر التأخر في الاتصال، وهو المعروف بين زملائه بمهارته واحترافيته. وللحال تطوع موزس، وهو سائق جرافة، وتقني اللاسلكي تشاك كاكاليسيك للبحث عن الرجل الذي كان بمثابة أب لسائر أفراد الفريق الذين يصغرونه سناً.

ركب الرجلان شاحنة كاكاليسيك الصغيرة. وفيما هما يتجاوزان لافتات وحواجز تشير الى أن الطريق مقفلة، تابع موزس محاولات الاتصال بدون. وإذ باءت هذه المحاولات بالفشل أيقن الزميلان أن في الأمر سوءاً.

ثم اجتازا المنعطفات الحادة تحت "غلوري بول"، فطالعهما جدار ثلجي بلغ ارتفاعه متراً ونصف متر.

قال كاكاليسيك: "ابق هنا وانصت الى جهاز الارسال. أما أنا فسأصعد للتحقق من احتمال انزلاق في غلوري بول."

التقط كاكاليسيك رفشاً وتسلق حافة الجرف بجهد. فتبين له أن جدار غلوري بول انهار فعلاً. وهو لم ير في بادىء الأمر سوى طبقة بيضاء فوق مجاز الانهيال، لكنه تنبه، اذ ألقى نظرة عن قرب، الى جلاميد وأغصان اختلطت بالثلج. وما لبث أن لاح له شيء أسود... زاوية واقي الصدمات لشاحنة!

هرع كاكاليسيك نحو الشاحنة وشرع يحفر. ثم ألقى نظرة الى أعلى الوادي فلاحظ أن نصف الكتلة الثلجية في جدار "غلوري بول" لا يزال معلقاً فوقه يهدد بالسقوط. فأعمل رفشه في الثلج وقد تملكه الهلع، الى أن أدرك الحفرة المفتوحة حيث كانت النافذة اليمنى لقمرة الشاحنة. فحفر داخلها وهو ينادي دون. وفجأة برزت يد يمنى من الثلج.

فتمتم كاكاليسيك: "يا إلهي، انه حي!" وراح ينشب أصابعه في الثلج متحاشياً استخدام الرفش. ومزق الزجاج المكسور قفازيه وجرَّح يديه فيما هو يحفر ليكشف رأس دون، إلى أن تمكن

من انتزاع الجليد والثلج من حول أنفه وفمه.

عبَّ دون هواء نقياً للمرة الاولى منذ أكثر من ساعة، وتراءى له منظر السماء عبر اطار النافذة المكسورة كمعجزة.

قال: "انني بردان."

فطمأنه كاكاليسيك: "سأخرجك من هنا، وستكون على ما يرام."

تمنى كاكاليسيك لو يصدق هو نفسه الكلمات التي نطقها. فقد كان جلد دون رمادياً، وهو بين الصحو والغيبوبة.

قبضة جليدية. فيما كانت قاذفة الثلج التابعة لمديرية الطرق تشق ممراً عبر الثلج الزاحل في الطريق، كان كاكاليسيك حرر رأس دون وكتفيه. وحين وصل جاك أوكلي وثب هو وموزس فوق الجرف وانزلقا حتى الشاحنة المدفونة. مد موزس يده لالتقاط يد دون. أما أوكلي فلم يحتمل رؤية صديقه عالقا، فزحف عائداً الى شاحنته لطلب النجدة عبر جهاز الارسال وللبحث عن شيء يعينه في الحفر. لكنه لم يعثر إلا على علبة قهوة رماها الى كاكاليسيك. وبدأ الرجلان عملاً منظماً. كان كاكاليسيك يملأ العلبة ثلجاً ثم يمررها الى موزس الذي يفرغها ويعيدها اليه.

وكان أوكلي يراقب عن حافة الجرف متحفزاً لتنبيههما اذا ما بدأت كتلة الثلج تنهال، لكنه كان مدركاً أن الانذار قد يجيء متأخراً.

واستمر الرجلان يملأان العلبة ويفرغانها مرة تلو أخرى بوتيرة مضنية، الى أن تمكنا من تحرير دون الى خصره.

قال كاكاليسيك أخيراً: "حسناً يا دون. سأشبك ذراعي بذراعك وسنحاول جذبك الى الخارج."

لكن المنقذين أخفقا في زحزحة جسم دون المتيبس، وظل الثلج ممسكاً به بقبضة جليدية. ثم عمد كاكاليسيك الى توسيع النفق فاتحاً الباب الايمن وجارفاً الثلج من الداخل فيما موزس ينبش الثلج برفشه من فوق.

وتباعدت فترات صحو دون. وكان منقذاه يحاولان حمله على التحدث كلما أفاق، لكن كل ما استطاعه بضع أنات مبهمة. فأدرك كاكاليسيك وموزس أن صديقهما كان يتجلد حتى الموت.

عزم لا يلين. وصل فريق انقاذ تابع لدائرة الاطفاء في الحادية عشرة صباحاً. وانسل اختصاصي بالمعالجة الطارئة تحت الشاحنة. وجرف العمال حفرة عمقها ثلاثة أمتار أمام الشاحنة ليتمكنوا من سحب دون عبر حاجب الريح. واقتلعوا المقود بواسطة قاطعات هيدروليكية، وأزالوا الثلج عن ساقي دون. واضطر الفريق الى قص جزمته التي شكلت عقبة أخيرة أمام اخراجه.

مدد الرجال زميلهم على لوح خشبي أنزلوه عبر الحاجب الزجاجي، ثم حملوه خارجا الى سيارة اسعاف في الانتظار. كانت الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثامنة، وقد مضى على وقوع الانهيال الثلجي الذي دفن دون نحو أربع ساعات.

تبين لدى وصول دون الى مستشفى سانت جون في جاكسون أن حرارة جسده تدنت على نحو خطر الى ٢٩،٥ درجة مئوية.

وخلال عملية اعادة تدفئة أفاق وهو في حال من الارتعاش الشديد لا يتذكر شيئاً عن تفاصيل انقاذه بعد ذلك النفس الأول من الهواء المنعش. ولم يعثر الأطباء الا على بعض خدوش وكدمات والتواء في ساقه اليسرى ورضة في ذراعه اليمنى.

غادر دون المستشفى بعد يومين. واثباتاً منه لعزيمته الصلبة عاد الى عمله يوم الاثنين التالي، ورافق فريق العمل الذي تولى اخراج شاحنته من الثلج. وهو قال لزملائه: "أنا ممتنّ لكم حقاً. لقد خاطرتم بحياتكم من أجلي، ولا يمكنكم تصور مدى سعادتي لوجودي هنا بينكم وسماعي أصواتكم."

فرد موزس: "ما هذا الهراء؟ نحن لم نفعل شيئاً لم تكن لتفعله أنت من أجلنا."

لم يُعثر على الشاحنة والسيارة اللتين عاد دون لانقاذهما. واستنتج رجال الامن أن السائقين تمكنا من النجاة عبر الطريق الجبلية التي كان دون أنهى فتحها. وأخيراً انتشلت جرافة شاحنة دون من مسافة ١٥٠٠ متر في الوادي الضيق.

تلقى تشاك كاكاليسنيك وروس موزس جائزة تمنحها مديرية الطرق في ويومينغ مكافأة لمن ينجز أعمالا بطولية. وأُصلحت شاحنة دون، وهو يقودها اليوم في ممر تيتون.

جودي س. كلايتون ■



حيلة ناجحة

كان صديقي العجوز يفقد سمعه تدريجاً. رأيته ذات يوم يضع سماعتي رأس موصولتين بمكبر صوت (ميكروفون) مثبت على سترته. فاقتربتُ منه وقلتُ له صائحاً بأعلى صوتي: "أيفيدك هذا الجهاز؟"

أجابني: "نعم، كثيراً." ثم أضاف بشقاوة: "ليس فيه بطاريات، ولكن ما ان يراه الناس حتى يتكلموا معي بصوت عال."

ت.ج.

فأرة في الفخ

حين انتقلنا الى السكن في مزرعة، كان علينا ان نتعود نمط حياة لم نألفه من قبل. وذات مساء عبرت فأرة غرفة جلوسنا واختفت. بحثنا عنها كثيراً فلم نجدها، ولم نعثر على أيّ ثقب يمكن أن تكون ولجته. واصرَّ زوجي على انها لا بد اختبأت داخل احدى علب الألعاب. وهذا ما كان فعلا، لقد اختبأت في صندوق لعبة "فخّ الفئران."

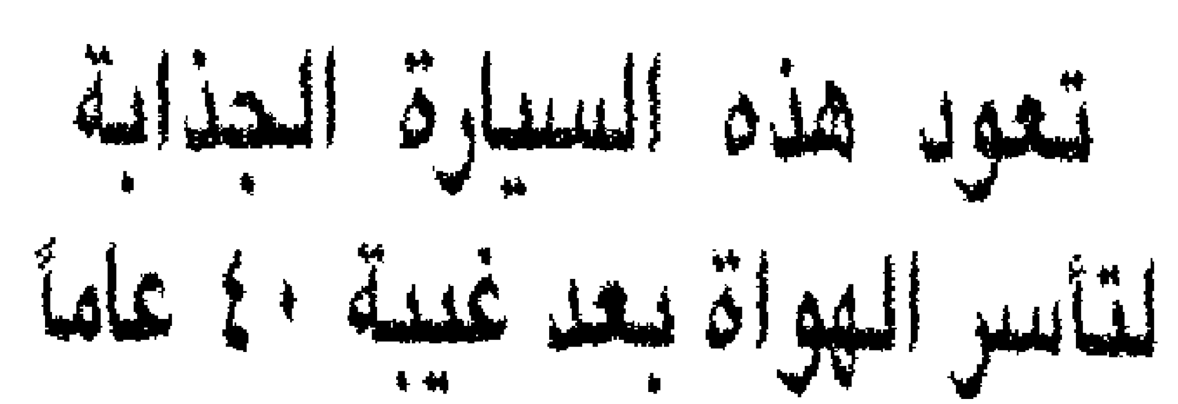
ك.ش.

عَودة البوغاتي

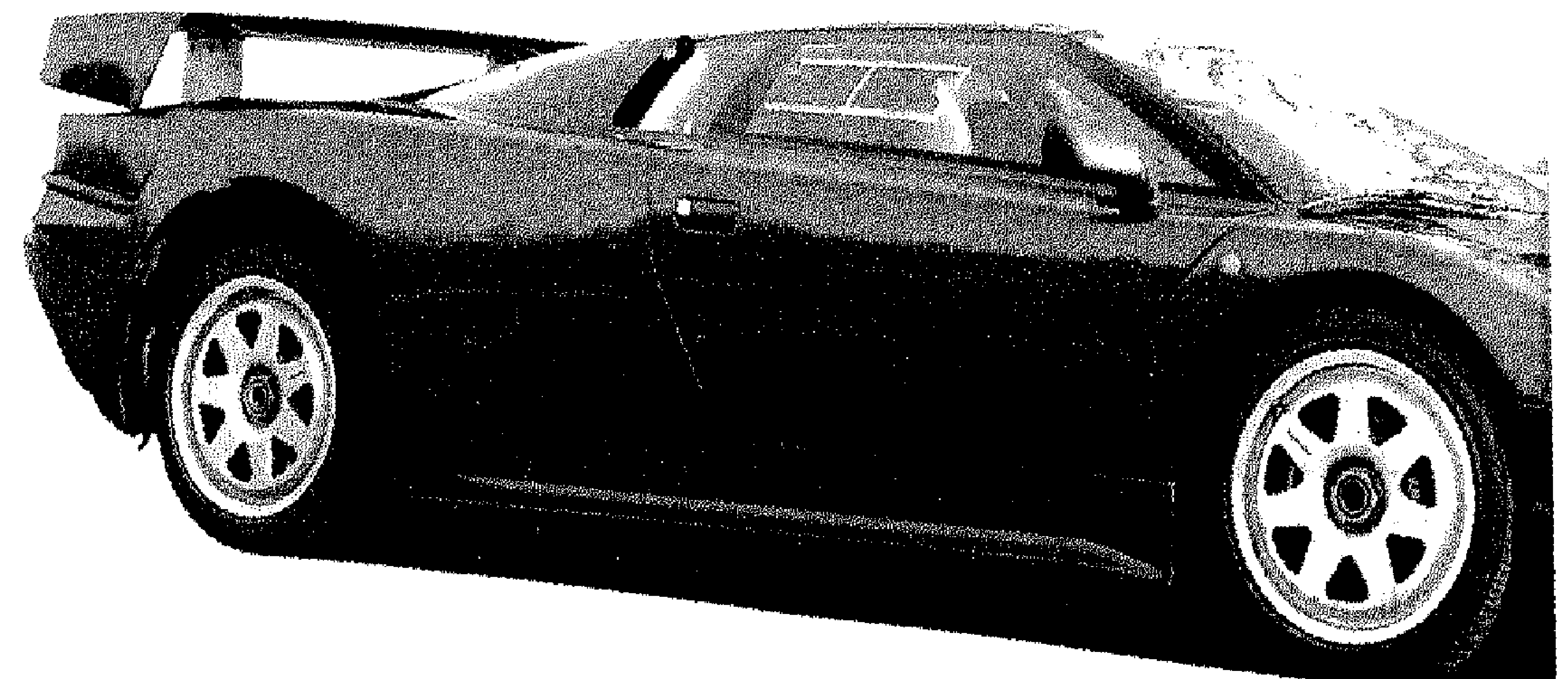


من اليسار: رومانو ارتيولي ومنظر جانبي للسيارة «EB 110» التي عرضت في باريس في سبتمبر (ايلول) ١٩٩١؛ المصنع في كامبوغاليانو (مودينا): منظر امامي لنموذج «EB 110».

PHOTOS: ROBERTO BIGANO / BUGATTI AUTOMOBILI



تعود هذه السيارة الجذابة لتأسر الهواة بعد غيبة ٤٠ عاماً



احتفالاً بالذكرى العاشرة بعد المئة لمولد ايتوري بوغاتي، في ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٩١، تشكّل موكب ضم ٨٢ سيارة من الاغلى والاكثر شعبية لدى الهواة. مرّت أمام قوس "لاديفانس" على مشارف باريس وتابعت سيرها الى قوس النصر في وسط المدينة. وشاركت في العرض سيارات من معظم الطرازات العشرين الرئيسية التي أنتجها المصمم العظيم بوغاتي، بينها: الطراز ١٣[1] الصغير وهو الاول من سلسلة سيارات أنتجها بوغاتي، وسيارات سباق شهيرة من الطرازين ٣٥ و٥٠[2] والطراز ٥٧[3] الانيق الذي كان في الثلاثينات من "مستلزمات" الرجل الرياضي.

لكن الانظار اتجهت كلها نحو السيارة الاخيرة «EB 110»، وهي ذات مقعدين، واطئة الى حد لا يصدق، ومطلية بلون أزرق صيفي. وقد رمزت هذه القادمة الجديدة الى بعث احدى أروع الماركات[4] في تاريخ صناعة السيارات بعد غياب أربعين سنة. ولقد غامر رومانو أرتيولي، مؤسس الشركة المصنّعة لهذا الطراز الجديد من بوغاتي، بكل ما يملك في سبيل انتاجه تحقيقاً لحلم حياته.

تعتبر طرازات بوغاتي من السيارات الاكثر سحراً وجاذبية في العالم، ذلك لأن

(١) Type 13

(٢) Type 35 and Type 50

(٣) Type 57

(٤) الماركة (marque) هي الاسم التجاري لسلعة ما.

ايتوري بوغاتي لم يكن مجرد رائد في صناعة السيارات، بل فنان بدأ عام ١٩١٠ ابداع نحو ٨٠٠٠ سيارة من الاكثر تطورا والاغلى ثمنا في عصره، وذلك في بلدة مولشايم في شمال فرنسا. وبعد وفاته عام ١٩٤٧ أنتجت شركته بضعة نماذج أخرى قبل أن تنسحب نهائيا من سوق انتاج السيارات. ومع ذلك استمر سحر بوغاتي حيا في الذاكرة، وأصبحت السيارات الالف والثمانمئة المتبقية في العالم من انتاجه موضوع

بوغاتي من الطراز ٥١ ربحت سباق "غران بري." وهي تضم ٨ أسطوانات وتبلغ سرعتها ٢١٠ كيلومترات في الساعة.

ارتباط عاطفي بين مجموعة مالكيها في عشرات الدول. ونادراً ما تنتقل ملكية سيارة بوغاتي من هاو الى آخر، لكن العدد القليل منها الذي يباع يأتي بأسعار خيالية كما روائع الفنانين الكبار. ففي العام ١٩٨٧ بيعت "بوغاتي رويال" ضخمة – وهي طراز أنتجت منه ست سيارات فقط – بمبلغ ٩ ملايين دولار، وبعد ثلاث سنوات ثُمِّنت بـ١٦ مليونا.

مهووس بوغاتي! قبل فترة قصيرة من انتاج آخر سيارة بوغاتي عام ١٩٤٩، خطا رومانو أرتيولي أولى خطواته في عالم الاعمال وهو لما يزل طالبا في السادسة عشرة من عمره. وكان ابن تاجر ثري من بولزانو في ايطاليا ولا يحتاج الى العمل، غير أنه افتتن بالسيارات والمحركات منذ نعومته. كانت هوايته اجراء اصلاحات مختلفة على سيارات أصدقائه، وسرعان ما فرض عليه حجم العمل الاستعانة بمساعد.

كان رومانو قرأ، منذ كان في الثانية عشرة، كل ما وقع عليه من أخبار بوغاتي وسياراته المذهلة. فعرف مثلا أن بوغاتي كان نزّاعا الى الكمال الى حد أنه كان يصنّع البراغي والمسامير المصوملة والعزقات التي كانت تستخدم في صنع سياراته، وأن محركات بوغاتي صمّمت وصنعت بمراعاة شديدة للتفاصيل بحيث استخدمت وحدة اسطوانات متكاملة مع رؤوسها[٥] مما ألغى الحاجة الى حشيّات أو سدادات مانعة للتسرب، وأن صنع المحور الخلفي الذي يزن ٦ كيلوغرامات فقط كان يتطلب كتلة من الفولاذ زنتها ٥٠ كيلوغراما يذهب ٤٤ كيلوغراما منها نثاراً أثناء التفريز. ثم أن سيارات بوغاتي كانت بين الاوائل التي استخدمت نظام الكوابح الهيدروليكية.[٦]

---

(٥) Integral cylinder block and head
(٦) Hydraulic brakes

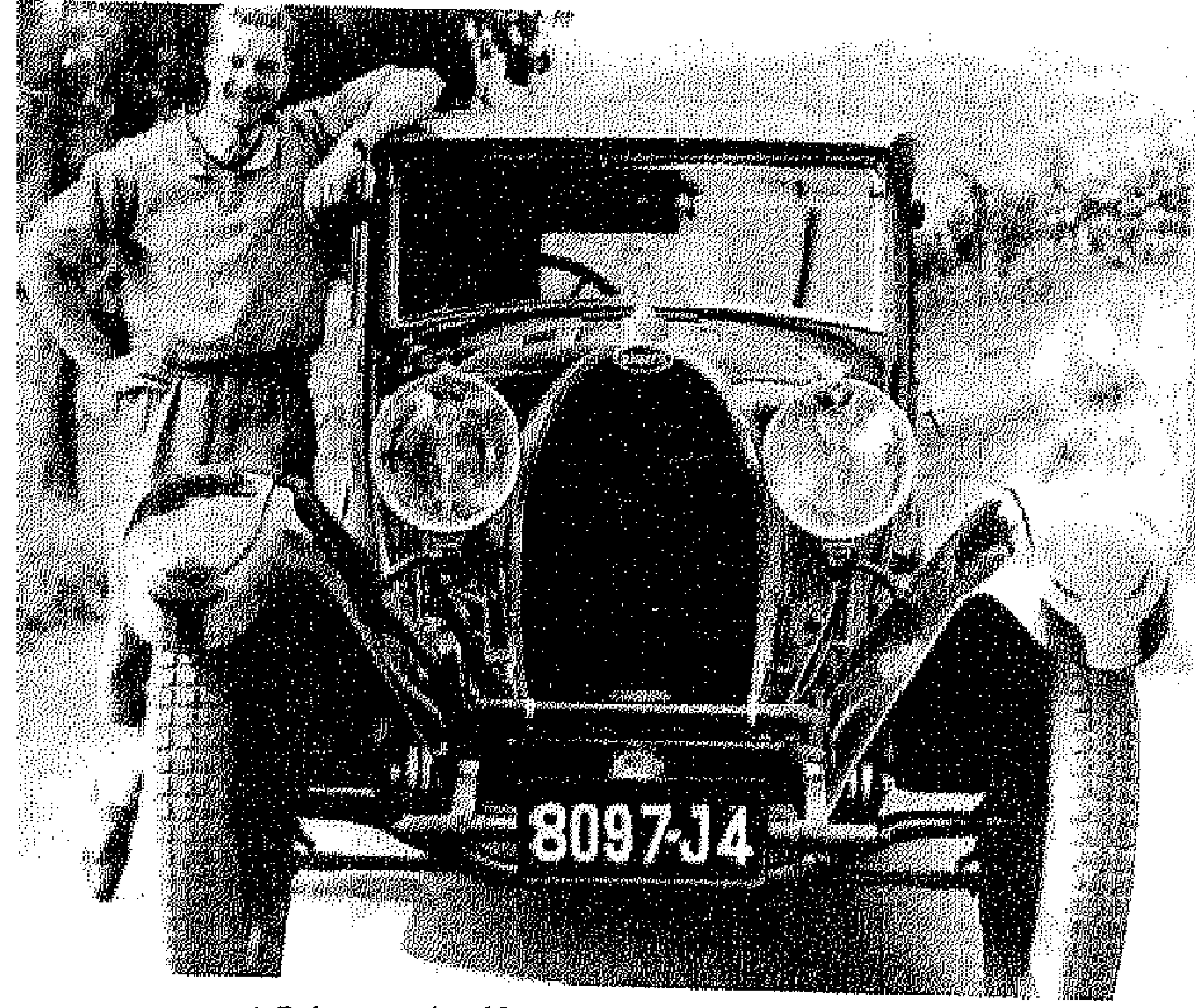
PHOTO: UMBERTO GUIZZARDI / COURTESY OF CENTRO CULTURALE BUGATTI

كان في امكان أرتيولي أن يتصور كل واحدة من سيارات بوغاتي بتفاصيلها: الطراز ١٣ الذي حصد عدداً كبيراً من جوائز سباقات السيارات الصغيرة في أوائل العشرينات والمزود عمود حدبات علويا[٧] و١٦ صماما موزعة على أربع أسطوانات. والطراز ٣٥ الذي كتبت عنه نشرة "مجلس التصميم البريطاني" عام ١٩٧٩ أن "توازن مواقع العجلات والرادياتور (المبرِّد أو المشعاع) وحجرة القيادة والمؤخر هي أقرب ما يمكن الى الكمال المطلق." والسيارات الست من طراز "بوغاتي رويال" التي صنعت قرابة العام ١٩٣٠ بسعر ٤٠ ألف دولار الواحدة، أي ما يعادل ثلاثة أضعاف سعر سيارة "رولز رويس"، وقد بيع ثلاث منها فقط.

بعض جنـون. حين علم أرتيولي أن شركة بوغاتي أوقفت انتاج السيارات غمره حزن كأنه فقد عزيزاً. ولكن خامره شعور غامض بأن ارث بوغاتي كان له، وحلم بأن يكمل الرسالة من حيث توقف ايتوري بوغاتي.

انغمس رومانو في هذه الاثناء في تجارة السيارات، فحصل على حق استيراد سيارات "فيراري" الى ألمانيا وسيارات "سوزوكي" وماركات أجنبية أخرى الى ايطاليا. وتبلغ قيمة مبيعاته السنوية في ايطاليا وحدها نحو ٣٠٠ مليار لير (٢٣٠ مليون دولار) سنويا.

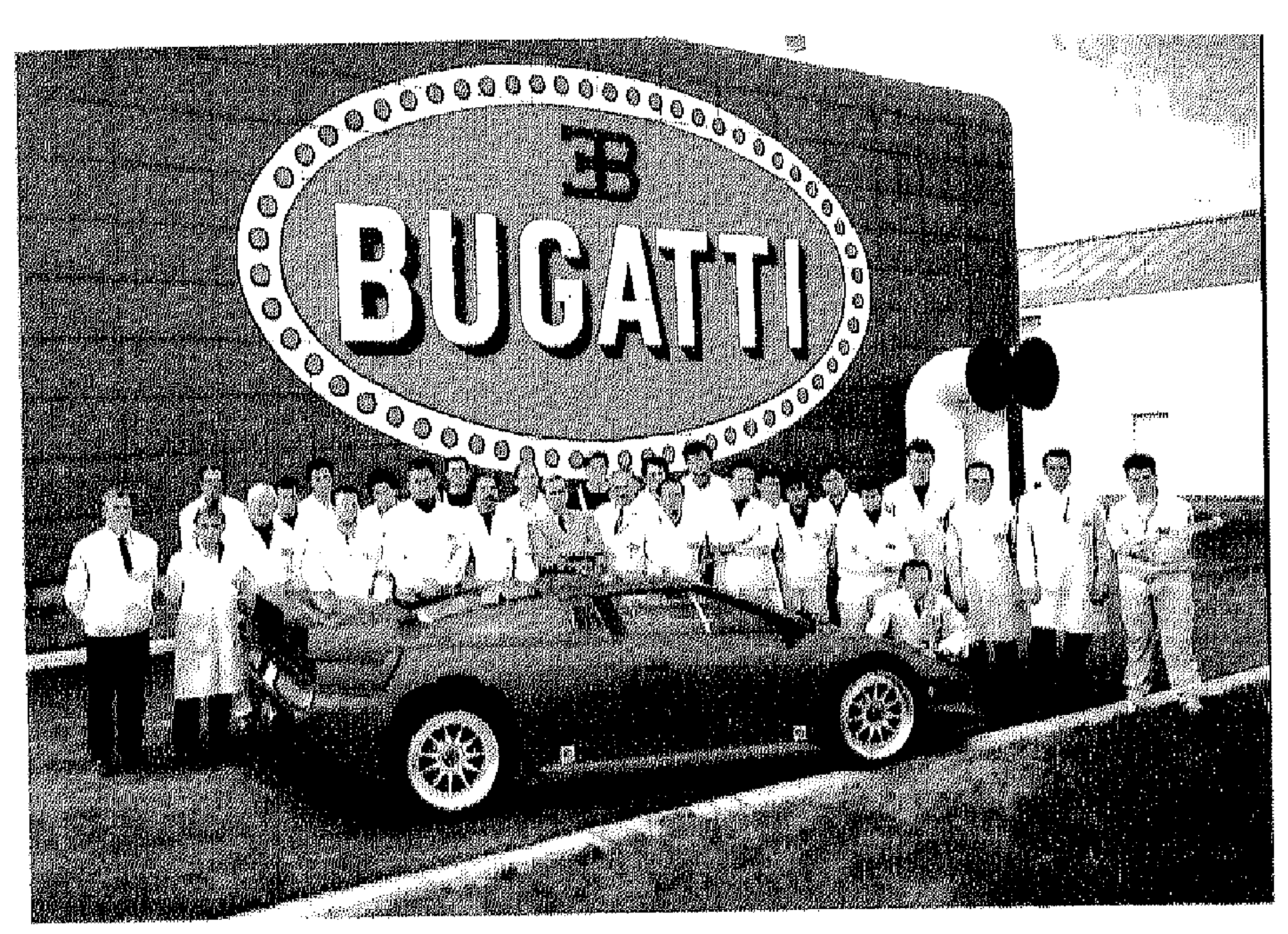
وبحلول العام ١٩٨٠، وكان بلغ الثامنة والاربعين من عمره، امتلك أرتيولي ما كان يتمناه: ثروة كبيرة وزوجة جميلة وابنتين رائعتين. لكنه مع ذلك شعر بغصة. كان يتذكر حلم صباه ويتساءل عما اذا فقد مقدرته على الابداع والتطلع الى ما ينبض له قلبه وليس فقط الى ما يقرره عقله. وهو آمن بأن ايتوري بوغاتي، الفنان قبل أي شيء آخر، لم يفقد هذه المقدرة وأن ذلك كان سر عظمته وأنه لم يساوم على أحلامه حتى عندما قادته في اتجاه مغاير للتفكير السليم. لو كان بوغاتي مجرد رجل أعمال لما وصلت فكرة سيارة "رويال" الى التصاميم، ومع ذلك ستنظر اليها الاجيال المقبلة على أنها أحد أروع انجازات العصر الصناعي.



جان، ابن ايتوري بوغاتي، متكئاً على سيارة كوبيه من طراز "فياكري" صنعت عام ١٩٢٩.

(٧) Overhead camshaft

PHOTO: COURTESY OF CENTRO CULTURALE BUGATTI



شعار الماركة الشهيرة، وفريق كامبوغاليانو حول نموذج السيارة. الرجل البادي ببزة رسمية في الوسط هو مدير الفريق نيكولا ماتيراتزي.

توصل أرتيولي، نتيجة هذا الحوار مع الذات، الى أن الحياة هي أكثر من مجرد بيانات موازنة وأن الوقت حان ليدع بعضا من الجنون يتسرب الى حياته وليحلم ثانية.

اجتماع عائلي. زار أرتيولي مصنع بوغاتي القديم في مولشايم. وكانت الشركة تحولت بعد انسحابها من سوق السيارات الى تصنيع قطع تدخل في صناعة الطائرات، ثم اندمجت عام ١٩٧٧ بشركة جورج ميسييه تحت اسم "ميسييه – بوغاتي" التي تملك معظم أسهمها حاليا مؤسسة حكومية تعنى بشؤون الطيران، ويتكون نصف انتاجها من أجهزة هبوط وكوابح للطائرات المدنية.

وتعقَّب أرتيولي أثر آخر ذَكَر حي من عائلة بوغاتي، ويدعى ميشال وهو الآن في السادسة والاربعين من عمره ويعيش في جنوب فرنسا، وأطلعه على ما يعتزم القيام به. فأبدى ميشال حماسة للمشروع ووعد أرتيولي قائلا: "سأساعدك ما استطعت."

وبرزت المشكلة التالية في التمويل. كان أرتيولي في حاجة الى مئة مليار لير (٧٥ مليون دولار) وذلك معناه تأمين مئتي مليار تحسبا لتكاليف غير متوقعة. لكنه سرعان ما وجد أصدقاء أغنياء يثق بهم وتحدوهم حماسة لتمويل مشروعه.

وواجه أخيراً مسألة قراره النهائي. دعا عائلته في أوائل ١٩٨٦ الى اجتماع لمناقشة مشروع بوغاتي، وبادر زوجته وابنتيه: "انني أنوي احياء أحد أشهر الاسماء في تاريخ صناعة السيارات. وهو مشروع ضخم، وأنا مضطر الى توظيف

PHOTO: ROBERTO BIGANO/ BUGATTI AUTOMOBILI

كل مواردنا فيه. سننتهي الى الفقر اذا لم ينجح. لذا، اذا كان لديكن أي مخاوف، فالآن وقت اقناعي بالعدول."

ردت زوجته ريناتا: "متى نجح أحدهم في اقناعك بالعدول عن أمر ترغب فيه؟ هيا، امضِ قدماً، فأنت تحلم بهذا الامر مذ كنت صبياً."

كاد أرتيولي يطير فرحاً، فالجميع التزم رأيه. فقال لهن: "يجب أن تدركن أن البوغاتي الجديدة التي سننتجها ستتفوق على أي سيارة أخرى. ولكن يجب أن تتفوق في اطار السلامة والراحة المطلقتين، محدِّدة مقاييس جديدة للكمال، والا فلن تكون بوغاتي."

الاسرع والآمن. كان أرتيولي زار مولشايم وتحدث الى المسؤولين في "ميسييه – بوغاتي" واتفق معهم على صفقة تتيح عودة ماركة "بوغاتي" الى الحياة. ولم يبق الا اختيار موقع للمصنع. وكان رأي أرتيولي أن مودينا هي المكان الوحيد حيث يمكن انتاج السيارة التي يفكر فيها.

وتقع هذه البلدة الجميلة في شمال بولونيا، وهي ترقى الى عصر النهضة ويقطنها ١٨٠ ألف نسمة. ومنها يأتي كثير من فضلي السيارات الرياضية في العالم، اذ تصنَّع في المنطقة كل سيارات الـ"فيراري" والـ"لامبورغيني" والـ"مازيراتي" والـ"دو توماسو." وتتوافر في مودينا مصانع كما يتوافر تقنيون يمكنهم أن يساعدوا أرتيولي في صنع سيارته.

اتصل ارتيولي في منتصف العام ١٩٨٧ بثلاثة تقنيين هم أوليفييرو بيدراتزي وتيزيانو بينيدتي وأكيلي بيفيني. كان الثلاثة موظفين في شركة "لامبورغيني" حتى العام ١٩٧٥ عندما أسسوا "تكنوستايل" وهي شركة اكتسبت شهرتها بتصميم محركات مبتكرة جداً لسيارات سباق ونماذج تجريبية. وهو قال لهم: "أريد أن أبني سيارة تكون الأسرع والأكثر أماناً وتوفيراً للراحة والأقل تلويثاً للجو من أي سيارة صنعت الى الآن. لكم حرية مطلقة في ما يختص بالشأن الهندسي، ولا عوائق مالية. وسأجعلكم شركاء في مؤسسة بوغاتي أوتوموبيلي الجديدة."

لم يتردد الثلاثة في قبول العرض. وبعد وقت قصير بدأ العمل في بناء المصنع المستقبلي على قطعة أرض مساحتها ٨٠ ألف متر مربع في كامبوغاليانو وهي بلدة صغيرة على مشارف مودينا.

ويعمل في المصنع الآن مئتا موظف من جنسيات ايطالية وألمانية وفرنسية وبريطانية. كما أضيفت مساحة ٩٠ ألف متر مربع الى الموقع. وتتلقى الشركة، منذ انتشر الحديث عما يقوم به المصنع، ٥٠ طلب توظيف يومياً. وتدفقت الطلبات أيضاً لشراء السيارة الجديدة. وتقرر أن ينتج المصنع اعتباراً من هذه السنة

(١٩٩٢) ١٥٠ سيارة «EB 110.» وقد غطى الطلب الى الآن انتاج أربع سنوات، أما السعر فلم يعلن بعد.

سيارة فضائية! ليعلم من يهمه الأمر أن توقيع شيك بمبلغ ضخم لن يكون كافياً للحصول على بوغاتي جديدة. فعلى الراغبين في الشراء الحضور شخصياً الى المصنع اذ لن يكون هناك موزعون، مع أن البعض يخشى أن يسبب هذا الأمر مشاكل لمالكي السيارات حين تبرز حاجة الى الخدمة والصيانة. ثم إن على الراغبين في الشراء أن يحصلوا من لجنة ضمانات خاصة على "براءة" تثبت أنهم هواة حقيقيون لهذا النوع من السيارات، وذلك للتأكد من أن السيارات لا تنتهي في أيدي مضاربين يعمدون الى بيعها في اليوم التالي بأضعاف سعر الشراء.

لكن، لنفترض أنك قادر على شراء سيارة بوغاتي جديدة. فما الذي تحصل عليه في مقابل ما تدفعه؟

ستكون لديك واحدة من أسرع السيارات في العالم، تبلغ سرعتها القصوى ٣٥٠ كيلومتراً في الساعة، ذات محرك هو مزيج من الالمنيوم والتيتانيوم سعة ٣٥٠٠ سنتيمتر مكعب مؤلف من ١٢ أسطوانة و٦٠ صماما وأربع ضاغطات توربو، يؤهلها للانطلاق بسرعة صاروخية من صفر الى ١٠٠ كيلومتر في الساعة في ٣،٧ ثوانٍ.

والاهم، ربما، هو أنك ستحصل على سيارة تتميز بابداع هندسي ذي تقنية عالية، حُددت بها معايير جديدة لمفهومي السلامة والراحة. والاساس هو في هيكلها (الشاسي) المصنوع من ألياف الفحم[8] وهو مقاوم وخفيف على نحو لا يصدق وقد طورته "ايروسباسيال" رائدة الشركات الفرنسية في مجال الفضاء. كما زودت سيارة «EB 110» نظام دفع بالعجلات الاربع، وهذا جديد على سيارات السرعات الفائقة. فجاءت النتيجة تماسكا لا يصدق مع الطريق في سرعات قصوى.

أما الكوابح الفحمية[9] التي استوحيت من كوابح الطائرات فتبقي محرك السيارة المتميز بقوة ٥٥٠ حصانا تحت سيطرة كاملة. ويراقب كمبيوتر داخلي وظائف المحرك والحرارة والضغط في العجلات ومدى تأكلها.

وتتميز سيارة «EB 110» بهيكل واطىء لا يرتفع عن الطريق سوى ٨ سنتيمترات، لكن مجرد لمس زر خاص يرفع نوابض التعليق[10] ١١ سنتيمتراً اضافية. وهي زُودت أجهزة متطورة لخفض استهلاك الوقود وتقليل نسبة التلوث. أما بالنسبة الى الراحة التي توفرها لراكبها فيقول ارتيولي: "هناك مكان واحد يؤمن للانسان راحة أكبر، وهو العوم في السائل الذي يملأ رحم الام."

---

(٨) Carbon fiber

(٩) Carbon brakes

(١٠) suspension او ما يعرف بالـ "امورتيسور."

حلم المعلم. تحدث أرتيولي عن حلمه ونحن جالسان في مكتبه في مبنى مكعب من الزجاج الازرق على مقربة من حظيرة الانتاج. قال: "ينزع الناس الى الافتراض أنهم خالدون، ولذا تراهم أبداً يؤجلون أعمالا الى الغد. لكنني أدرك أن الوقت المتوافر محدود، وأنك اذا لم تفعل ما تريده الآن فقد يفوت الاوان غداً. ليس من الضروري أن تنجح، ولكن من حقك على نفسك أن تحاول."

أعد مسؤولون في الشركة جولة لمجموعة من مالكي سيارات بوغاتي داخل المصنع يوم تدشينه في ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠. وحضر هؤلاء من أنحاء العالم، وكثيرون منهم قادوا سياراتهم الكلاسيكية الرائعة من مولشايم لتسليم شعلة من المصنع القديم الى المصنع الجديد. وكانت بين هؤلاء ستيلا تاسيدري ابنة الثالثة والثمانين التي عملت سكرتيرة خاصة لايتوري بوغاتي مدى عشرين سنة. وهي هتفت أثناء زيارتها مصنع المستقبل: "هذا حلم المعلم الذي لم يستطع هو تحقيقه!"

كانت هذه الكلمات بالنسبة الى ارتيولي وفريقه أحلى إشادة.

كريستوفر ماثيوز ■



خمسون سنة أخرى!

سأل المريض طبيبه: "هل تظن انني سأعيش ٥٠ سنة اخرى يا دكتور؟"

– كم عمرك الآن؟

"أربعون."

– هل تشرب أو تقامر أو تنغمس في اللذات؟

"كلا، كلا. أنا لا أشرب ولا أقامر وأكره النساء. انني في الواقع لا أشكو من أي رذيلة."

فرد الطبيب حانقا: "ولماذا اذاً ترغب في العيش ٥٠ سنة اخرى؟"

هـ.م.

محاباة عائلية

دخل موظف اداري المصعد وقد بدا عليه الانزعاج. فسأله رجل أعمال كان في الداخل: "ما الامر؟"

فصاح: "محاباة عائلية! لقد تخطاني رئيسي وعين ابن شقيقته مديراً للمكتب!"

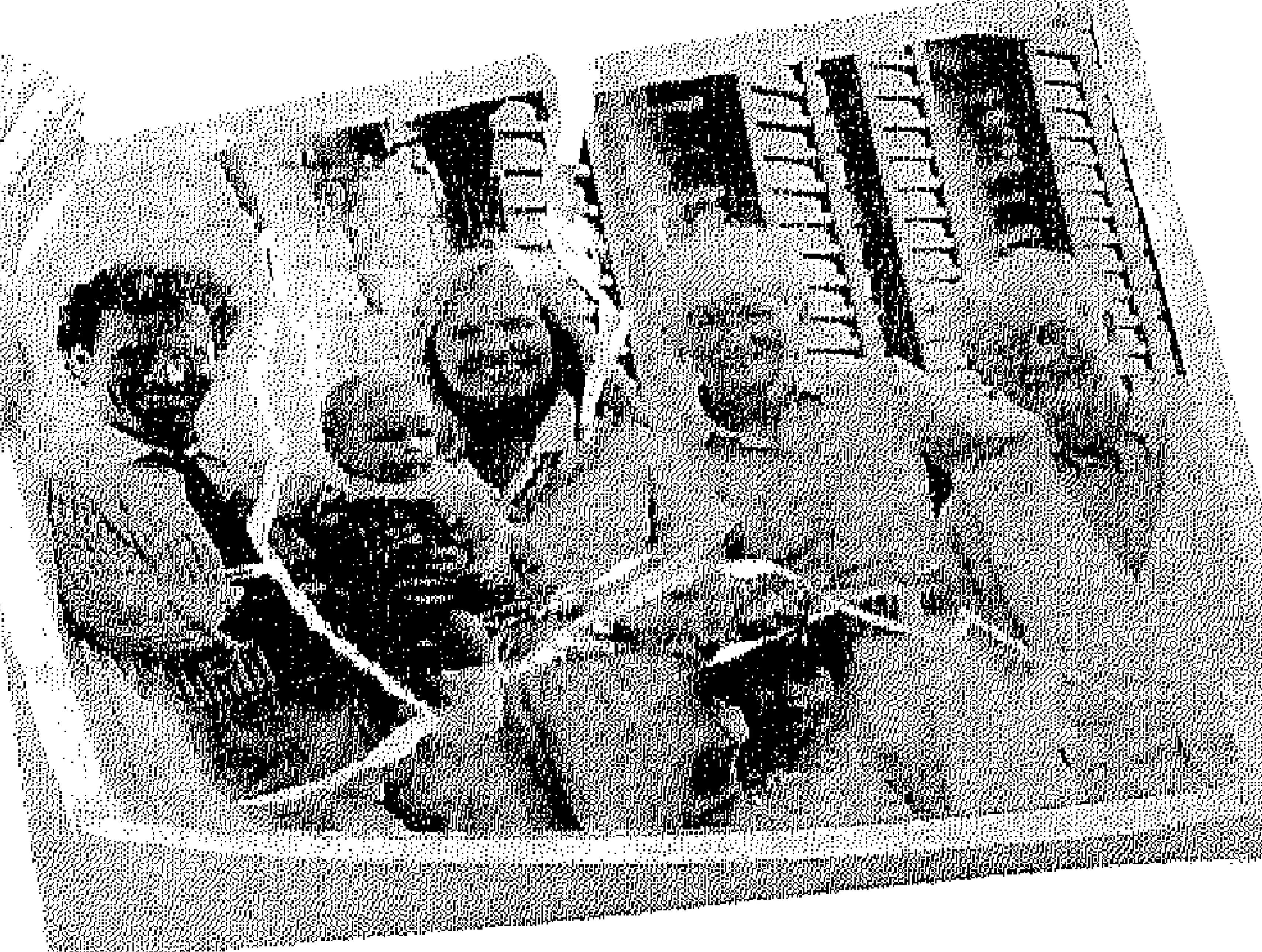
فناوله رجل الاعمال بطاقته قائلا: "اذا احتجت الى مشورة قانونية فلا تتردد في الاتصال بي."

نظر الشاب الى البطاقة فقرأ فيها: "الزيّات وأولاده، مكتب محاماة."

ن.ب.

كيف نرمّم التصدّع العائلي

ست لمع لرأب الصدع ولمّ الشمل



□ ترقرقت عينا مولي بالدمع حين نظرت من فوق مائدة الطعام الى أبنائها الثلاثة وأفراد أسرهم. انها أسيانة لغياب وجوه أربعة: ابنها الأصغر طوم وزوجته ايلين وولديهما. وسبب غيابهم خصام ايلين وزوجة أحد أبناء مولي الآخرين منذ سنين إثر حادثة أبتا باصرار أن تعللاها، وما زالتا ترفضان أن تجتمعا تحت سقف واحد.

□ بعد سنتين من وفاة زوجة ديفيد الاولى قرر أن يتزوج ثانية. فطلب من ابنه الاكبر تشارلز أن يكون اشبينه (شاهده) في العرس. قبل تشارلز الطلب، لكنه بعد مناكفة موضوعها هر أبيه نكل فجأة عما وعد ولم يحضر حفلة الزفاف. حز الأمر في نفس ديفيد فقطع علاقته بابنه. ولم يتصالحا إلا بعد سنين عشر.

العائلات في أيامنا آخذة في التباعد والتبدد، وأواصرها تتفكك. ولذا ففي كل عائلة تقريبا حزازات مستديمة. وقد يستعر الغضب أعواما فيجرح مشاعر أفراد آخرين من الأسرة، مثل مولي، فضلا عن المتخاصمين.

وتنشأ معظم الحزازات من توافه الحوادث. ويقول جاي فولبرغ عميد كلية الحقوق في جامعة سان فرنسيسكو والوسيط المجرب في فض نزاعات العائلات: "تفاصيل تلك الحوادث تنسى، وما يبقى سلوك ملموس لدى المتنازعين يأبى بعناد اتخاذ أي خطوة استرضاء." ومثاله قول احدى كنتي مولي لها عن غريمتها: "قد أصالحها في دقيقة، لكني لن أهاتفها أولا."

PHOTO: © PAUL BARTON / THE STOCK SHOP

في هذه الحالات يلوح دور التوسط. والوسيط فرد محترم من أعضاء الأسرة أو مرشد روحي أو محام... أو أنت! يقول فولبرغ: "على رغم الشحناء وطول مدة الصدع بين المتخاصمين، فان الشاذ فقط هو من يرفض في نهاية الأمر علاقة وطيدة مع الذين أحبهم ذات يوم."

ان كنتم تنشدون إعادة التناغم الى أسرتكم المتباغضة، هاكم أساليب يشير بها أهل الخبرة:

١. تدخلوا فوراً.

ان شهدتم العداوات تتفاقم، تدخلوا على عجل. اذ كلما طال انتظاركم زادت الضغينة بين المتنازعين وصعب اصلاح ذات البين.

تذكروا أن "الساعات تطوى طيا" كما قال العالم النفساني كارل زلاتشين. أما المستشارة العائلية برنيس أتكين التي فاوضت مراراً من أجل مصالحات على فراش الموت، فتستذكر أماً نبذت ابنها بمرارة عقب زواجه من غير رضاها. انقضت السنون وهما مقاطعان، ولم تر المرأة أحفادها قط.

أخيراً، بعدما صارت أيام الأم معدودة، لان قلب الابن. وانهمرت الدموع على وسادة العجوز اذ حضنته، وسألته بصوت متهدج: "ألديك صورهم؟" وبعد لحظات كحّلت عينيها بوجوه أحفادها للمرة الاولى. تقول اتكين: "توفيت الأم بعد بضعة أيام، لكني موقنة أنها قضت باسمة."

٢. لا تؤثروا طرفاً على طرف.

أقيموا اتصالات بالطرفين في وقت واحد، وليكن جلياً أنكم وُسطاء وحسب. هذا ما فعلته كارولين وأخوها هارولد بعد سعيهما الى مصالحة أمهما وعمتهما نحواً من سنة. تقول كارولين: "قصد هارولد بيت أمي في العشية نفسها التي قابلت فيها العمة مارثا. وبذا لم تشعر إحداهما بأننا قابلنا الأخرى اولا."

وفي رأي زلاتشين: "إن خاطبتم طرفا قبل طرف، تولد انطباع بأنكم ستشكلون تحالفا لمواجهة الطرف الآخر. تحاشوا هذا الأمر."

أصغوا الى كل فريق بحياد. ولا تسعوا الى اعترافات أو استمطار اعتذارات. هذا ما يشير به فولبرغ. وهو يقول: "ليكن واضحا ان الأوان أزف لفتح صفحة جديدة، لا لاعادة كتابة الصفحة القديمة. يمكنكم أن تبدأوا بالقول: لم أدر كيف بدأت المسألة، ولا أباليَ، ما أعلمه هو أن العائلة بأسرها مجروحة المشاعر. هذه المناشدة يصعب على أي طرف مقاومتها."

٣. ضعوا قواعد أساسية.

أسألوا كل طرف عن مقترحاته حول مكان اللقاء وموضوع النقاش، ثم قابلوا بين اقتراحي الطرفين. فالاتفاق على الصغائر، من مثل أمكنة الجلوس أو البادىء بالحديث، قد يشجع على النقاش حول مسائل أخرى أخطر شأناً.

قد يَصْلُح اجتماع عائلي تقليدي لقاء

للمصالحة حيث يتشجع كل طرف على التقدم في اتجاه الآخر في جو حميم. لكن حاذروا الاصرار على هذا الاقتراح إن لاقيتم استنكافا من أحد الطرفين. فبعض المتخاصمين يؤثر المصالحة سرا.

واذا ما اجتمعا وجها لوجه، دعوا كلا منهما يدلي بحجته من دون أن يقاطعه الآخر. وابقوا النقاش متركزا حول القضايا والمشاعر لا حول الطباع. وأسقطوا تعليقات مثل: "لطالما كان سام خسيسا" أو "ماري تبغضني لاني اذكى منها."

الى ذلك، تقيّدوا بخطة اللقاء المتفق عليه ولا تحيدوا عنها قيد شعرة. فأي انحراف قد يعدّ تحيزا.

٤. تصنّعوا البراءة.

"أسلوب كولومبو" هو الاسم الذي أطلقته إتكين على أسلوب البراءة المزعومة للتحري التلفزيوني الشهير.

قد تفتتحون الاجتماع بالقول: "أتراني فهمت الأمر على وجهه الصحيح؟ في حفلة الميلاد، قبل عشر سنين، أراقت الشراب على فستانك الجديد، فغاظك فعلها منذ ذلك اليوم. أحقٌ ما قلت؟"

وتعقّب اتكين: "اذ تعرضون الأمر على هذا النحو، تتكشف للناس الحماقة في تكبير حادثة بسيطة."

٥. استعيدوا أيام الهناء.

حين توسطت اديث في خلاف قديم بين أبيها وأخيها، ركزت على الأوقات الخاصة المميزة التي تقاسماها. وهي تروي ما حصل: "قلت لابي: "أتذكر تلك المباراة حين كنت أنت الحكم فطردت جيمي من الملعب؟ لكم بكى آنذاك، فهدّأت من روعه وقلت له على الانسان أن يكون منصفا وإن جُرحت مشاعره. جيمي ما زال يذكر ذلك!" اغرورقت عينا أبي بالدمع. فأدركت انني اجتزت العقبة الأولى."

يقول زلاتشين: "المغزى من ذلك أن أوقات الهناء في ماضيات الايام قد تبشر بأيام سعد في الآتيات. عليكم ان تستعيدوا المشاعر الحميمة القديمة."

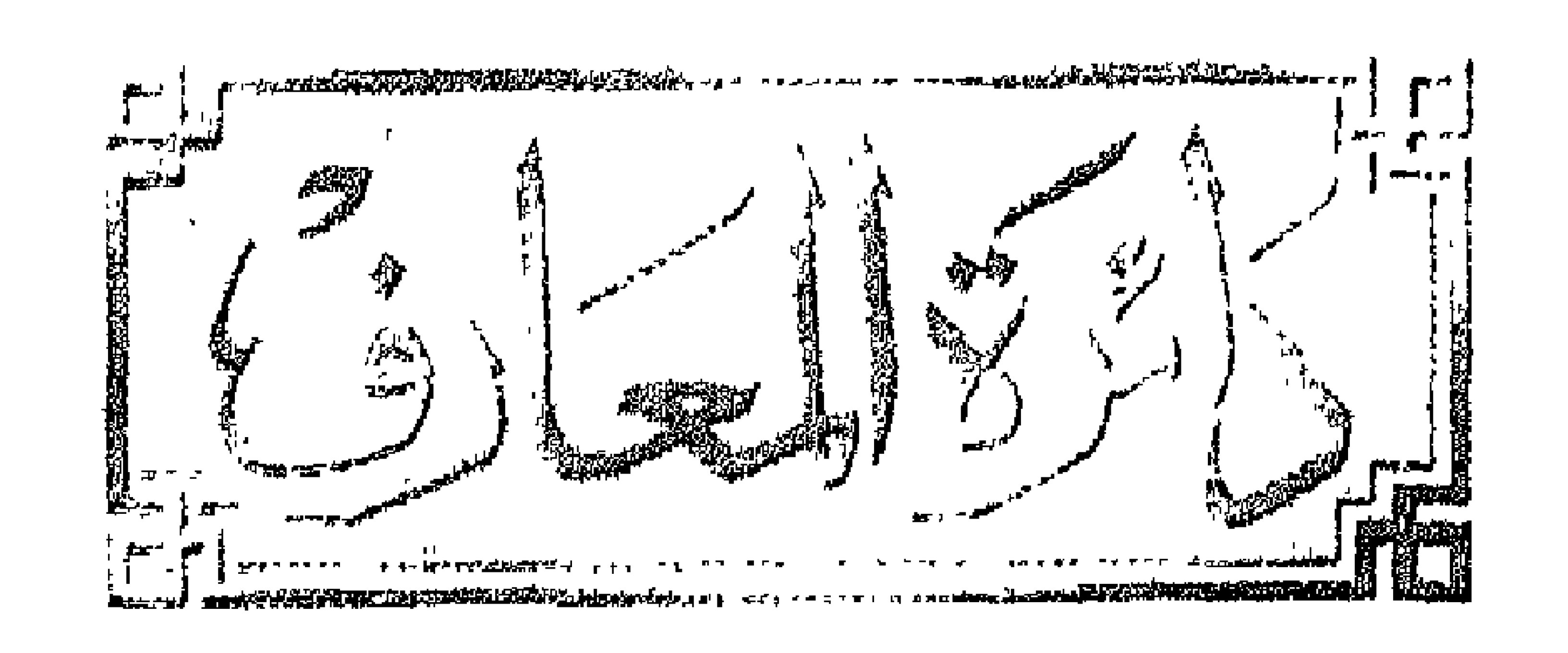
٦. لا تنتظروا أعاجيب.

بعض المتنازعين يسلمون بأن ما فات قد فات، لكن آخرين لا يعقدون صلحا كاملا. تستذكر كارولين ما يأتي: "بدت أمي وعمتي مارثا وقد سرِّي عنهما اذ انتهت الحزازة بينهما. وأنا اشك في انهما ستعودان حميمتين كما كانتا، لكن ذلك حسّن علاقتي بهما."

ان بدأ التئام الجروح، ثابروا على استمراره. وإصلاح ذات البين ضمن أفراد الأسرة الواحدة لا يحرر المتخاصمين من ثقل الضغائن فحسب، بل يعود بالنفع العميم على الأسرة أجمع. فأواصر الرحم هي التي تمنح العائلات القوة والسند في الأتراح والافراح.

ادوين كيستر

وسالي فالنتي كيستر ■



في العربية غنى لا يُحَدّ ودقة لا تنتهي. هنا فروق بليغة في اسماء صغار الحيوان وذكور ما شُهر منه الاناث وإناث ما شُهر منه الذكور.

صغار الحيوان

ولد كل سبع "جُرْوٌ"، وولد كل ذي ريش "فَرْخٌ"، وولد كل وحشية "طِفْلٌ" هذا جملة هذا الباب.

ثم ولد الفرس "مُهْرٌ" و"فَلُوٌ".

وولد الحمار "جَحْش" و"عِفْو" و"تَوْلَبٌ" وكذلك البغل الصغير.

وولد البقرة "عِجْلٌ" و"عِجَّوْلٌ" والانثى "عِجْلَةٌ".

وولد الضائنة حين تضعه أمه ذكراً كان أو انثى "سَخْلَة" وجمعه سِخَال وبَهْمة وبَهْم، فإذا بلغ أربعة اشهر وفُصِل عن أمه فهو "حَمَلٌ" و"خَرُوفٌ" والانثى "خَرُوفَة" و"رِخْل".

وولد الماعزة حين تضعه امه ذكراً كان أو انثى "سَخْلَةٌ" و"بَهْمة" فإذا بلغ اربعة اشهر وفُصِل عن امه فهو "جَفْرٌ" والانثى "جَفْرَة" و"عَريض" و"عَتُود" إذا رَعَى وقَوِيَ، وجمعه عِرْضان وعِدَّان واعتِدةٌ، وهو في كل ذلك "جَدْيٌ" والانثى "عَنَاقٌ".

وولد الناقة في اول النتاج "رُبَع"، والانثى "رُبَعَة"، والجميع "رِبَاع"، وفي اخر النتاج "هُبَع"، والانثى "هُبَعَة" ولا يجمع هُبَع هِبَاعا، وهو في ذلك كله "حُوَار".

وولد الاسد "شِبْلٌ".

وولد الأُرْوِيَّة «غُفْرٌ".

وولد الضبع «الفُرْعُلُ"، فإن كان من الذئب فهو "سِمْعٌ".

وولد الدُبّ "دَيْسَم".

وولد الثعلب "هِجْرِس".

وولد الفيل "دَغْفَلٌ".

وولد الظبية "خِشْفٌ" و"طَلًا".

وولد الخنزير "خِنَّوْص".

وولد الأرنب "خِرْنِق".

وولد الضَّب "حِسْل".

وولد اليَرْبُوع وَالفارَة "دِرْص"، وولد الكلب والذئبة والهرّة والجرذ "دِرْصٌ" ايضا.

و"الرِّئَال" فِرَاخ النعام، واحدها رَأْل، و"حَفَّانُها" صِغَارها، سميت بذلك لحفيف الطَّيَرَان.

والفراخ [من الحمام] يقال لها "الجَوازِل".

و"النُّهار" فَرْخُ القطاة، ويقال "اللَّيْل" فرخ الكَرَوان.

وقالوا للذكر من اولاد الضان إذا هو كَبِرَ "كَبْش" والانثى "نَعْجَة"، والذكر من اولاد المعز إذا كبر "تَيْسُ" والانثى "عَنْزَة".

ذكور
ما شهر منه الاناث

"اليَعَاقيب" ذكور الحَجَل، واحدها يَعْقُوب، و"السُّلَك" الذكَرُ من فراخها، والانثى سُلَكَةُ.

و"الخَرَب" ذكر الحُبَارَى.

و"ساق حُرّ" ذكر القَمَارِيّ.

و"الفَيَّاد" ذكر البُوم، ويقال: هو الصُّدَى..

و"اليَعْسُوب" ذكر النحل [وهو اميرها].

و"الحنْظُب"، و"العُنْظُب" ذكر الجَرَاد، وفي كتاب سيبويه "العُنْظُبَاء" بالمدّ، فاما الحُنْظَب - بفتح الظاء - فذكر الخنافس، وهو ايضا الخُنْفُس.

و"الحِرْبَاء" ذكر أم حُبَيْن.

و"العَضْرَفُوط" ذكر العَظاءِ.

و"الضِّبْعَانُ" ذكر الضباع.

و"الأُفْعُوَانُ" ذكر الأفاعي.

و"العُقْرُبَان" ذكر العَقَارب.

و"الثُّعْلُبَانُ" ذكر الثعالب.

و"الغَيْلم" ذكر السَّلاحِفِ، والانثى سُلَحْفَاة ويقال: سُلَحْفية.

و"العُلْجُوم" ذكر الضفَادع.

و"الشَّيْهَمُ" ذكر القنافذ.

و"الخُزَز" الذكر من الارانب، وجمعه خِزَّان.

و"الحيقُطَان" ذكر الدُّرَّاج.

و"الظَّلِيم" ذكر النَّعَام.

و"القِطُّ" و"الضَّيْوَنُ" ذكر السنانير.

إناث
ما شهر منه الذكور

الانثى من الذئاب "سِلْقَة" و"ذِئْبة".

والانثى من الثعالب "ثُرْمُلة" و"ثَعْلَبة".

والانثى من الوعول "أرْوية" وثلاث "أرَاوِيّ" إلى العَشر، فإذا كثرت فهي الأرْوَى.

والانثى من القرود "قِشة" و"قِرْدة".

والانثى من الارانب "عِكْرِشة".

والانثى من العقبان "لَقْوَة".

والانثى من الأسُود "لَبُؤَة" بضم الباء وبالهمزة.

والانثى من العصافير "عُصْفُورَة".

والانثى من النمور "نَمِرَة".

ومن الضفادع "ضِفْدَعَة".

ومن القنافذ "قُنْفُذة".

ويقال "بِرْذَوْن" و"بِرْذَوْنة".

يعتقد معظم الناس أن أمراض القلب مقصورة على الرجال. لكنها في الواقع قاتل لا يفرق بين الجنسين

أمراض القلب لا تفرّق بين النساء والرجال

كانت بتينا كايس تحس ألما خفيفا بين عظمتي كتفيها وتشكو من صعوبة في التنفس. ورد الاطباء ذلك الى التهاب في الشعب الرئوية[1] ولما استفحلت حالها رجحوا أنها تعاني نوبات عارضة من القلق العصابي[2]. وبعد ثلاثة أسابيع أحست، وهي تعبر أحد الشوارع، قشعريرة رافقها تعرُّق.

وللحال توجهت بسيارتها الى المستشفى حيث أظهر تخطيط لقلبها ارتفاعا في سرعة نبضها. لكن الطبيب عزا ذلك الى القلق. فأخبرته بتينا أنها تعاني ألما حاداً في ذراعها اليسرى وبين كتفيها، وغثياناً. وكانت تشكو ارتفاعاً في ضغط الدم ووزناً زائداً بلغ ١٠٩ كيلوغرامات وتدخن ثلاث علب من السجائر يومياً. وكان والدها أصيب بنوبة قلبية خطرة وهو في الرابعة والاربعين من عمره. وهي تقول: "مع ذلك طمأنني الطبيب قائلاً: يا بتينا، لا أظن أن قلبك يعاني علة. فأنت امرأة، ولا تزالين في الثانية والثلاثين من عمرك."

وبعد أيام بلغ منها الألم مبلغاً جعل زوجها يهرع بها الى المستشفى ليلا حيث لم يلبث قلبها أن توقف. وتمكن الأطباء من اعادة نبضها بواسطة جهاز خاص لوقف الرجفان القلبي.[3] لكن قلبها كان أصيب بضرر بالغ. وحاول الاطباء معالجتها لاحقاً بالجراحة التحويلية[4] ثم بجراحة تقويم الاوعية الدموية[5] لكنهم أدركوا في نهاية المطاف أن أملها الوحيد في البقاء قيد الحياة يتمثل في عملية زرع.

وبعد انتظار دام أربعة أشهر تلقت بتينا كايس قلباً جديداً في ١٤ فبراير (شباط) ١٩٩٠. وهي اليوم في صحة جيدة، وقد أقلعت عن التدخين وانخفض ضغط دمها ونقص وزنها الى ٥٤ كيلوغراماً وباتت تمارس تمارين رياضية منتظمة.

في سياق ذلك باتت بتينا كايس ناطقة باسم "جمعية القلب الامريكية." تقول: "درجنا على الاعتقاد أن النساء لا يصبن بنوبات قلبية، بحيث بتنا لا نحصل غالباً

(١) Bronchitis
(٢) Anxiety
(٣) Defibrillator
(٤) Bypass surgery. وهي ما يُعرف عاميا بجراحة القلب المفتوح.
(٥) Angioplasty

على العلاج الطبي الذي نحتاج اليه. ثمة كثير من المعلومات الخاطئة في هذا المجال."

أطباء لا يعرفون. يعتبر مرض القلب في الولايات المتحدة القاتل الاول للرجال والنساء. وتشير التوقعات الى أن نحو نصف النساء الامريكيات سيقضين بأمراض القلب والاوعية الدموية. وتفيد الاحصاءات أن نحو ٢٥٠ ألف امرأة يمتن سنويا بنوبات قلبية، فيما تقضي أمراض قلبية – وعائية أخرى على نحو ٢٥٠ ألف امرأة كذلك. وهذا يكاد يعادل عدد الوفيات للسبب نفسه لدى الرجال. وبالمقارنة، يقضي نحو ٤٢ ألف امرأة سنويا بداء سرطان الثدي، المرض الذي تخشاه النساء أكثر من سواه.

وفي رأي الطبيبة الباحثة في أوعية القلب الدموية ماريان ج. ليغاتو التي شاركت في وضع كتاب "قلب الأنثى: الحقيقة عن النساء وأمراض الشرايين التاجية"[٦]، يبقى أكثر من ثلث النوبات القلبية لدى النساء غير مشخَّص لأن الضحية تنسب الاعراض خطأً الى علة أخرى. وتؤكد الدكتورة ليغاتو أن "معظم الرجال والنساء يعتقدون أن مرض القلب مشكلة مقصورة على الرجال. صدقوني، ان مرض القلب قاتل لا يميز بين الجنسين."

وأحد أسباب التأخر في ادراك هذا الامر هو أن النساء عموماً يُصبن بمرض القلب في عمر يتجاوز متوسط أعمار الرجال المصابين به بعشر سنين. لكنه يصير الداء القاتل الرئيسي لهن متى بلغن الخامسة والخمسين. وحين تصاب النساء بنوبات قلبية يرتفع احتمال وفاتهن في الاسابيع الاولى ضعفي ما هو لدى الرجال. وتظهر الاحصاءات أن ٣٩ في المئة من النساء اللواتي يُصبن بنوبة قلبية يمتن في غضون سنة، بالمقارنة مع ٣١ في المئة من الرجال. أما اذا اجتزن السنة الاولى فيبقى احتمال اصابتهن بنوبة ثانية ضعفي ما هو لدى الرجال.

إن سد النقص الحاصل في معلومات الاطباء لأمر بالغ الاهمية. فلقد خلصت دراسة أجريت عام ١٩٨٧ في كلية الطب بجامعة ألبرت أينشتاين في نيويورك الى أن الاطباء ينحون الى تشخيص ألم الصدر لدى المرأة على أنه "نفساني"، أكثر مما يفعلون لدى معاينتهم الرجال. كما أنهم لا يعمدون غالبا الى إحالة النساء اللواتي تأتي نتائج فحوصهن غير طبيعية على مزيد من الاجراءات الطبية.

وحتى عندما يأتي تشخيص مرض القلب صحيحا، فقد لا تعالج المرأة المصابة بمثل الاهتمام الذي يولاه نظيرها بين الذكور. وبحسب دراستين منفصلتين نشرتا في ٥ يوليو (تموز) ١٩٩١ وشملت احداهما نحو ٨٢ ألف مريض، تبين أن نسبة النساء اللواتي يُعتقد أنهن مصابات بمرض في القلب ويُخضَعْن للقثطرة[٧]

---

(٦) The Female Heart: The Truth About Women and Coronary Artery Disease

(٧) Cardiac catheterization

(التمييل) لا تتجاوز نصف نسبة الرجال المصابين الذين يخضعون لهذه العملية. والقثطرة إجراء تشخيصي يُعتمد لتحديد مدى أي انسداد. كما أن نسبة النساء اللواتي يخضعن للجراحة التحويلية وجراحة تقويم الاوعية هي دونها لدى الرجال. وهذه النتائج بالغة الاهمية لأن عدداً كبيراً من أولئك النسوة يعاني أعراضا حادة وإعاقات بالغة تفوق ما يعانيه الرجال.

ولربما كانت الضرورة القصوى هي إيصال هذه المعلومات الى النساء أنفسهن. مثال ذلك ما حصل مع مارجوري كوبر قبل يومين من عيد ميلادها الستين، إذ أحست، بينما كانت تريِّض كلبها، ألما صدريا فظيعا جعلها تخرّ على ركبتيها. فاستراحت حتى شعرت بتحسن، ثم عادت الى بيتها حيث تجاهلت الاعراض المتواصلة مدى ٤٨ ساعة. ولما ازداد الألم في صدرها وأعلى بطنها اتصل أحد أبنائها بأخيه الكبير جايمس منسق خدمات الطوارىء في أحد المستشفيات، فنقلها هذا فوراً الى هناك.

وأثبتت الفحوص صحة مخاوف جايمس، إذ تبين أن والدته أصيبت بنوبة قلبية خطرة. وفي غرفة العمليات توقف قلبها نهائيا ولم ينجح في احيائه علاج، فماتت.

يقول جايمس كوبر: "هناك كثير من الفرضيات. ولكن لو أدركت أمي أهمية العلاج السريع فلربما كانت لا تزال بيننا اليوم."

وفي دراسة أجراها طبيبا القلب ستانلي شميدت ومارك بورش من كلية الطب في جامعة فرجينيا، تبيَّن أن النساء أقل دراية باستخدام العقاقير المذيبة للجلطات وبأهمية العلاج المبكر. كما تبيَّن أن معدل الفترة التي تستغرقها النساء للاتصال بالمستشفى منذ لحظة ظهور الاعراض هو أربع ساعات، بالمقارنة مع ساعة واحدة لدى الرجال، علماً أن ٦٠ في المئة من الوفيات الناتجة من النوبات القلبية تحدث خلال الساعة الأولى من الاصابة.

التشخيص. يتباين الرجال والنساء أيضا حين يتعلق الامر بفحوص الامراض القلبية. فلاسباب لا تزال مجهولة، تُعطي فحوص دولاب الدوس[٨] – حيث يعدو المريض مراوحاً مكانه فيما تسجل الكترودات موصولة الى الصدر النشاط الكهربائي للقلب – نتائج ايجابية كاذبة تزيد نسبتها لدى النساء على ما هي لدى الرجال.

وفي فحص أكثر تطوراً، يُحقن الثاليوم[٩] المشعّ في أحد الاوردة لمراقبة تدفق الدم الى القلب خلال التمرين. فتأتي النتائج أحيانا مضللة لدى النساء. والسبب هو أن أثداء اللذي تغيِّر المسار الظاهر لحركة الدم المشعّ على شاشة الكمبيوتر التي يعتمدها الاطباء لتحليل النتائج. يقول الدكتور جونثان هالبرين

(٨) Treadmill test. وهو ما يعرف بفحص الاجهاد.
(٩) الثاليوم (thalium) عنصر فلزي يشبه الرصاص.

الاختصاصي بأمراض القلب: "قد يكون تشخيص أمراض القلب لدى النساء أصعب منه لدى الرجال."

ويحضّ الدكتور هالبرين كل امرأة تلاحظ أي تغير في حالها، خصوصا في ما يتعلق بالاعراض التقليدية لامراض القلب من انزعاج صدريّ وضيق في التنفس ودوار وتورُّم في الساقين، على استشارة طبيبها والتأكد من الحصول على جواب مقنع. ويضيف: "إنْ جاء رأي الطبيب مخالفا لما تعتقدين، فلا تخشي الثبات في موقفك."

جاءت امرأة الى هالبرين يوما تشكو خفقانا سريعاً في قلبها لم يوله طبيبها اهتماماً كبيراً. ويذكر هالبرين: "وجدت في قلبها خريراً استدعى جراحة ابدال صمام. هذه المرأة مثال نموذجي لمريضة تقول: ثمة خلل ما، ولا يهمني ما يقوله الطبيب. وقد ثبت أنها كانت مصيبة تماما."

العلاج. يقول الدكتور ديفيد كوبن الاستاذ في كلية الطب بجامعة ييل: "لو أصبتم بنوبة قلبية قبل ٢٠ سنة، لكان العمل الوحيد المستطاع هو تأمين بعض الشعور بالراحة. واذا كنتم، مثلا، تشكون ارتجافا بطينيا[١٠] لكُنا حاولنا معالجة قلبكم بصدمة كهربائية لاعادة النبض الى طبيعته. لكن أي أدوية لتصحيح المشكلة الطارئة أو تخفيف تضرر القلب لم تكن متوافرة آنذاك. أما اليوم فنلجأ الى العقاقير لاذابة الجلطات السادّة للشرايين، ونحقن النيتروغليسرين[١١] وريديا لتوسيع الاوعية الدموية، ونعطي حاصرات بيتا[١٢] لمنع تضرر القلب."

وكما تتباين نتائج تشخيص أمراض القلب بين النساء والرجال، كذلك يتباين العلاج. وتوصف جراحة القلب التحويلية غالبا لتخفيف ألم الصدر لدى الرجال. وهي مفيدة اذا نجحت، لكن خطر اعتمادها لدى النساء يصل الى ضعفين. وقد رأس عالم الاوبئة جيرالد أوكونور دراسة حديثة شملت أكثر من ٣٠٠٠ مريض أجريت لهم جراحة تحويلية، فتبين أن نسبة النساء اللواتي توفين نتيجة الجراحة بلغت ٧،٣ في المئة بالمقارنة مع ٣،٢ في المئة من الرجال. ويورد الباحثون تفسيرين لهذا التفاوت، أولهما أن النساء يكنّ عادة أكثر اعتلالاً عندما يُحَلْن على الجراحة التحويلية، وثانيهما أن صغر شرايين النساء يجعل الجراحة أكثر صعوبة.

وغالباً ما تكون العلاجات الصالحة للرجال صالحة للنساء أيضاً. وقد ارتأت دراسة حديثة قادتها عالمة الاوبئة الاستاذة جوان مانسون أن النساء اللواتي يتناولن ما بين حبة أسبيرين واحدة وست حبّات أسبوعيا يخفضن، كالرجال، خطر إصابتهن بنوبة قلبية أولى. (استشيروا طبيبكم قبل اعتماد الاسبيرين علاجا ذاتيا.)

---

(١٠) Ventricular fibrillation
(١١) Nitroglycerine
(١٢) Beta blockers

وتشير الابحاث الحالية الى أن علاج تعويض الاستروجين[١٣] يمكن أن يخفف خطر الاصابة بنوبة قلبية بنسبة تصل الى نصف في المئة بين النساء اللواتي اجتزن سن اليأس[١٤] واللواتي استؤصلت أرحامهن[١٥]. ومع أن هذا العلاج قد يزيد خطر الاصابة بسرطاني الثدي والرحم لدى بعض النساء، يتفق معظم الاطباء على أن فوائده تفوق مساوئه بالنسبة الى معظمهن. (راجعي طبيبك.)

وفي ما يأتي أمور تتوجب على النساء معرفتها لتحصين أنفسهن:

الوقاية. كثير من عوامل الاصابة بمرض القلب هي ذاتها عند النساء وعند الرجال: البدانة وارتفاع ضغط الدم والسكري وارتفاع نسبة الكولسترول والتدخين. على أن الخطر الذي يتهدد النساء يفوق، في كثير من الحالات، ذلك الذي يتهدد الرجال.

فارتفاع مستويات التريغليسريد،[١٦] وهي البنية الكيميائية لمعظم الدهون في الجسم، يجعل النساء أكثر تعرضاً للاصابة بنوبات قلبية. ويقدَّر أن ثلث الاصابات بأمراض القلب عموماً لدى النساء مرتبط بالبدانة.

كذلك يتنامى اعتبار الاجهاد من عوامل الخطر المهمة. فلقد بينت دراسة أجريت عام ١٩٨٩ على رجال ونساء يديرون مصنع سيارات في أسوج (السويد) أن الرجال يسترخون على نحو أسرع لدى عودتهم الى منازلهم بحيث ينخفض ضغط دمهم وتهبط مستويات هرمون النورادرينالين[١٧] في أجسامهم، بينما يبقى الجهاز العصبي لدى النساء "مشدوداً" مدة أطول.

ومن أسوأ عوامل الخطر التدخين الذي يسبب ٥٠ في المئة من النوبات القلبية لدى النساء الشابات والمتوسطات الاعمار.

ويبلغ الخطر ذروته لدى المدخِّنات اللواتي يتناولن أقراص منع الحمل، بحيث يتعرضن للاصابة بنوبات قلبية بنسبة ٣٩ في المئة أكثر من النساء اللواتي لا يدخِنَّ ولا يتناولن أقراصاً.

يقول الدكتور هالبرين: "إن السيطرة على معظم العوامل المسببة لأمراض القلب أمر ممكن، وهي مفتاح الحل. فاذا ما غيَّرت امرأة نمط حياتها في سن مبكرة، حين لا تكون معرضة بدرجة عالية لخطر الاصابة بأمراض القلب، يتضاءل احتمال اصابتها لاحقاً بأزمات قلبية."

موجز القول إن على النساء أن يدركن، كما الرجال، أن صحتهن وقف عليهن. وتناشد الدكتورة ليغاتو كل امرأة في العالم: "لقد ولدتِ بقلب واحد، لذا فان كل ما تفعلين لابقاء قلبك قوياً حسن الاداء هو أمر يستحق العناء."

بير اولا واميلي دولير ■

(١٣) Estrogen-replacement therapy
(١٤) Menopause. وهي مرحلة ما بعد انقطاع الدورة الشهرية.
(١٥) Hysterectomy
(١٦) Triglyceride
(١٧) Noradrenaline

كونوا الملاك الحارس لأولادكم المراهقين

يواجه اولادكم المراهقون دعوات خطرة من رفاقهم تحضّهم على معاقرة الخمر وتعاطي المخدرات والتغيب عن المدرسة.
لكن في وسعكم أنتم مساعدة اولادكم على دحر هذه الضغوط

كانت شيلي (١٤ عاما) تستمتع برفقة زميلها في المدرسة جو وهو فتى وسيم. وذات يوم أخذ جو وجهها بين يديه محاولا تقبيلها فاعتراها الخوف وتراجعت قائلة: "لا، أرجوك." واذ اصرّ زعقت صرخة مدوية فابتعد عنها جو غاضبا، متجهم الوجه.

وفي المدرسة أخبر جو الجميع بأن شيلي "معقّدة" وتتصنع الحشمة. فاحمرت وجنتاها خجلا فيما راح زملاؤها يسخرون منها ويضحكون.

لقد خبرت شيلي الناحية السيئة من ضغط الرفاق الذي بات مشكلة مستشرية في أوساط الشباب. وأظهر استطلاع أجرته "أندية الفتيان والفتيات في أمريكا" وشمل ٣٢٨٢ مراهقا ومراهقة، أن ثلثي هؤلاء تعرضوا لضغوط من رفاقهم لحملهم على معاقرة الخمر أو تعاطي المخدرات أو ممارسة الجنس. كما واجه ٤٠ في المئة منهم ضغوطا لكي لا يجتهدوا في مدارسهم.

تقول جودي ليس – مونتيليون التي وضعت برنامجا لمساعدة الطلاب في المرحلة الثانوية على جبه ضغوط رفاقهم: "لقد باتت المراهقة أكثر صعوبة مما

مضى. وتبدأ الخيارات والمسؤوليات باكرا، وكثيرون هم الاولاد الذين يبحثون عن الحب والثقة في أماكن غير مناسبة."

يشاهد الاولاد ويسمعون على شاشات التلفزيون ألوف الاشارات والعبارات الجنسية. وتساهم التلفزة والسينما والموسيقى في اظهار الخمر والجنس والمخدرات والفشل أمورا مسلية بعيدة عن أجواء القلق. وفي البيت يتحجج مراهقون صغار بأن الجميع يأتون مثل هذه الاعمال.

وفيما يشعر أولياء كثر بعجزهم عن تغيير الامور، يؤكد لهم الخبراء أنهم حاليا في موقع أفضل لمساعدة أبنائهم على مقاومة الحاح زملائهم وازعاجاتهم. وتبين دراسة أجرتها العالمة النفسانية ليندا غروسمان أن الاولاد الذين تدربوا مع أوليائهم على تقنيات لفرض أنفسهم في المجتمع باتوا، بعد سنتين، أقل من أترابهم تعرضا لادمان المخدرات. وتضيف غروسمان: "ان تدخل الاهل هو العنصر الاساسي والحاسم في قدرة الولد على مقاومة ضغوط أنداده." ويوافقها العالم النفساني جون كلابي مضيفا: "ما برح للاولياء التأثير الاهم في المراهقين، ولاسيما في أوائل سن المراهقة."

اليكم ما يمكنكم فعله:

أعطوا كل أمر حقَّه. لكي تتعرفوا الى شؤون أولادكم وشجونهم عليكم بالاستماع اليهم يوميا. يقول جايمس فانترس وهو مدير ناد للشبيبة: "لا تستمعوا الى أولادكم وأنتم تشاهدون التلفاز أو تقرأون صحيفة، بل انظروا اليهم وأعطوهم اهتمامكم الكلي، فأنتم لستم في حاجة الى الاستماع فقط بل الى الفهم أيضا. والاولياء الذين يبذلون هذا الجهد الاضافي يشكلون فارقا أساسيا في حياة أولادهم."

واجهوا المخاوف. أن يكون المرء مختلفا عن الآخرين او أضحوكة في أعينهم أو أن يخاطر في خسارة أصدقائه، كلها أمور مخيفة بالنسبة الى أولادكم. لذا بددوا مخاوفهم من خلال شرحكم النتائج المحتملة لافعالهم. هل رفض شرب الخمر في احدى الحفلات يؤدي الى ازدراء الاصدقاء لهم؟ وهل رفض ممارسة الجنس يعني نهاية علاقة عزيزة؟ تقترح ليندا غروسمان أن يناقش الاولياء مع أولادهم "مدى احتمال خسارة صديق حق بهذه السهولة. أخبروهم كم الاختلاف عن الآخرين شاق وكم يعتبر الاقدام عليه تصرفا شجاعا وناضجا."

تقول مولي (١٨ عاما): "لم أخسر أصدقائي عندما رفضت التهرب من المدرسة كما يفعلون. فالاصدقاء الحقيقيون يتقبلون تباين الآراء. ومع الوقت ترك معظمهم المدرسة، أما أنا فأكملت دراستي وأنوي دخول الجامعة السنة المقبلة. وأنا مسرورة لانني قلت "لا" آنذاك."

يصبح الاولاد أكثر استعدادا للاصغاء الى ذويهم عندما يدركون أن البالغين يتعرضون هم أيضا لضغوط من أندادهم. بيِّنوا لاولادكم كم يشق عليكم أن تقولوا "لا" لاناس تحبونهم. فالاولياء الذين يقاومون ضغوط أندادهم يعطون أولادهم درسا قيما.

اعقدوا جلسات تمرين. التمرن على جبه أوضاع صعبة يساعد على صقل مهارة الاولاد وثقتهم بأنفسهم. ويمكن أن يتضمن التمرين تمثيل دور صديق يقدم سيجارة أو خمرة أو مخدرات الى ولدكم أو رفيق يأبى أن يُرفض طلبه المزعج.

في برنامج أعدته غروسمان، يتمرن الاولياء والمراهقون على ألفاظ بسيطة مثل "لا، شكرا" أو حازمة مثل "لا أريد أن أفعل ذلك" أو ملؤها الثقة مثل: "أنا لست في حاجة الى هذه الاشياء، ولا حاجة بي الى أن أكون مثل الآخرين." وتتضمن تقنيات أخرى تجاهل الشخص الضاغط ومغادرة المكان والتهديد بكشف أمره لشخص مسؤول.

ان استعدادا مماثلا ساعد كاثي على رفض كتابة واجب مدرسي لصديقتها باتي. تقول كاثي: "لقد ضغطت علي باتي كثيرا، لكني تمرنت مع أهلي على قول "لا" حتى بت أتقنها. وعندما كررت باتي طلبها أجبتها: أنت أعز صديقة لدي، لكني لا أستطيع أن أساعدك لئلا يكتشف الاستاذ أمرنا ونقع في ورطة. فغضبت باتي، لكنها أدركت أنني على حق، وما زلنا صديقتين، وهي لم تعد تزعجني بطلباتها."

عززوا احترام الذات. في وسع الاهل تخفيف ضعف أولادهم وتأثرهم بالضغط من طريق تدعيم احساسهم بذواتهم. اسألوا أولادكم عن آرائهم، واعهدوا اليهم في مسؤوليات تلائم أعمارهم، واهتموا بما يفكرون ويقولون ويفعلون. ان تنامي الشعور باحترام الذات من خلال هذه المعاملة يساعد أولادكم على التجرؤ في الاختلاف عن أندادهم وعلى قول "لا" عند اللزوم.

أما الطريقة الاخرى لبناء احترام الذات فهي بتشجيع أولادكم على الانشغال في هوايات أو التطوع لتأدية بعض الاعمال أو الانضمام الى ناد مدرسي أو تولي عمل جزئي. فمن شأن هذه النشاطات محاربة الضجر وتعريف أولادكم الى أصدقاء يشاطرونهم القيم ذاتها. دعوا أولادكم يختارون هواياتهم بأنفسهم وأظهروا اهتمامكم بها من خلال حضور المسرحيات أو الحفلات أو المباريات التي يشاركون فيها.

يقول طوم شويلر وهو مستشار تربوي: "الاولاد المنشغلون باهتمامات وهوايات والذين يتعاطون مع الضغط بايجابية هم أقل عرضة للاستسلام."

أثنوا على الزملاء الصالحين. قد يسأم الاولاد سماع البالغين ينصحونهم

بالرفض تكراراً. ولكن قد يكون للنصيحة عينها أو التحذير عينه الصادرين عن مراهق آخر تأثير قوي. وتسليما بصواب هذه الملاحظة، فإن طلاباً ورياضيين مميزين أخذوا على عاتقهم ارشاد طلاب آخرين الى أهمية أخذ موقف حازم وخيارات ايجابية وتجنب التصرفات الرعناء.

وقد يصبح المثال الذي يعطيه أحد الاصدقاء نقطة تحول في حياة الاولاد. كيفن (١٧ عاما) تلميذ لامع تعاطى المخدرات فترة وعانى مشاكل في المدرسة. ثم توفي صديقه ماني في حادث دراجة نارية.

يقول كيفن: "ترك ماني في حياته تأثيراً ايجابيا في كثيرين، وقد حملني موته على التفكير في ما أريد أن أفعل بحياتي. فشرعت أهتم بصحتي وأجتهد في دروسي، ثم تدربت لأصير مستشاراً لزملائي."

لتكن المحبة حافزكم. عندما يتداعى حزم أولادكم ويتقاعسون عن أخذ القرار، عليكم أن تتدخلوا.

منعت سالي ابنها براد (١٤ عاما) من الذهاب الى حفلة برفقة صديق. وتتذكر سالي: "قلت لبراد اني أحبه ويهمني أمره، لكني لا أستطيع السماح له بالذهاب. وحرصت على أن تبقى نبرة صوتي محبة، وأضفت مازحة أنه سوف يشكرني عندما يصبح في الثلاثين. فتذمر براد واحتج لكن بلا حماسة شديدة. وأظنه كان قلقاً في شأن الحفلة وقد خفف تدخلي عن كاهله."

عندما تشعرون بضرورة تحذير أولادكم من صداقة ما، حاذروا قطع هذه الصداقة والا منحتم الصديق غير المرغوب فيه سلطة أكبر مما لديه. وتقول غروسمان: "يستحسن أن تعبروا عن قلقكم من دون دخول نزاع على السلطة."

يمكن تفادي الازمات من خلال التدخل باكراً وجعل أولادكم يشعرون بأنهم محبوبون من دون قيد ولا شرط. لكن الامر ليس سهلا، خصوصا مع المراهقين. وتكرار عبارة "سوف أحبك دائما" في الاوقات السعيدة والاوقات العصيبة على حد سواء قد يعني الكثير بالنسبة الى ولدكم ويعزز قدراته في التغلب على ضغط أنداده.

كاثلين ماكوي ■

محنة مشوقة

اصبت بـ"ديسك" اذ انزاحت فقرتان في أسفل ظهري لدى محاولتي زحزحة الغسالة. فتقاطرت عليّ الصديقات والجارات واهتممن بكل شؤون المنزل من غسل وكيّ وطهو. وعادتني صديقة مرة، وهي أمّ مشغولة على الدوام. واذ رات هذه العناية الفائقة التي أحطت بها انحنت عليّ وهمستْ: "اخبريني بالضبط كيف انحنيت حين حاولتِ زحزحة الغسالة."

س.ب.



نقتني أجهزة متطورة
لكننا لا نحسن استعمالها!

تكنولوجيا معقّدة لحياة بسيطة

تستيقظ في الصباح فتجد فمك جافا وجسمك مبللاً بالعرق. وترى أن درجة الحرارة في المنزل مرتفعة جداً لانك لم تعرف مطلقاً كيف تبرمج "ترموستات"[١] التدفئة المركزية الذي أنجبته التكنولوجيا العالية قبل سنتين.

وفي المطبخ تضع كوب ماء في فرن الـ"ميكروويف"[٢] الذي يرجع عهده الى ثلاث سنوات. وتشعر بأسى لأنك لم تكتشف من أوجه استخدامه الا تسخين الماء لتحضير القهوة السريعة واذابة الجليد عن الطعام.

وفي السيارة تتلمس بارتباك أزرار الراديو الرقمية محاولا تحويلها عن

(١) الترموستات اداة لضبط الحرارة.
(٢) microwave اي الموجة الصغرى.

CONDENSED FROM CHICAGO TRIBUNE MAGAZINE (FEBRUARY 11,'90), © 1990 BY CHICAGO TRIBUNE CO., CHICAGO, ILL. ILLUSTRATION: MORT DRUCKER

موسيقى الروك التي كانت ابنتك تستمع اليها. وما هي الا لحظات حتى تجد أن سيارتك انحرفت ٤٥ درجة عن مسارها فيما أنت تجهد في تبيُّن ضوابط الراديو وقيادة السيارة في آن. واذا ببوق قريب جداً ينهرك ويرغمك على اتباع الخط الصحيح. تشعر باحباط فتقفل الراديو وتكمل طريقك الى المكتب بصمت يائس.

تدخل مكتبك. وقبل أن يتسنّى لك نزع معطفك يرن جرس الهاتف. انه رئيس الشركة يتصل من خارج البلاد وقد طلب رقمك خطأ بدلا من رقم مديرك، لذا يطلب منك تحويل الاتصال بسرعة. ولكن على رغم أنك تستخدم الجهاز منذ سنة فانك لم تتعلّم طريقة التحويل، فتضغط الزر الخطأ وتقطع الاتصال.

قد يكون في هذا السيناريو[٣] شيء من المغالاة، الا أنه ليس بعيد الاحتمال. وهذا ما يراه لورنس ب. فيلدمان أستاذ مادة التسويق في جامعة إيلينوي بشيكاغو، وهو الذي درس طرائق الناس في استخدام الادوات المنزلية التي أنتجتها التكنولوجيا العالية. ويعتقد فيلدمان أن المنزل صائر الى الامتلاء بأدوات متطورة نادراً ما تستخدم بطاقاتها الكاملة لانها معقّدة يصعب تشغيلها.

يقول فيلدمان: "يشتري الناس هذه الآلات بحسن نية وفي اعتقادهم أنهم سيتعلمون طرق استخدامها. وحين يخفقون في فهم كتب الارشادات، يخافون من وفرة الازرار والمفاتيح ولا يشغّلون الا ما هو مخصص للوظائف الأساسية."

ولا يخفى عمق الاحباط الذي يشعر به الزبائن. لنأخذ، على سبيل المثال، باتريسيا وزوجها بيل. اشترى الزوجان قبل أسابيع جهاز تلفزة ستيريو وجهاز فيديو ستيريو وجهاز فونوغراف مدمّجاً (كومباكت ديسك).

تقول باتريسيا: "لكل منها جهاز تحكم من بُعد.[٤] وذلك الذي للفونوغراف يحوي ٦٤ زراً. ولي إلمام بوظائف بعضها مثل AM/FM. ولا جدوى من قراءة الارشادات، انها كاللغة الصينية."

وقد وجدت باتريسيا وسيلة مبتكرة لمعالجة مشكلة أجهزة التحكم الثلاثة: انها تتقدم من الاجهزة وتشغّلها يدويا.

ويدرك الزوجان مدى الهدر التكنولوجي في عدم إلمامهما بوظائف الازرار الغامضة، لكنهما لا يخجلان لجهلهما. ويقول بيل: "لقد نال صهري شهادة تقدير لعمله الرائع في تصميم برامج كمبيوتر لآلات التصوير القمري في برنامج أبولو الفضائي. لكنه يعترف من دون مواربة بأنه عاجز عن تشغيل جهاز الفيديو في بيته. فاذا كان هو لا يخجل لجهله، فلماذا أخجل أنا؟"

ولا ينحى فيلدمان باللوم على غباوة الزبائن وعدم كفايتهم. بل يعتقد أن أساس المشكلة هو التصميم السيىء. وكثيرون من خبراء التكنولوجيا يرتبكون أمام بعض الآلات.

وفي كتاب "سيكولوجيا الاشياء اليومية"[٥] يذكر دونالد أ. نورمان أن رجلا

---

(٣) السيناريو نص مسرحي او سينمائي.
(٤) Remote control
(٥) The Psychology of Everyday Things

محبطا ساخطا على ساعته الرقمية الجديدة قال له: "أنت تحتاج الى شهادة في الهندسة لتعرف كيف تشغل هذه الساعة."

ويضيف نورمان: "حسنا، أنا أحمل شهادة في الهندسة. امهلوني بضع ساعات فأحلّل طرق تشغيلها. ولكن لماذا يستغرق ذلك ساعات؟"

تشارلز أوين أستاذ في معهد إيلينوي للتكنولوجيا ومستشار في مشاكل التصميم لدى بعض شركات التكنولوجيا العالية، اشترى حديثا آلة تصوير متطورة، وهو يقول متذمرا: "كلما تعين علي استخدام احدى تقنيات الكاميرا، تعين علي في المقابل تمضية ساعة في مراجعة كتيِّب الارشادات."

ويتهم أوين أصحاب المصانع بعدم الاكتراث للزبائن، اذ تصدر كتب الارشادات كأنها تفسيرات لافكار خطرت سابقاً. فلو حُذفت الكلمات الاصطلاحية في هذه الارشادات وتُرجمت الى لغة سهلة مفهومة، لسَهُل استخدام المنتجات التكنولوجية.

فاذا كانت تعقيدات التكنولوجيا العالية عائدة الى التصميم السيىء وغموض الارشادات، كما يدعي بعض النقاد، فلماذا يتغاضى المستهلكون عن هذا الامر؟ ولماذا تقتني جهاز فيديو يسجل أربعة برامج تلفزيونية ويبرمَج لمدة ١٤ يوما، اذا كنت لا تستخدمه الا لمشاهدة أشرطة مسجلة؟

يقول نورمان: "ما دام الناس يعتقدون أن سواهم قادر على استخدام الاداة، فهم يلومون أنفسهم. لا أحد يريد أن يعترف بأنه واجه صعوبة. تلك هي مؤامرة التستّر والصمت."

وقد يشتري الناس أدوات متطورة رمزاً لعلو المقام، وغالباً ما يغرّهم مظهر هذه الادوات كما تغرّهم وظائفها المفترضة. وتستخدم احدى ربات البيوت زرَّين من أصل ١٧ زراً في فرن الميكروويف الذي اشترته، وهي اختارت ذلك النموذج لانها لم ترغب في النموذج الذي "يبدو رخيصاً" ويدار بقرص.

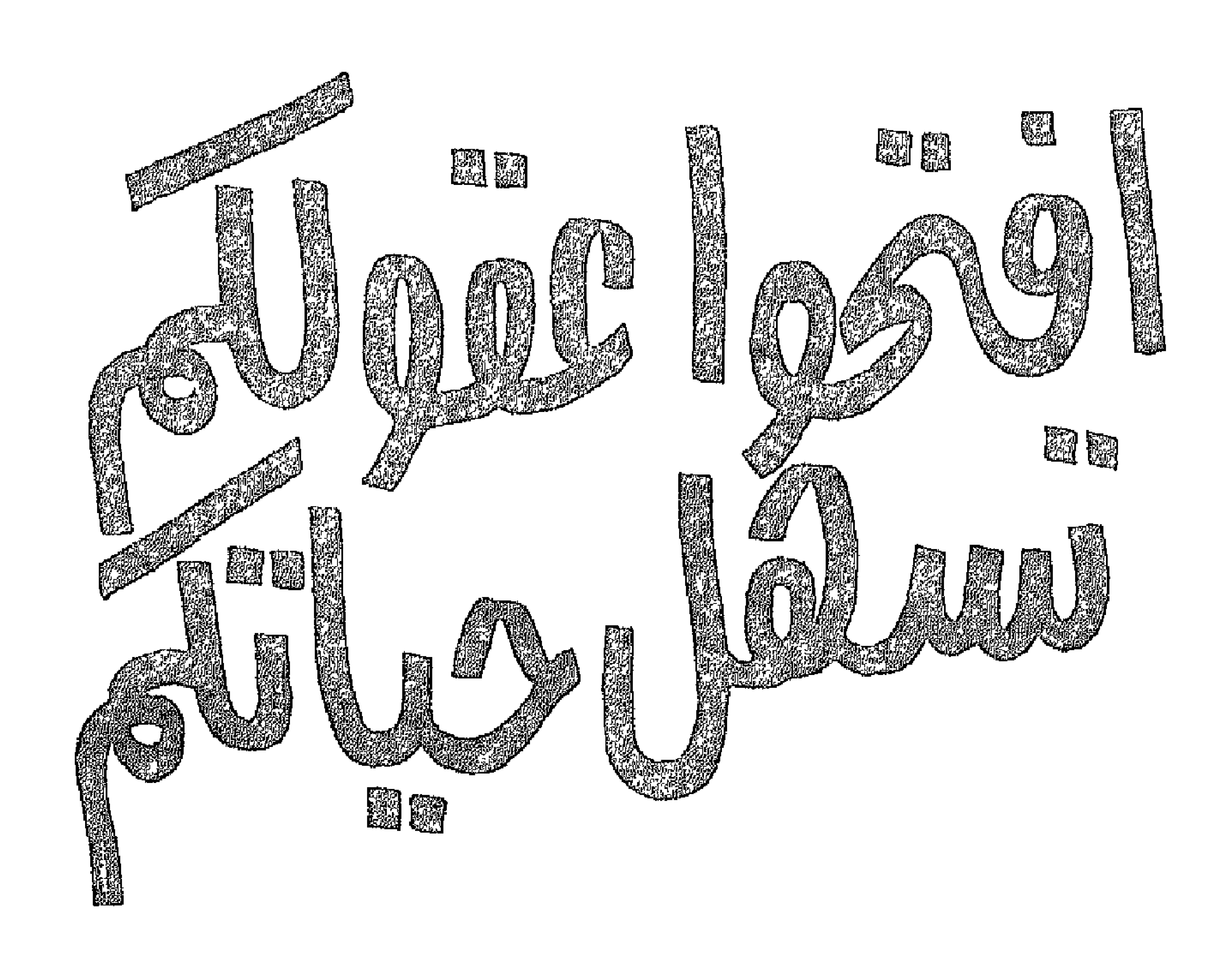
اذا استمر الناس في شراء الادوات المتطورة على أساس المظاهر، فذلك ما يقدمه اليهم أصحاب المعامل. فاذا كانت التطويرات المعقدة لا تؤثر في المبيعات، فلماذا يتكلف أصحاب المعامل نفقات تبسيط التصاميم؟

ويتوقع أوين أن تؤدي المنافسة الى فرض تحسينات كبيرة على تصاميم التكنولوجيا العالية، ويقول: "الشركة التي تصنع منتجات يفهم المستهلك طرق استخدامها هي التي ستبرز في الاسواق العالمية."

والى أن يطالب المستهلكون بمنتجات متطورة سهلة الاستخدام تبقى توقعات أوين من دون أساس. ونحن لا نزال متساهلين، فكلما ظهر شيء جديد في الاسواق بادرنا الى شرائه ونحن عالمون في أعماق قلوبنا أن هذه الآلة الجهنمية ستحيِّرنا ولن نعرف طريقة استخدامها.

واذا شعرت بالغباوة فلا تبتئس، ولا ترتبك، ولا تخجل، لأن لك زملاء كثيرين.

وليم مولن ■



كثيراً ما نتقوقع في المألوف فنعمى عن وقائع طارئة قد تأتي نتائجها وخيمة

لا ينجو أحد من ارتكاب أخطاء غفلة مثل اقفال أبواب سيارة والمفاتيح داخلها أو القاء جوارب متسخة في سلة المهملات.

يروي أحد الاصدقاء هذه الطرفة عن ثلاثة أجيال من التصرف اللاواعي: كانت زوجة شابة تعد لطهور طبق روستو، فاقتطعت شريحة من اللحمة قبل وضعها في القدر. وعندما سئلت عن السبب أجابت إن أمها تفعل ذلك عندما تعدّ طبق روستو.

استثار السؤال فضول الشابة فاتصلت بأمها لتسأل عن السبب.

جاء رد الام مطابقاً: "هذه هي الطريقة التي اعتمدتها أمي."

اتصلت الشابة بجدتها وسألتها لماذا تقتطع شريحة من اللحم قبل طهو الروستو. فأجابت الجدة: "لانها الطريقة الوحيدة لادخال قطعة اللحم في القدر التي أملكها!"

تراوح نتائج التصرف الآلي بين البسيطة والكارثية. وتظهر الامثلة الآتية

كيف نعطّل تفكيرنا البديهي عندما نعتبر معلوماتنا صحيحة بصرف النظر عن الظروف المحيطة بها. والواقع أننا اذا احتفظنا ببداهتنا ووعينا نبقى مسيطرين على مجريات الامور فيما نحن منفتحون على الاحتمالات الكثيرة في الحياة.

التفكير في المطلق. اجريت مرة تجربة لمعرفة ردود فعل الناس على المشاكل التي يواجهونها. وقفت زميلة لي على ناصية شارع تكثر فيها الحركة، وأخبرت أحد المارة أنها لوت ركبتها وتحتاج الى مساعدة. وطلبت منه أن يحضر لها ضمادة من نوع معيَّن من الصيدلية القريبة. وكان الصيدلي وافق على القول ان هذا النوع من الضمادات نفد لديه.

لم يفكر واحد من المارة الخمسة والعشرين الذين أخضعناهم للتجربة في سؤال الصيدلي عما اذا كان يوصي بنوع آخر من الضمادات.

من المؤسف أن يهمل الناس البحث عن خيارات بديلة ما ان يضعوا نصب أعينهم حلاً معيناً.

أيا تكن المشكلة فاننا نستطيع أن نجد خيارات أكثر اذا أدركنا أن لا اجابات صحيحة في المطلق بل مجموعة من الحلول الممكنة.

الوقوع في مصيدة التصنيف. عندما كنت لا أزال تلميذة، اشتكت جدتي لأمي من أن أفعى تزحف داخل جمجمتها وتسبب لها صداعا. واعتبر الاطباء هذا الوصف غريبا وشخصوه على أنه خرف.

وحين توفيت جدتي بعد سنة، كشف التشريح ورما في دماغها. وقد شاركتُ والدتي في ألمها وشعورها بالذنب. ولكن هل كان في امكاننا نحن الاثنتين أن نشك في تشخيص الاطباء؟ لم أتوقف عن التساؤل لسنوات طويلة لاحقة كيف تركنا أنفسنا نقع في مصيدة التصنيفات. لقد افترض الاطباء، اذ واجهتهم امرأة مسنّة تتفوه بكلام غريب، أنها لا بد خرفة. واعتبرنا، أنا ووالدتي، أن الاطباء خبراء بالامر وافترضنا أنهم يعرفون أكثر من الجميع.

حين تواجهون مشكلة جديدة، دققوا في كل فَرَضيّاتكم قبل أن تخططوا ما ستفعلون.

عمى المألوف. كثيرا ما يخدّرنا ايقاع المألوف ويعطل فعل العقل. مرة أعطيتُ أمينة صندوق في متجر بطاقة اعتماد جديدة، فلاحظَتْ أنني لم أوقِّعها بعد، فردتها الي لاوقِّعها، ثم أخذت البطاقة ومرّرتها عبر الآلة التي تنسخها على الفاتورة وسلمتني هذه لاوقِّعها ففعلت. وبحركة آلية أدنت أمينة الصندوق الفاتورة من البطاقة لترى ما اذا كان التوقيعان متطابقين.

لم يكن خطأ أمينة الصندوق* في هذه الحال أكثر من طرفة أرويها. لكن اعتياد

(*) على صاحب بطاقة الاعتماد (credit card) ان يوقعها حالما يتسلمها.

طريقة رتيبة في عمل ما تحجب عنا واقعاً حاضراً قد يؤدي الى نتائج قاتلة.

تحطمت طائرة في واشنطن في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢ فقتل فيها ٧٨ شخصاً. كانت في رحلة عادية من واشنطن الى فلوريدا ويتولاها طاقم ذو خبرة كافية. فماذا حدث اذا؟ أشارت التحقيقات الى أن الخطأ وقع في الكشف الروتيني الذي يجريه قائد الطائرة ومساعده قبيل الاقلاع للتأكد من سلامة الاجهزة، وهما فعلا ذلك كما اعتادا دائما. لكن أدلة ظهرت لاحقاً أشارت الى أنهما، خلافا لما اعتقدا، لم يكونا يفكران في ما كانا يفعلان، اذ تبين أن أحد الاجهزة التي تحققا منها ولم يهتما بتشغيلها كان جهاز اذابة الجليد عن المحركات، ولم يكن الطياران هذه المرة في أجواء الجنوب الدافىء، اذ كان الثلج يسقط، وتراكم بعض منه على الجناحين. وتحطمت الطائرة أثناء الاقلاع، والسبب الرئيسي هو أن الطيارين عجزا عن مواجهة مشكلة الثلج المتراكم لاهمالهما تشغيل جهاز اذابة الجليد.

التعميمات الجارفة. ننزع، نحن البالغين، الى استخدام عبارات عمومية فضفاضة لتبرير ما نكره أو ما نعتبره مشكلة. خذوا مثل الرجل الذي يعلن أنه يكره الشتاء. قد يكتشف هذا الرجل، لو جعل أفكاره أكثر تحديداً، أن ما يضايقه في الشتاء هو احساسه بأن الثياب الثقيلة تقيد حركته. وقد تغيّر نظرتَهُ سترةٌ واقية خفيفة أو نظام تدفئة أفضل في سيارته.

أو خذوا مثل زوجين يتجادلان حول جدوى شراء مكيف هواء. هي لا تحتمل الحرارة، وهو يعارض الشراء مدعيا أن يصاب بـ"زكام المكيف" في المكتب. ربما كان الحل الافضل بارتدائه سترة في المكتب وبوضع مروحة تكييف في علّية البيت.

انكم تضاعفون قدرتكم على حل مشكلة ما اذ أجبرتم أنفسكم على التفتيش بعناية أكبر عن السبب المحدد لعدم رضاكم.

التقوقع الفكري. كثيراً ما يفكر الناس آلياً في ما لا يستطيعونه بدل التفكير في ما يستطيعون. أخبرني مؤلف موسيقي شاب عن عجزه الدائم عن اكمال ألحان كان يبدأ تأليفها. واستمر احساسه بالفشل حتى تمكن من وضع مشكلته في اطار فكري جديد. فبدلاً من النظر الى نفسه على أنه عاجز، ركز على موهبته في ابداع الافكار الموسيقية الاساسية، ثم عمد الى الاستعانة بمؤلف موسيقي يجيد وضع التفاصيل الموسيقية، وشكل الاثنان فريقا متميزاً خصب الانتاج.

وقد يؤدي هذا الاسلوب الى فوائد أهم. تعتقد غالبية الناس، مثلا، أن الالم ملازم للجراحات ولا يمكن التغلب عليه الا بالمسكنات.

أجريت وبعض زملائي تجربة عمدنا فيها الى اقناع عدد من المرضى الذين

ينتظرون اجراء جراحات رئيسية، بأن يضعوا آلامهم في أطر فكرية أخرى. طلبنا منهم أن يتخيلوا أنفسهم يلعبون الكرة أو يعدّون طعاما لحفلة. ومعلوم أن لاعبي الكرة يكادون لا يشعرون بآلام الرضوض التي يصابون بها أثناء تدافعهم في اللعب، وكذلك هو الامر بالنسبة الى سيدة دهمها الوقت وهي تحضر مأدبة عشاء لعشرة مدعوين. ومن جهة أخرى، يشعر شخص بألم حقيقي اذا خدشه حد ورقة من تقرير ممل يقرأه أثناء عمله.

أكدنا للمرضى، مستخدمين أمثلة كهذه، أن الاحساس بالالم، أمر يمكن تجنبه ومواجهة تأثيره بالطريقة التي ينظرون من خلالها الى وضعهم.

رأى مسؤولون في المستشفى، من غير أن يدروا بنظريتنا، نتيجة استخدام المسكنات ومدة تأثيرها في مرضى هذه المجموعة بالمقارنة مع مجموعة أخرى لم يتلق أفرادها أي نصائح. فتبين أن مرضانا، الذين دُرِّبوا على وضع الاحساس بالالم في أطر فكرية غير مرتبطة بالخطر، تناولوا مسكنات أقل وغادروا المستشفى في وقت أقصر. واكتسب المشاركون في الاختبار مقدرة أكبر على التحكم بفترة النقاهة عندما وضعوا تجربتهم الجراحية في أطر مختلفة ونظروا اليها بخيال أوسع.

اذا شئنا أن نصل بآمالنا وحياتنا الى حيث نريد، فنحن كلنا نحتاج الى الابداع والوعي بحيث نبقى منفتحين لتقبل معلومات ورؤى جديدة.

ايلين لانجر ■

تكنولوجيا!

التحقت بمقرر تعليمي في الجامعة موضوعه "تاريخ التكنولوجيا." وجاء في خلاصته انه متابعة لتطور التكنولوجيا من أيام الرومان الى الثورة الصناعية، ودراسة لوقع هذا التطور على المجتمع أي - بكلام آخر - دراسة تأثير الآلات في حياة الناس.

وحين دخلنا قاعة الصف ذات يوم اخبرنا الاستاذ أن في وسعنا الانصراف. ولما سألناه عن السبب اوضح أن مسجلة الفيديو تعطلت.

ت.ك.

حديقة الكنز

اهمل جيراننا تشذيب نباتات حديقتهم أربعة عشر عاماً، فنَمتْ وكثفت وشكّلت ستارا أخضر لحديقتنا. وذات يوم سمعنا خلف العلّيق اصواتاً وكلمات تنمّ عن بحث حثيث جارٍ تؤكّده صيحات اكتشافات متتالية: طابة! لعبة! حذاء!

أخيراً سمعنا صيحة ظافرة أكّدت لنا ان المطلوب قد وُجِد: جزّازة العشب!

ج.س.



الصّبيان الضائعون

معاقون عقلياً أنقذتهم امرأة وفتحت أمامهم أبواب الحب والعناية

وقف اثنا عشر رجلاً يغنون ملء قلوبهم على منصة في الهواء الطلق في بلدة مارغيت الساحلية بمقاطعة كنت البريطانية، وهم يرتدون بزات زرقاء ورمادية. وكان الناس المتنزهون في الحديقة العامة والجالسون على مقاعدها يبتسمون ويصفقون ويغنون معهم.

السيدة التي ترتدي الثوب الاحمر هي دوريس بارغيتر. والرجال هم "فتيان دوريس."

تملك دوريس بيتين وفندقاً سابقاً في مارغيت، حوّلتها منازل لـ ٥٤ رجلاً متخلفين عقلياً أو مصابين بعاهات خلقية أو دماغية تعوق قدرتهم على التعلّم. وتترجّح أعمارهم بين ٣٦ و٩٢ عاماً، لكن "عمرهم الذهني" هو في حدود ست سنوات أو سبع. وبعضهم لم يعرف النطق في حياته. وقد سُرِّح معظمهم من مؤسسات مقيتة أدخلوا اليها منذ طفولتهم وغشاهم النسيان.

PHOTOGRAPH: JULIEN NIEMAN

تقول دوريس الكثيرة التواضع في الكلام على جهودها المتواصلة: "كل ما فعلته هو أنني أعطيتهم الحب والعناية والامان، تلك المشاعر التي افتقدوها دائما. العمل مستمر بلا انقطاع – انتظري دقيقة، فقد تركت روني ناقعاً قدمه المتقرّحة في الحمّام – ولكنْ أي شيء آخر يعطيني هذا المقدار من الفرح والرضى؟"

في غرفة التسلية الواسعة المتألقة في أحد المنازل الثلاثة، تحيِّي دوريس كهلاً قصير القامة: "مرحبا يا عزيزي فريد!" فيثب عن كرسيه ويتشبّث برجليها ويصرخ مثل طفل. تلاطفه، لكنه يجهش عندما تتركه. وهذا طوني يطرز بابرة على نسيج "كنفا." تناديه دوريس وتعطيه قطعة حلوى.

لقد غدت مجموعات "العناية المحلية" مثالاً تقتديه مدن كثيرة، وهي تقضي بجمع أشخاص معاقين عقلياً في مركز واحد حيث يلقون رعاية ودعماً. لكن الاعتمادات المخصصة لمركز المعاقين غير كافية غالبا. وينعكس ذلك مشاكل تواجه كثيراً من البائسين الوحيدين. فبعضهم بلا مأوى، وبعضهم الآخر في السجون لاقترافهم "جرائم" جهل عادات المجتمع.

حب وحزم. عرفت دوريس معنى التعرض للاكراهات في مصحّ. فقد توفيت والدتها إثر ولادتها، "وتنازل أبي عني كما لو كنت قالب جبن." وبعد طفولة تعسة في دور الايتام وفي خدمة المنازل تزوجت وانجبت ابنتها جاكي. لكن زوجها توفي بداء السل في ريعان شبابه.

عملت دوريس في مصانع النسيج ومستشفيات الامراض العقلية لتعول ابنتها. وفي العام ١٩٦٣ تزوجت ثانية وأصبحت مديرة فندق في مارغيت وفر عملاً موسميًا لستة رجال معاقين. وفي نهاية ذلك الصيف أُقفل المصح الذي كان المنزل الوحيد لهؤلاء الرجال، فوجدتهم دوريس جالسين على الرصيف، محاطين بمقتنياتهم في أكياس: باسيل، فكتور، سيدني، الاخوان ليني وجوني مع ببغائه الاوسترالية في قفص.

أخذتهم دوريس الى منزلها واعتنت بهم، وبدأت تعلّم جوني النطق للمرة الاولى في حياته المهملة.

عندما اشتكى الجيران من الوضع – وكانت هذه الشكوى فاتحة اعتراضات جاهلة كثيرة واجهتها دوريس – رهن زوجها أليك بيتهما ليستأجرا فندقا صغيراً للرجال الستة. ولأن المكان يتسع لأكثر سألت دوريس العامل الاجتماعي في المصح القديم أن يرسل اليها بضعة "صبيان" آخرين، فوصل على حين غرة ٤٠ رجلاً بائسو المظهر "في شاحنتين مقفلتين تُشبهان سيارات نقل السجناء."

كان كثير من الرجال الجدد يفتقرون الى التهذيب. يدخنون ويتعاطون الكحول ويبدِّدون في مكاتب المراهنات مصروف الجيب الذي تعطيهم اياه دوريس. وكانت الشرطة تقبض عليهم باستمرار لقرعهم

أجراس أبواب الناس أو اقترافهم سرقات تافهة أو محاولتهم السطو على دكان بمسدس ألعوبة.

كانت دوريس لطيفة ومُحِبّة، ولكن حازمة أيضاً. تقول: "هددني أحدهم مرة بسكين زاعقاً أنه قاطع عنقي لا محالة. فسألته: من سيعينك عليّ؟ وهو هنا منذ ٢٨ سنة، وقد تعلّم كيف يحِب ويحَب."

روّضت دوريس الرجال تدريجاً على النشاط وحسن المظهر. ولكن مجدَّداً تصدى لها جيران تشاجروا معها ومع الصبيان في الشارع ونعتوهم بـ"حثالة الارض."

مقهى الشباب. لم ترتدع دوريس وأليك، بل اشتريا منزلين مشرفين على مصطبة مشتركة، كما اشتريا فندقا قديماً على الواجهة البحرية في مارغيت. وقد اعطى عملها أُكُلَه حتى غدا كل من في المدينة فخوراً بما أنجزته.

يقول النائب روجر غايل الذي يثابر على زيارة المراكز الثلاثة: "عندما أخذت المستشفيات تقفل أبوابها، وطُرح المرضى العقليون في مدن ساحلية مثل مارغيت التي تتوافر فيها فنادق صغيرة كثيرة، اعترى الخوف الناس: ليس في مدينتي! ليس في شارعي! لكنَّ صبيان دوريس كانوا نظيفين ومرتبين وحسني السلوك بحيث تلاشت مشاعر الخوف والعداء."

يعيش "صبيان" دوريس في غرف نوم مرتبة، وهناك دمية على كل وسادة. الاقل إعاقة بينهم يُسَرّون بتنفيذ أعمال في المنزل والحديقة. و"صغيري جوني" الذي وجدته جالساً على رصيف الشارع مع ببغائه تعلّم كيّ الثياب والطبخ وتقرير وجبات الطعام.

يقول ديفيد ميرسكي صهر دوريس الذي تخلى عن صالون الحلاقة الذي كان يستثمره ليدير مؤسساتها: "جوني لا يتقن الكتابة، لكني أعرف أنَّ عبارة "١٢٠ سمكة + ٢" تعني أنه يريدني أن اشتري ١٢٠ سمكة وكيسين كبيرين من البطاطا."

كان الرجال يكرهون طريقة "المعالجة بالعمل"(*) التي اعتمدت في المصحّات، لذا اشترت دوريس وزوجها مقهى قديماً ورمماه بهدف ابعاد الرجال عن مقاهي الشاطىء. وقالت لهم دوريس: "أنه لكم، اعتنوا به." وهم الآن يقصدونه لشرب الشاي وتناول الوجبات الخفيفة والرفقة. ويعلمهم الندل ألعاباً بسيطة ويساعدونهم في تركيب أحجيات الصور المقطعة.

صداقات حقيقية. دوريس هي "ماما" الجميع. أما أليك فيمنعه انحراف صحته الآن من المساهمة النشطة في ادارة المؤسسة. وديفيد هو "العم ديفيد..." وابنة دوريس التي تتولى المسؤوليات عندما تغيب والدتها هي "العمة جاكي." ويتلقى كل رجل إعانة

(*) المعالجة بالعمل طريقة قوامها تكليف المريض اداء ضرب من العمل الخفيف يصرفه عن التفكير في نفسه ويعجل في شفائه.

مالية حكومية بحيث لم تعد دوريس مضطرة الى الكدح والتقتير. ويساعد فريق من النسوة النشيطات والمرحات على العناية بالمعاقين. والجو السائد بين "الصبيان" وفريق الخدمة يتسم بالمزاح والود، وعلى رغم أن بعض الرجال منطو على نفسه فثمة صداقات حقيقية تترسَّخ.

تقاسم هاري وبرت غرفة واحدة سنين عدة. لم يتكالما ابدا أو يهتم أحدهما للآخر. ثم مرض هاري ولم يلبث أن توفي. ووجدت دوريس برت يتطوَّف في الخارج. قال لها: "أنا أبحث عن هاري."

حضرت له دوريس كوب شاي ووضعته في فراشه. ولم تمض أيام قليلة حتى توفي برت أيضا.

واهتمت دوريس بمراسم الدفن، فهي أقرب "الانسباء." الى معظم أولئك الرجال الذين لا يتذكرون مَنْ أهلهم ولا يحملون شهادة مولد ولا تاريخا لحياتهم.

وعندما جاء الأب نورمان بالدوك الى المدينة لاحظ أن الرجال يحبون الموسيقى والترانيم. وقد أصبحت "جوقة" دوريس ذائعة الصيت.

حفلات شاي. لو أن الرجال والنساء المعاقين، أمثال "صبيان" دوريس، تلقوا في صغرهم خدمات التربية الخاصة المتوافرة اليوم لكانوا أقل اتكالية الآن. لكنهم حرموا هذه الخدمات، وها هم الآن يُعَدّون بالملايين. تقول نانسي دورثينغتون، مديرة مجلس مقاطعة كنت: "إن المعاقين الذين يعانون درجة حادة من شبه التخلف العقلي، مثل صبيان دوريس، لا يحظون في أي مكان في البلاد بعناية أفضل من تلك التي تغدقها عليهم دوريس وديفيد. وهي رعاية لا يسع كثيرين تقديمها مهما دفع لهم من مال. فالحاجة هي الى أمثال دوريس." وفي العام ١٩٨٣ قلدت دوريس بارغيتر "وسام الامبراطورية البريطانية" اقرارا بفضلها وبقيمة عملها.

كل سنة تقيم دوريس لصبيانها ولمعاقين آخرين في أرجاء المقاطعة حفلة شاي كبرى في "الحدائق الشتوية" في مارغيت. فيجلس فريق العمل في المؤسسة مع قرابة ٥٠٠ معاق الى موائد طويلة، فيشربون ويأكلون ويلوحون بالاعلام ويشعلون المفرقعات وهم معتمرون قبعات ورقية.

ويدعى الجميع الى باحة الرقص. جوني يرقص بخطوات خرقاء. و"فريد الصغير" ذو الوجه الطفولي يدور على رؤوس أصابعه وقد نشر ذراعية مثل راقص باليه. أما الرجال الذين يشكون خللاً في التنسيق الحركي فقد قبعوا في ركن واحد وراحوا يتلوُّون.

سأل أحد المدعوين دوريس: "متى تنوين التقاعد؟" فصرخت: "أتقاعد؟ أبدا، فصبياني هم حياتي!"

مونيكا ديكنز ■

اذا رغبت حقا في فهم امر ما، حاول تغييره. ك.ل.

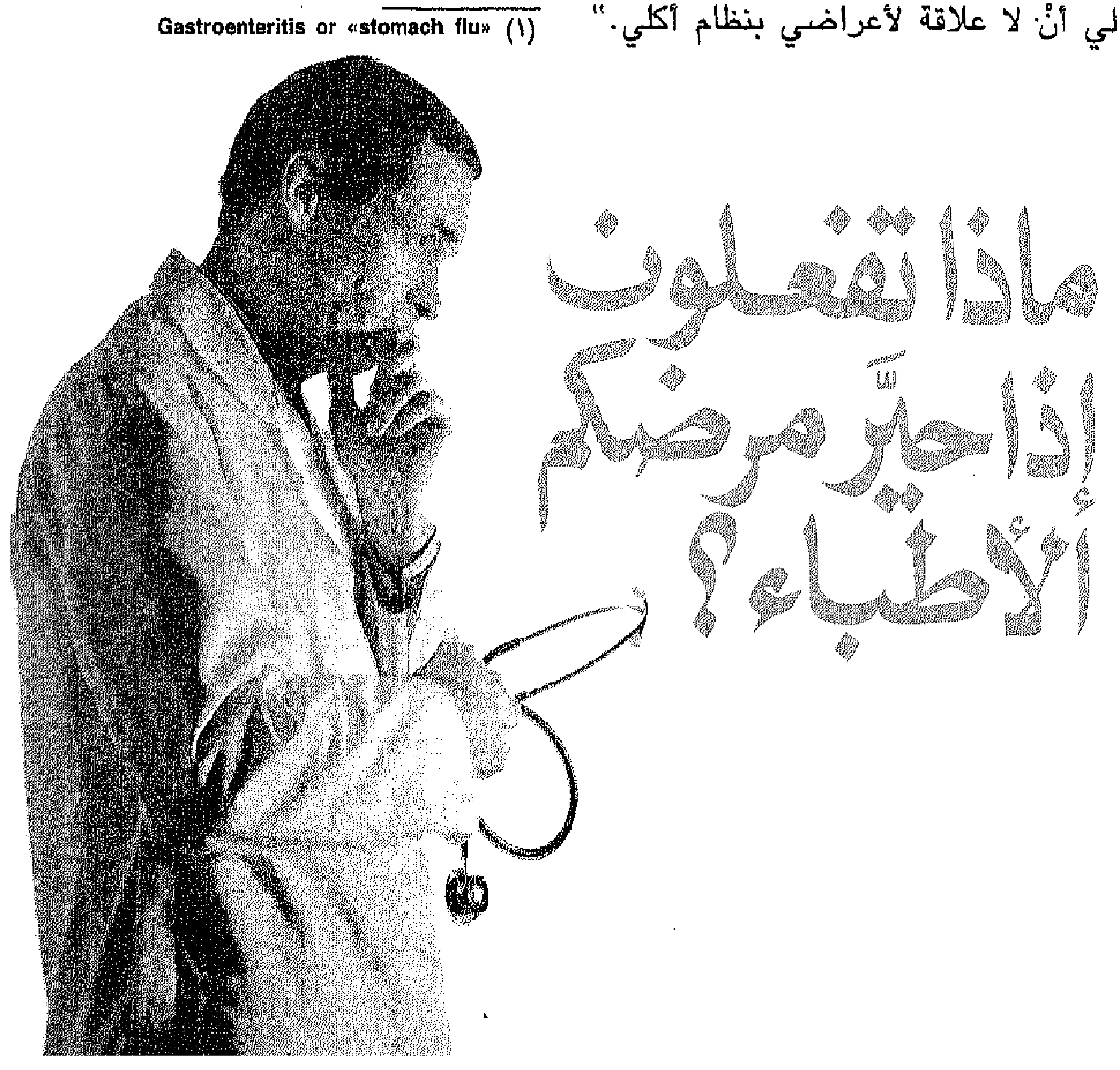
ماذا تفعلون إذا حيّر مرضكم الأطباء؟

يصاب أناس كثيرون بأمراض "غامضة" تقودهم الى تطواف لا ينتهي على أطباء مختلفين. فكيف نتحاشى الوقوع في هذا الشرك؟

عندما أحست جويس أديسون بألم دائم في معدتها خريف ١٩٨٨، شخّص الطبيب ألمها بأنه عائد الى مشاكل في المرارة، وارتأى أن تمتنع عن تناول المأكولات الدهنية. وتذْكُر أديسون وهي مصوِّرة في السابعة والثلاثين من عمرها: "كنت قرأت عن أمراض المعدة، فتأكد لي أنْ لا علاقة لأعراضي بنظام أكلي."

وتحول ألم معدة أديسون أثناء رحلة لها أوائل العام ١٩٨٩ أعراض غثيان ودوار وإسهال استمرت متقطعة أشهراً. وفي أبريل (نيسان) ١٩٨٩ أمضت أسبوعين في بريطانيا. ولدى عودتها تفاقم إسهالها الى حد أنها أصيبت بجفاف (استنزاف سوائل الجسم) وتعين دخولها المستشفى حيث أمضت بضعة أيام. ولم تشر الفحوص الى اصابتها بالكوليرا أو بطفيليات معوية. وبعد مغادرتها المستشفى شخص طبيبها أنها مصابة بالتهاب فيروسي في المعدة والامعاء يدعى "انفلونزا المعدة."[1] لكن

(١) Gastroenteritis or «stomach flu»



حالها لم تتحسن على رغم ما وصفه الطبيب من عقاقير.

وفي الاشهر التالية أصيبت أديسون بأعراض جديدة راوحت بين النفخة البطنية والأرق والصداع والتعرُّق الليلي. فقال لها احد الاطباء إنها تشكو من تهيج معوي[٢] سببه الاجهاد الناتج من وطأة اصابة والدتها بسرطان الثدي. فاعترضت قائلة: "لكني كنت معتلَّة قبل اشهر من تشخيص مرض أمي!"

وهكذا انهارت حياة أديسون. كانت تشعر بعياء لكنها لم تستطع النوم. وكانت مضطرة الى البقاء على مقربة من المرحاض مما عزلها اجتماعيا. ووضعت لائحة بأعراضها وعلاجاتها ونتائج فحوصها، ولكن كلما أبرزت اللائحة لأطباء رمقوها بنظرة استغراب، وتذكر: "ظنوا أني مصابة بوسواس المرض."

وذات ليلة عانت أديسون أكثر الاعراض إرعابا. وهي تروي: "استيقظت فشاهدت خصلة كبيرة من شعري على الوسادة، هالني الامر وأيقنت أنني مصابة بالسرطان."

ان الأعراض التي عانتها أديسون يمكن أن تعني مئات الاعتلالات الجسدية، بعضها ثانوي وبعضها قد يشكل خطراً على الحياة. ولئن عانيتم أعراضا دائمة ولم تؤدِّ الفحوص الى تشخيص محدد، فانتبهوا: أنتم لغز طبِّي.

يتعرض الجسم البشري لاعتلالات لا ينجح أي طبيب في تشخيصها كلها. يقول الدكتور ألن جيانيني الاختصاصي بالحساسية والمناعة في مركز سان فرنسيسكو الطبي بجامعة كاليفورنيا: "يستطيع أطباء الصحة والامراض الداخلية تشخيص معظم الحالات، لكنهم اذا ما استبعدوا احتمالات أخرى وانتهوا الى افتراض ما، كأن يقولوا إن السبب هو حساسية لنوع من الطعام، فانهم يحيلون مرضاهم على اختصاصي مثلي. إني أبحث عن أشياء لا تخطر ببال أطباء آخرين."

بيد أن الالغاز الطبية شأن يربك حتى الاختصاصيين. وكثيرا ما يحدث ذلك في الاعتلالات الاقل شيوعاً مثل الذأب الاحمراري الجهازي.[٣] يقول الدكتور ألن لاش الاختصاصي بأمراض الروماتزم (الرثية): "قد يربك الذأب الاطباء لأن مظاهره غير محددة، فقد يصاب المريض بآلام في المفاصل وبطفح جلدي حساس للضوء ويتساقط شعره ويعاني حمى وعياء في أوقات مختلفة."

فإذا أُصبتم بأعراض تعتقدون أن الاطباء أساؤوا تشخيصها أو لم يعيروها اهتماما كافياً، تقصوا الامر بأنفسكم. فقد تتمكنون من جمع قرائن تتيح حلّ لغزكم الطبي إن اتبعتم الارشادات الآتية:

١. جدوا طبيباً تثقون به، ويُستحسن أن تجدوه وأنتم معافون. فالطبيب الذي يألفكم معافين هو أفضل مَنْ يلاحظ تبدل حالكم.

(٢) Irritable-bowel syndrome

(٣) Systemic lupus erythematosus. وهو التهاب جلدي يشمل الجسم كله.

وإن لم يتمكن طبيب صحة من حل اللغز، فدعوه يحيلكم على أطباء اختصاصيين ويشرف على علاجكم. فمن الخطأ التطواف من اختصاصي الى آخر. يقول الدكتور دانيال لوربر الاختصاصي بالغُدد الصُمّ: "لا يرى الاختصاصيون سوى جزء منكم. أما طبيب الصحة فيراكم كُلًّا متكاملا."

قبل سنوات، شكَت دوروثي غاردنر (٣٨ عاما) من برودة في يديها وبقع حمر على جلدها وحَرْقة شديدة في "باب" معدتها. ولمّا تفاقمت حالها استشارت عددا من الاختصاصيين بأمراض المعدة والامعاء، فوصفوا لها أدوية وارتأوا أن تخضع لجراحة لمعالجة حَرْقتها.

واذ شكك طبيبها في ضرورة الجراحة، أحالها على اختصاصي آخر تمكن من حلّ لغزها الطبي باكتشافه أنها مصابة بالخَزَب المتصلِّب[٤] وهو مرض يسبب مشاكل عدة بينها حرقة تتأتى من ضعف أداء المريء. وتذكر غاردنر: "أربكني الاختصاصيون، لكن طبيبي سدد خطاي وجاءني أخيراً باختصاصي توصل الى التشخيص الصحيح." ونتيجة العلاج خفت أعراض المرض لدى غاردنر.

٢. لا تتجاهلوا أعراضكم. لا تستخفّوا بأي عَرَض باعتباره نتيجة "وسواس مرضي" أو "تقدم في السن" أو "نصيب من الحياة"، وخصوصا اذا ما بدأ عَرَض ما يؤثر سلباً في قدرتكم على العمل أو تمتعكم بالحياة.

مثال ذلك أعراض الصداع والاعياء المزمن وألم الحوض والتبوّل المفرط التي لازمت مليندا دمريوس (٣٨ عاماً) سنوات ولم تعتبرها "من الخطورة بحيث" تبرر استشارة طبيب. وأخيراً لم تجد بدا من استشارة عدة اختصاصيين لتشخيص كل من أعراضها. قال لها أحدهم ان صداعها ناتج من التهاب في الجيوب الانفية. وقدّر طبيب عظم أن الالم في حوضها ناتج من تمارين الرقص الحيهوائي.[٥]

بعد ذلك، استشارت مليندا طبيباً اختصاصياً بالروماتزم. وتذْكُر: "شرعت في وصف بعض أعراضي، وحزر هو الاعراض الاخرى. وهكذا علمت أني أشكو من الميالجيا الليفية[٦] وهو مرض روماتزمي. مَنْ كان ليرتاب في أن لألم الحوض علاقة بالاعياء المزمن والتبوُّل المفرط؟"

٣. أفيدوا بحكمة من الدقائق العشرين. لا تهدروا هذا الوقت الذي يستغرقه الفحص الطبي النموذجي. صفوا أعراضكم وعلاجاتكم بدقة ووفق تسلسلها الزمني. متى بدأت المشكلة؟ كيف أحسستم بها؟ هل طرأ ما بدَّل الاعراض؟ ماذا قال الاطباء الآخرون؟

ومن المفيد أيضا الاحتفاظ بسجل يومي للاعراض. أين كنتم عندما تكشَّفت؟

---

(٤) Scleroderma. وهو تيبس جميع طبقات الجلد.
(٥) Aerobic dance
(٦) Fibromyalgia. والميالجيا وجع في العضل.

ماذا كنتم تفعلون؟ يقول الدكتور جيانيني الاختصاصي بالحساسية والمناعة: "قد تكشف السجلات اليومية أنماطا تساعد في تشخيص أمراض الحساسية والربو والاعتلالات الناشئة من ممارسة مهنة معينة وغير ذلك من الحالات."

احتفظوا بسجل خاص لتاريخكم الطبي، فاصابتكم بشلل الاطفال قبل ٣٠ سنة أو تعرضكم لحادث سيارة قبل بضع سنوات قد يؤثران في الاعراض التي تعانونها حاضراً.

وسجل العائلة الطبي دليل مهم أيضا. فاذا كان السرطان أو السكري أو أي مرض آخر متوارثا في عائلتكم، فقد يزداد احتمال اصابتكم به.

٤. ضعوا لائحة بكل العقاقير التي تتناولونها. لاحظت امرأة في الثامنة والسبعين من العمر زيادة غير طبيعية في ضربات قلبها. فوصف لها طبيبها دواء للقلب اسمه "ديغوكسن."[٧] تقول قريبتها الدكتورة جولي بالر: "الديغوكسن يمكن أن يكون ساما، ولا يُلجأ الى وصفه الا بعد استبعاد احتمالات أخرى." وأحد هذه الاحتمالات تناول جرعات مفرطة من هرمون الغدة الدرقية. وكانت المرأة تتناول هذا الهرمون منذ سنوات من غير أن تواجه مشكلة.

سألت بالر قريبتها في اتصال هاتفي عما اذا كان طبيبها دقق في جرعات دواء الغدة الدرقية الذي تتناوله. ولمّا أجابت نفيا طلبت منها بالر قراءة الشرح الوارد على ملصق زجاجة الدواء. تقول بالر: "تبين لي أن ثمة سوء تفاهم، اذ كانت قريبتي تتناول حبوبا تبلغ قوتها ضعفي ما حدده الطبيب." ولما عدل طبيبها الجرعة اختفت أعراض القلب.

يقصد من هذا الدرس وجوب إحضار قوارير الادوية للمعاينة ليتسنى للطبيب مراجعة الشروح المرفقة بها. ولا تغفلوا ذكر ما تتناولون من عقاقير أخرى لا يصفها طبيب، بما في ذلك الفيتامينات والمكملات المعدنية. فالجرعات الزائدة من الفيتامينين "أ" و"د" قد تسبب عياء، كما قد يسبب تناول الفيتامين "ب" خدراً وغير ذلك من الاعراض العصبية الغامضة.

٥. فكروا في وظيفتكم ونمط حياتكم. إنْ أردتم تحديد ما اذا كان للغزكم الطبي علاقة بوظيفتكم، اطرحوا على أنفسكم هذه الاسئلة:

هل تشعرون بالمرض في أيام العمل ثم تتحسن حالكم خلال العطلات؟ هل استجد شيء في عملكم، مثل عملية انتاج جديدة قد تعرضكم لمواد كيميائية خطرة؟ هل يعاني زملاؤكم في العمل الاعراض نفسها؟

قد تتجاوز الاعراض الغامضة نطاق العمل لترتبط بالعوامل الناشئة من نمط العيش. هل لديكم حيوانات مدلّلة؟ فهذه لا تسبب حساسية فحسب، بل يمكن أن

(٧) Digoxin

تنقل أمراضاً معدية الى الناس. هل قمتم برحلة؟ فالمسافرون معرضون لالتقاط أنواع مختلفة من الامراض. هل عدَّلتم أخيراً كمية ما تستهلكون من كافيين؟ فالناس الذين ينقطعون فجأة عن القهوة والشاي والكولا يتعرضون في كثير من الاحيان لأوجاع رأس مرتبطة بالانقطاع عن الكافيين.

٦. أجروا بعض الابحاث. أُبلغ الى جانيس غوثري قبل سبع سنوات أنها مصابة بنوع نادر من سرطان المبيض. وعندما أشار عليها طبيبها بالعلاج الاشعاعي، قررت اجراء أبحاث حول مرضها. تقول: "علمت، نتيجة أبحاثي، أن العلاج الاشعاعي لا ينفع في السرطان الذي أصابني. لذا لجأت الى طبيب آخر سعيا الى علاج مختلف."

بعد سنة من تشخيص مرضها أسست غوثري مؤسسة "المورد الصحي"[٨] التي تعنى بالابحاث الطبية. فأمَّها مرضى كثيرون يعانون أعراضاً غامضة بينهم رجل أفاد أنه يعاني، مذ أُجريت له جراحة تحويلية،[٩] ضيق تنفس لم يعرف طبيبه سبباً له.

تقول غوثري: "وجدنا لحاله مقالا طبيا يتحدث عما وصفه تماما: ضيق تنفس بعد جراحة تحويلية. وأرسلنا إليه المقال مقترحين عليه مناقشته مع طبيبه."

ويمكن الراغبين في اجراء أبحاث تتعلق بامراضهم العثور على معلومات كثيرة في المكتبات العامة.

٧. اعتبروا العوامل العاطفية. في غمرة السعي اليائس الى تفسير للأعراض المرضيّة، يُقنع بعض الناس أنفسهم بأنهم يعانون مرضاً قرأوا عنه قبل مدة وجيزة. لذلك لا تتسرعوا في الاستنتاج.

فالاجهاد والقلق والكآبة حالات يمكن أن تسبب أعراضاً جسدية. لذا، حين يدقق طبيب الامراض الداخلية ليو غالاند في أعراض غامضة، يضع لائحة بالامكانات ويصنفها بحسب أرجحيتها. فان كان السبب المحتمل مشكلة مرتبطة بالصحة العقلية، فانه يذكره منذ البداية.

يقول غالاند: "أراجع مع المريض نتيجة كل فحص على حدة، ومتى تبين أن ثمة مشاكل عاطفية انفعالية، فقد أقترح عليه مراجعة طبيب نفساني من دون أن أمسّ بمشاعره."

بحلول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩، كانت جويس أديسون عانت إسهالا استمر أكثر من سنة. ثم قرأت مقالا عن بحث يجريه الدكتور غالاند ويفيد أن ربع المرضى الذين تُشخَّص حالاتهم على أنها تهيُّج معوي هم، في الواقع، مصابون بالـ"جيارديا لامبليا"[١٠] وهي طفيليات معوية مجهرية تسبب داء الجيارديات[١١] الذي تنجم عنه أعراض محيِّرة تراوح بين

(٨) The Health Resource

(٩) Bypass surgery. وهي تحويل مجرى الدم في شريان مسدود، وتعرف بجراحة "القلب المفتوح."

(١٠) Giardia lamblia

(١١) Giardiasis

أوجاع معوية واعاقات خطيرة تطاول الجسم كله.

يقول غالاند: "من الصعب اكتشاف الجيارديا، خصوصا لأن الفحوص المخبرية غالبا تعجز عن ملاحظتها."

اتصلتْ أديسون بالدكتور غالاند، فتأكد له بالفحص المجهري أنها مصابة بداء الجيارديات. فعولجت لمدة تسعة أشهر. وهي تقول: "بدأتُ أتحسن منذ اليوم الاول. وأنا الآن بصحة جيدة."

تتحدث أديسون عن الالغاز الطبية بمعرفة هي وليدة تجربة أليمة. تقول: "إنْ أصبت باعتلال آخر غير مألوف – وآمل الا يحصل ذلك أبداً – فسأجري مزيداً من الابحاث بنفسي. وسأكون أقل صبراً مع الاطباء الذين لا يأخذون ملاحظاتي جدياً. وإذا علمت أني مريضة، فلن أصغي الى أي شخص يقول لي: أنتِ على ما يرام."

مايكل كاسلمان ■

هاوية ميكانيك

توقفتْ سيارة صديقتي فجاة، ولم تنفع محاولاتها في ادارتها من جديد. ففتحت غطاء المحرّك واخذت تعبث في الداخل حتى وجدت قطعة فالتة. واذ لم تكن تفقه شيئا من الميكانيك، اتصلت بي واخبرتني بما وجدت وطلبت مني المساعدة. ولكم كانت دهشتي حين وصلت واكتشفت ان القطعة الفالتة التي وجدتها لم تكن سوى قضيب قياس الزيت في المحرّك، فيما توقفت السيارة لنفاد الوقود في خزانها.

م.ف.

أمنية لو تتحقق

استيقظت ذات ليلة لأجد امي جالسة على الشرفة. فمضيتُ اليها وسالتها عن سبب ارقها.

اجابت: "لا استطيع النوم، ثم انّي شاهدت نجماً مذنّباً فتلفظت في سرّي بأمنية."

سالتُها: "وماذا تمنّيتِ؟"

اجابت: "أن يتوقف والدكِ عن الشخير."

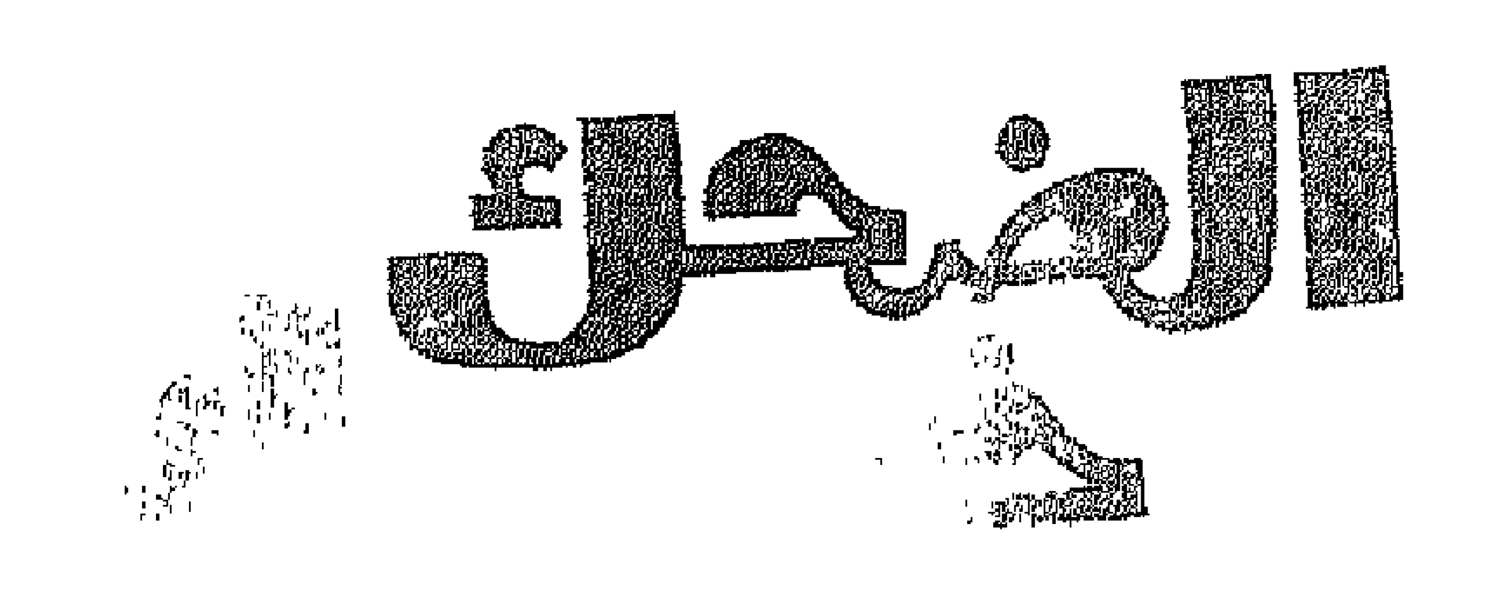
ز.ل.

ذاكرة خائنة

قال لي احد الاصدقاء: "لن تصدق يا ابرهيم ما حدث معي. لقد التقيت صديقا ووقفت واياه ساعة نتحدث وانا ادعوه طوال الوقت يا ابرهيم، حتى انتبهت في النهاية الى ان ابرهيم اسمك انت وليس اسمه."

اجبته: "ان اموراً كهذه تحدث. لكن اسمي في الواقع هو داود وليس ابرهيم."

داود بيطار



جدة بردانة

■ اصطحبتني جدّتي في زيارة لشقيقتها في الريف. وحين هممنا بالخلود الى النوم ذاك المساء هتفت: "بررررا يا لهذا الصقيع! ستصطك أسناني طوال الليل!" ولم تلبث أن نزعت طاقم أسنانها الاصطناعية ووضعته في كوب ماء ثم أضافت: "الآن يمكننا أن ننام بهدوء."

ر.ت.

النجدة يا دكتور!

■ وصل رجل لاهثاً الى الطبقة الخامسة من مبنى، ودخل ثم قال: "دكتور، ماذا أفعل لأستعيد لياقتي؟"

- عليك أن تخفف من أكلك فتخسر خمسة وعشرين كيلوغراماً من وزنك، وتمتنع عن التدخين والكحول، وفي النهاية تقصد طبيب عيون.

"ولماذا طبيب العيون؟"

- لكي تستطيع قراءة اللافتة على الباب. فأنا مهندس ولست طبيباً. الطبيب هو في الطبقة الاولى.

ت.ف.ب.

هاربة!

■ صديقي تقني في شركة للغاز. كان يتفقد عدّاد الغاز في احد المنازل، يرافقه زميل له أصغر منه سنّاً. فتحدّاه صديقي ان يسابقه لكي يُثبت له أن في وسع الكهول ان يبزوا الشباب في الركض.

وبعدما قطعا مسافة في سباقهما، لاحظا انّ صاحبة البيت الذي خرجا منه تجدّ في اثرهما لاهثة. فتوقفا للحال وسالاها عما بها. فاجابت: "حين رايت عاملين من شركة الغاز يفرّان من بيتي، رايت من الأفضل ان افعل مثلهما."

د.ج.

جد غيور

■ كثيراً ما اسال اصحابي الكهول عن مشاعرهم الاولى لدى معرفتهم انهم سيصبحون جدوداً بعد اشهر. فيجيبني معظمهم بأنه يشعر بسعادة واثارة عارمتين. لكن احدهم فاجاني يوماً بقوله: "نزل علي الخبر كالصاعقة. فقد تاكد لي اخيراً ان ابنتي تعاشر رجلاً."


ن.ر.

سر الجلاّية

■ انتقل شقيقي الى السكن وحده في شقة جديدة. وقد أعجبه كل ما في الشقة، الا جلاّية الصحون التي لم تكن تعمل جيداً. وحين زارنا بعد ايام تطرقنا الى الراحة التي توفرها جلاية الصحون في البيت. فعلقت أمي على الامر قائلة: "لكن الصابون غالٍ جداً."

فهتف اخي وقد شعّت الحقيقة من عينيه: "صابون؟"

ت.ف.



تتناهى الينا في هذه المدينة الفاتنة أصوات غريبة لم نسمعها في مكان

لم تطأ قدماي البندقية صيفا ولا في أيام المهرجانات ومـواسم العروض السينمائية والفنية الضخمة. فالبندقية التي أعرفها هي مدينة الخريف والشتاء عندما يقل السياح فتعود ملكاً لأبنائها.

ومهما يكن زائرها قرأ أو سمع عن تأثيرها البصري، فانها تأخذه دائما على حين غرة.

ولا أزال، بعد خمس زيارات للبندقية، اقبع أسير سحرها الأخاذ، لا بفعل الهندسة المتميزة والقصور والجسور والروعة الشاملة، بل لاقتران الهندسة بالفضاء والنور واللون والماء، وخصوصا الماء.

حين يقع تطرك على الطرق المائية في البندقية يتكون لديك أولاً انطباع سمعي، فتزول الاحاسيس العادية وتحل مكانها اخرى جديدة. وتتناهى اليك أصوات ووقع أقدام وتغريد عصافير وسعال من نافذة في الضفة المقابلة. لكن هذه الاصوات تختلف جميعها عن تلك التي ألفها المرء في اليابسة التي غادرها.

عرفت البندقية متدثرة برداء ضبابي شفاف يتقطر ندى، والحزن والارهاق يخطّان معالمها ويحولان كل جسر فيها جسر تنهدات. والحال أيام السديم[1] أشبه برحلة الى عالم الظلمات.

لكن شتاء البندقية غالبا ما يكون متـألقـا. فيجلس المـرء في مقهى

(١) السديم هو الضباب الرقيق



"فلوريان" ناعماً بالدفء فيما يعزف موسيقيون في الخارج ألحاناً تذكي الحنين.

منذ مئات السنين والبندقية في منحى انحداري، لكن الانحدار هو جوهر طابعها المميز. وهي ما كنت لتبدو جذابة الى هذا الحد لو أنها تطورت بالمفهوم الحديث للازدهار. وسكان البندقية أنفسهم لا يتكلمون كثيراً عن مدينتهم، بل انهم لا يأتون على ذكرها ما لم يُسألوا. والحقيقة أنهم فخورون بمسقط رأسهم ومتعلقون به، لكن المدينة لا تستثيرهم بمقدار ما تستثيرنا.

في أي حال، التفكير في البندقية تخالطه على الدوام نفحة رومنسية. زرتها مرة في أوائل نوفمبر (تشرين الثاني) فوصلت قرابة منتصف الليل. وكانت حركة السير في القنوات متوقفة تضامناً مع بحارة الغندولات[٢] الذين أعلنوا اضراباً. وكانت ريح شديدة تهب من الهَوْر.[٣]

ألفيت نفسي في ورطة اذ وقفت منتظرة على منصة الرسو ومعي حقائب ثقيلة. وأخيراً توصلت الى صفقة مع بحارة مركب محمل بالفحم، فنزلت اليهم بحقائبي وجلست وسط الحمولة السوداء وانطلقنا في القناة الكبرى التي كان الحكام والأشراف قديماً يسلكونها بجلال ووقار.

سأتذكر دائماً رحلة منتصف الليل تلك وسط المياه الحالكة وصراخ البحارة وزعيق طيور البحر. كان معظم القصور غارقاً في الظلام، وأعمدة المرسى تومض فجأة عاكسة أنوارنا. وبدت المصابيح القليلة المضاءة في النوافذ شاحبة مخضرَّة.

كانت الضفتان خاليتين من المارة، ومع ذلك أحسست وقعاً غريباً لا أستطيع وصفه بسوى أنه أصوات مائية منبعثة من الارصفة.

لقد متعت ناظري بمشاهد البندقية: باسيليك سان مارك، الساحة "السعيدة" التي تغص متاجرها بسلع باهظة الاثمان، المتاحف، المعارض. وبدأت أشكل بندقية خاصة بي، تماماً كما يفعل المرء حين يستقر في بلد جديد ويكسب أصدقاء جدداً فيعمد أخيراً الى اصطفاء قلة محببة منهم. وهكذا تكررت زياراتي لهؤلاء "الاصدقاء" خلال رحلاتي الشتائية.

ان غياب الحشود هو من حسنات الزيارة في غير المواسم السياحية، اذ يتسنى للمرء أن ينعم بجلسة منفردة هانئة في مَعْلم ما والتمتع برائعة فنية. وكم أحب أن أجتاز زاوية في ساحة سان مارك لاشاهد أولئك الامراء الاربعة الوسيمين الخجولين، النافذين جداً، وهم متماسكون يتشاورون في ما بينهم.

وأذكر أيضاً رحلة لي في الشتاء على متن معدِّية الى تورشيلو إحدى الجزر في هَوْر البندقية التي تتميز بكاتدرائية خلابة بنيت في القرن الحادي عشر.

---

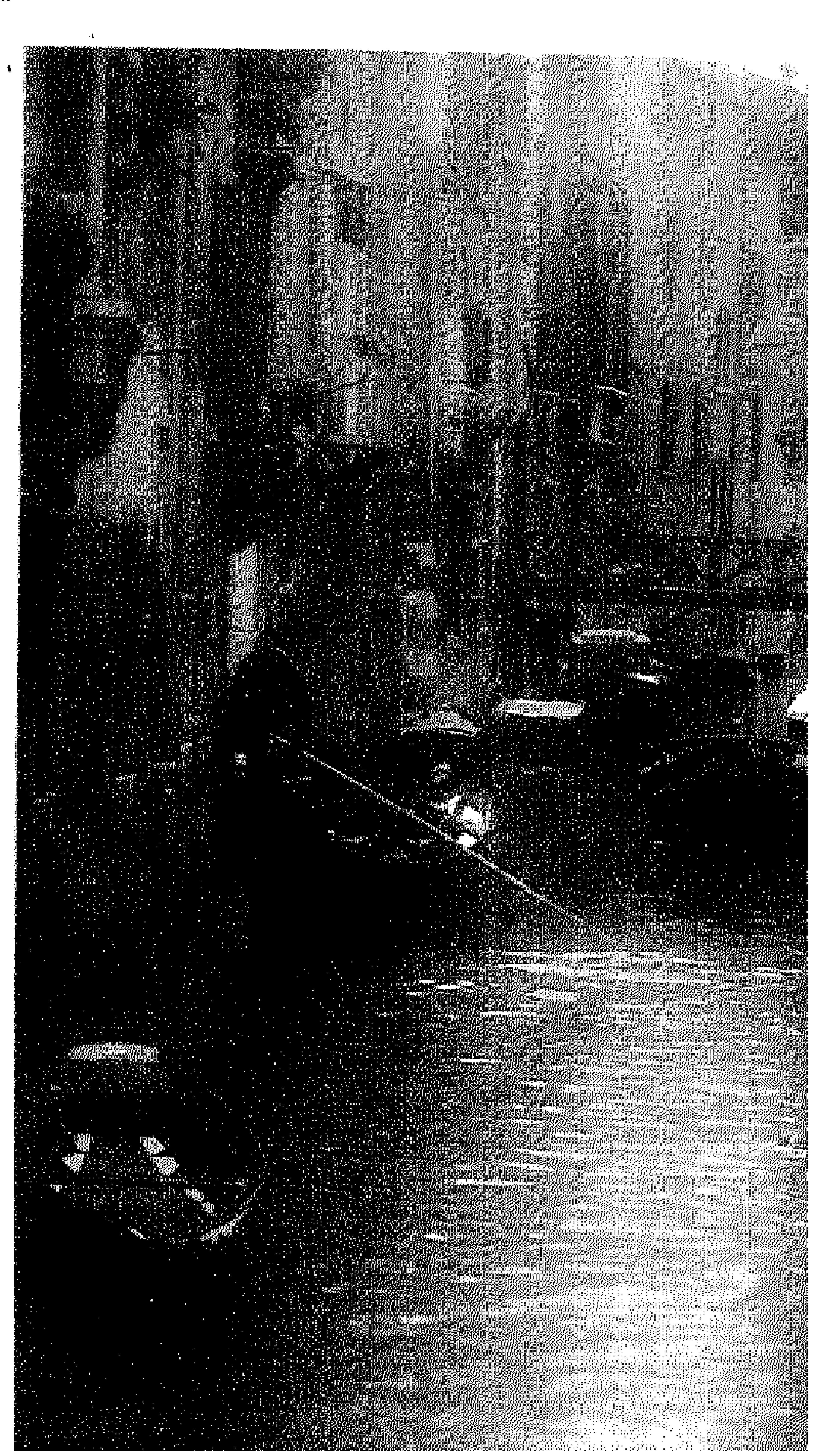
(٢) الغندول زورق طويل يستخدم في قنوات البندقية.
(٣) هور البندقية بحيرات ضحلة متصلة بالبحر.

وليست الكنوز الفنية صديقاتي الوحيدة، فأنا أتردد باستمرار على "رفقاء" ألفتهم خلال نزهات مشي في ساحات ساكنة وطرق تعصف بها الريح. من هؤلاء متجر قبعات يقع داخل منزل صغير مربّع مطل على القناة قرب سانتا ماريا فورموزا. وقد علقت في واجهاته وتكدست في الداخل تشكيلة متنوعة: قبعات من القش واللباد والمخمل الأسود وقلانس بحارة وقبعات عالية وعريضة.

وتمضي ساعات وأنا أسيرة روعة الجسور فوق القنوات الجانبية. وقد شيدت مجموعات منها منحرفة لا تخدم غاية عملية، مما يزيدها سحراً.

ولا يخبو شعوري بالدهشة أبداً، لأن هذه الطيبة البصرية وهذا السمو السمعي بُنيا في الحقيقة على التجارة. وقد قال أحدهم ان الثقافة تتبع الذهب.

لا يسَعُ المرء اليوم أن يعيش في البندقية وفق النمط الحضاري الذي ولَّد المدينة، فهو لا يستطيع أن يحيا في أحد قصورها حياة عصرية، اذ سيضطر الى تكريس نفسه لصيانة الجدران والاهتمام بالخدم واعطاء الأوامر باصلاح مركبه النهري الخاص وطلي أعمدة المرسى وتنظيف ثريات الكريستال قطعة قطعة. إن امتلاك قصر في البندقية أمر مروع بلا شك، لكن ثمة من لا يزال يمتلك قصوراً.



جاءت زيارتي الاولى للبندقية متأخرة قياساً على أسفاري الكثيرة. كنت أدخرها لمناسبة رومنطيقية، غير أن هذه المناسبات لم تتزامن يوما وامكانات القيام برحلة. لذا جئت اليها فجأة في شتاء ١٩٧٥، فكانت البندقية ذاتها هي المناسبة الرومنطيقية.

لقد أصبح الوسيط غاية.

مورييل سبارك ■

الطف تخصّص: تربية الزواحف!

بالنسبة الى الجنس "الخشن" تبدو هذه العالمة شواذاً لأنها تربي عظاءات

في أحد أيام سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ وصلت الى الحدود بين بناما وكوستاريكا شاحنة تقودها امرأة أثارت ريبة الحرس. فسألها أحدهم: "ماذا تنقلين في شاحنتك؟"

أجابت داغمار فيرنر: "١٢٠٠ إغوانة."

ذهل الحارس، اذ ما عسى هذه المرأة الشقراء التي تحمل جواز سفر ألمانيا تفعل بهذا العدد الكبير من العظاءات الضخمة؟

أدركت داغمار أن الرجل لن يسمح لها بالمرور، فسحبت سلاحها السري "إغناسيو" من مؤخر الشاحنة، وهو إغوانة أليفة تزن خمسة كيلوغرامات، وراحت تمسّده برفق. وتتذكر فيرنر ما حدث آنذاك ضاحكة: "دهش الخفير لشجاعتي ولوّح بيده للحال سامحا لي بالعبور. لم يعلم أن الاغوانات لا تؤذي، فهي تقتات بالنبات فقط."

خلال السنوات السبع المنصرمة اشتهرت البروفسورة داغمار فيرنر في بلدان أمريكا الوسطى. ويناديها الناس هناك بتحبُّب "ماما إغوانة." وفيرنر خبيرة مرموقة بعظاءات الاغوانة الخضر، عملت على تدجينها وتربيتها فأنقذتها من



يبلغ طول الاغوانة الخضراء مترين وهي تعيش على الاغصان.

PHOTO: © RICHARD K. HOFMEISTER / SMITHSONIAN

الانقراض. تقول إيرا روبينوف مديرة معهد سميثسونيان للأبحاث الاستوائية في بناما: "يُعتبر مشروعها أحد أنجح مشاريع صيانة البيئة في أمريكا الجنوبية."

عام ١٩٨٣ كانت "مؤسسة و. ألتون جونز" في شارلوتسفيل بفيرجينيا خصصت لمعهد "سميثسونيان" موازنة لاجراء تحقيق في حال الاغوانات الخضر يدوم خمس سنوات. فهذا النوع من العظاءات كان أحد الانواع الاكثر انتشاراً في هذا الجزء من العالم، لكنه بات على شفا الانقراض. فالغابات الاستوائية التي تعيش فيها الاغوانات وتقتات تتعرض للقطع. ويصطاد الناس هذه العظاءات طمعاً بلحمها الذي يشبه بطعمه لحم الدجاج.

كان من الضروري أخذ إجراءات إنقاذية فورية. فاتصل المعهد بداغمار فيرنر العالمة بالحيوان في جامعة بروت بالمانيا التي سبق لها ان درست زواحف ضخمة في جزر غالاباغوس، وطلب منها أن تأتي الى بناما لتقود الابحاث هناك. فوافقت.

كانت قلة من الحقائق العلمية معروفة عن سلوك الاغوانة: تضع الأنثى نحو ٤٠ بيضة دفعة واحدة في حفرة في الارض، فتفقس بعد نحو ثلاثة أشهر. ولون صغار الاغوانة أخضر زاهٍ يساعدها على التموّه بين أوراق الشجر. أما العظاءات الكبيرة البالغة فرمادية اللون مما يسهل عليها "الامتزاج" بالاغصان الكبيرة.

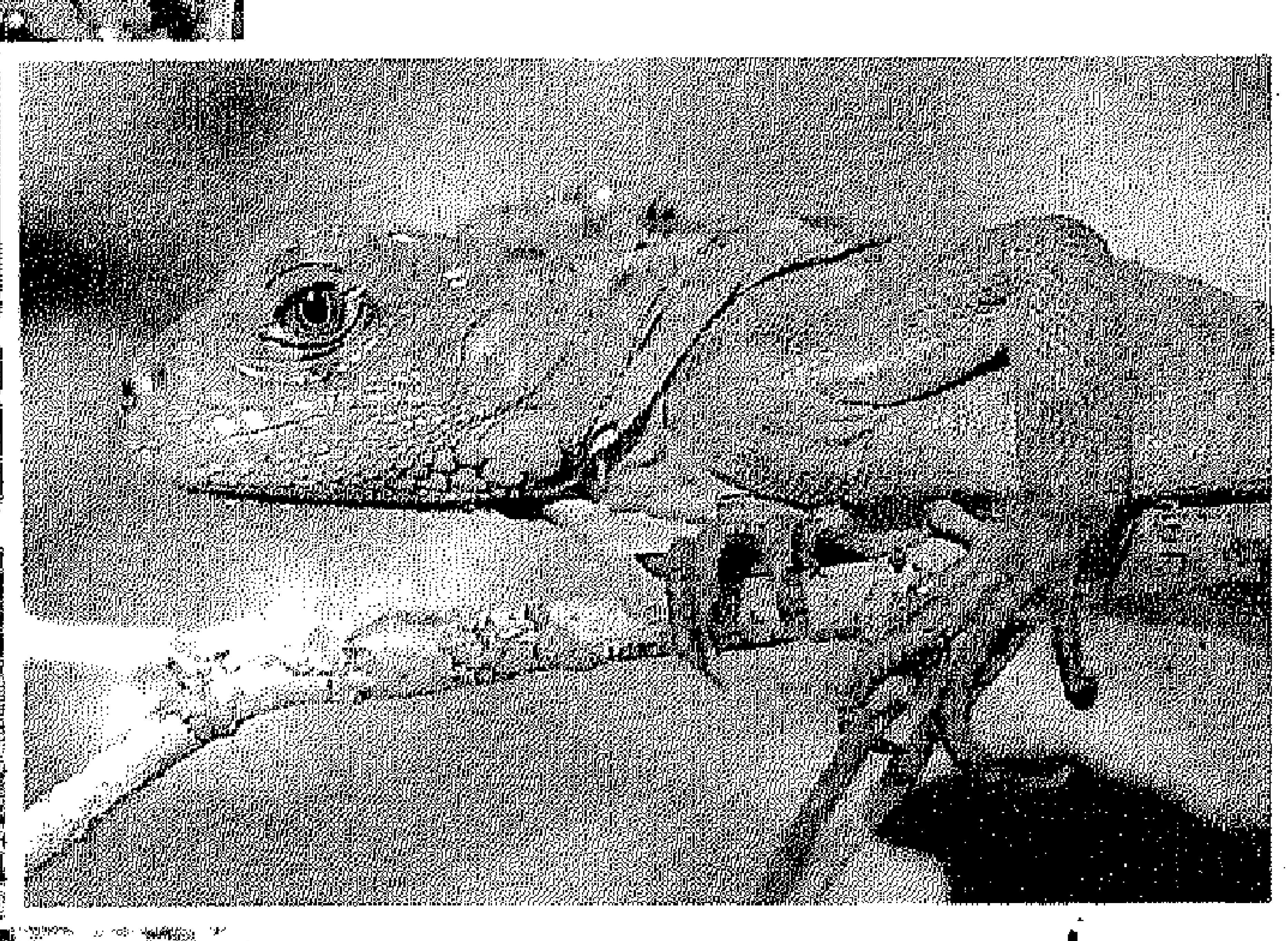
الاغوانة عملاقة مقارنة بأنواع أخرى من السلالة. قد يتجاوز طولها المترين، ويشكل ذنبها القوي معظم جسمها، وهو سلاحها الرئيسي تضرب به كسوط. الاغوانة بعيدة عن الجمال، فعيناها جاحظتان ومخالبها طويلة وجلدها حرشفي، ولها لحمة متدلية تحت الرقبة وأشواك طويلة لينة على امتداد ظهرها.

نظام عشائر. وصلت داغمار فيرنر الى بناما في فبراير (شباط) ١٩٨٣. وما لبثت أن أدركت أنها، اذا أرادت لمشروعها النجاح، فعليها تربية أعداد كبيرة من الاغوانات في الأسر ثم اعطاؤها للسكان المحليين واقناعهم بأن يرعوها ويصبحوا مربّي عظاءات داجنة. وكان معظم محاولات تربية الاغوانة في الاسر باء بالفشل.

التمست فيرنر مشورة بيولوجيين (علماء أحياء). فأبدى هؤلاء شكوكهم في امكان انجاز المهمة. فلا نظام غذائياً مضموناً، والمعلومات ضئيلة عن تناسل الاغوانة ونموها، ومن المحتمل أن تجتاحها الاوبئة وتتصارع ذكورها بشراسة حتى النفوق.

لكن فيرنر لم تستسلم، وقررت، في حال احجام زملائها عن المساعدة، أن تتعلم تربية الاغوانات بنفسها. فعمدت الى بناء خمس حظائر بألواح معدنية في "سوبيرانيا ناشونال بارك" على بعد ١٥ كيلومتراً من مدينة بناما، ووضعت داخلها صناديق من خيزران مأوى للاغوانات.

اللون الرمادي للاغوانة البالغة يؤمّن لها تمويها جيداً.



تُعرف صغار الاغوانة بجلدها الاخضر الزاهي.

وجمعت في الحظائر صغار إغوانات التُقطت داخل البلاد، وأطعمتها أوراق نبات رخصة وفاكهة استوائية. فنمت الحيوانات وازدهرت المزرعة.

في السنة التالية أسرت فيرنر وثلاثة من مساعديها البناميين إغوانات "حبلى" بالقرب من مركز الابحاث. فتلقت درسها الاول، اذ اكتشفت ان الاغوانة تخبىء بيوضها اللينة في حُفر مستطيلة متلوية. وكانت فيرنر صممت على جمع البيوض وتفقيسها اصطناعيا. قالت: "استغرق كشف الحفر والعثور على الاعشاش ساعات. وارتأيت أن ثمة طريقة أفضل من هذه لا محالة."

فعمدت الى بناء عش اصطناعي مبتكر وبسيط: صندوق من حجار اسمنت مدفون في حفرة في الارض وموصول بأنبوب تصريف ملىء نصفه بالتراب، كأنه مدخل عش طبيعي. تقول فيرنر: "قبلته الاغوانات للحال."

أما طريقة الحضانة فحُلّت أيضا على نحو سهل غير معقد، من طريق وضع البيض في صناديق من البلاستيك الاسفنجي (ستيروفوم) معبأة بالرمل وتحمى بحرارة الشمس الاستوائية. ويفقس اكثر من ٩٠ في المئة من البيض داخل هذه الصناديق، أي ضعفي ما يفقس في الاعشاش الطبيعية.

حتمت تربية الاغوانة على فيرنر أن تعمل حارسة وطبيبة وحاضنة في وقت واحد. وأقامت داخل الاقفاص حواجز لتفادي صراع الذكور. وبسطت شباكاً لصيد السمك فوق حظائر الصغار لحمايتها من النسور والصقور. وأخذت تتفهم، تدريجاً، بعض أسرار الاغوانات الخضر، فصارت تعرف أنها تحب، الى ثمر البابايا وزهرة الآلام،* أوراق اللوبياء والكايوت وسواهما من النباتات الاستوائية. واكتشفت أن ذكراً واحداً يكفي أربع إناث للتكاثر بنسبة صحيحة، وان الاغوانات الخضر تنحو الى انشاء عائلة، فكل واحدة منها تعرف أفراد "عشيرتها"، وتؤثر صغارها التجمع مع "اخوتها."

في المزرعة، يكتمل نضج الاغوانة جنسياً في عامها الثاني، أي أبكر سنة من نضجها في البرية. وبانتفاء خطر الاعداء، وبتوفير وقاية من الطقس الرديء، يكتمل نمو الصغار حتى سن البلوغ.

جزر غالاباغوس. الابداع والعزم والارادة الصلبة صفات اتسمت بها داغمار فيرنر. ولدت في ٣٠ ابريل (نيسان) ١٩٤٤ في مدينة هال بألمانيا الشرقية، وأمضت طفولتها مع ثلاث شقيقات أكبر منها سناً في مزرعة العائلة.

عام ١٩٥٢ هاجرت العائلة الى راينفلدن وهي بلدة صغيرة في المانيا "الغربية" على الحدود السويسرية.

وبعد تخرج داغمار في المدرسة الثانوية عام ١٩٦٥ درست علم الحيوان في جامعة بال بسويسرا. وكانت أثناء العطل الفصلية تقصد بريطانيا وتعمل مساعدة في "محطة رافنغلاس للسلوك الحيواني" التابعة لجامعة أكسفورد. وكانت لها مساهمة كبيرة في الأبحاث هناك، مما حمل مدير المحطة نيكولاس تنبرغن، الحائز جائزة نوبل، على ارسال كتاب اشادة بمؤهلاتها الى جامعة بال حيث نالت داغمار درجة دكتوراه في علم الحيوان.

في غضون ذلك ازداد افتتانها بالزواحف، خصوصاً لضآلة المعلومات عنها. تقول فيرنر: "كان حلمي أن أذهب الى جزر غالاباغوس لدراسة الزواحف الكبيرة. وكانت لي محادثات في هذا الموضوع مع أستاذي الدكتور ديفيد سن. وذات يوم عام ١٩٦٩ أخبرني ان الجامعة مستعدة لتمويل أبحاث في تلك الجزر، فأثارني الخبر وكدت أطير فرحاً." ثم عاشت أشهراً وحيدة في جزر مقفرة في المحيط الهادىء، تستكشف بحماسة حياة الزواحف وأنماط عيشها. وعادت الى المانيا "الغربية" عام ١٩٨٠. وكانت عاكفة على تقويم أبحاثها في جامعة بروت عندما دعاها معهد "سميثسونيان" الى بناما.

"زراعة" رابحة. ربت فيرنر أكثر من ١٥ الف إغوانة خضراء خلال سبع

(*) Passionfruit

سنوات. وفي العام ١٩٨٦ أطلقت ألوفا منها في الغابات الاستوائية المحيطة بالقرى البنامية. (اظهرت الاختبارات الميدانية لاحقاً ان الاغوانات الصغيرة المرباة في المزارع تتكيف جيداً والحياة في البرية.) كما مدّت فيرنر مزارعين محليين بهذه العظاءات، وأمنت لهم مواد لبناء حظائر وأعشاش. وتولى عالم بيولوجيا وعالم أحراج من مساعدي فيرنر تعليمهم طريقة الاعتناء بهذه الحيوانات. وهكذا ولدت "مزارع الاغوانة." وتحمّس السكان للمشروع. وفي العام ١٩٨٨ أقيمت مزرعة في كوستاريكا المجاورة.

وثمة اختبار نموذجي لمزارع من تشوبامبا في بناما. فهو اعتاد تربية الماشية، اما اليوم فتسرح عظاءات الاغوانة في كل مكان من مزرعته، على الشجر وحول مسكنه وفي الغابة الصغيرة التي يملكها. تقول كارول ستوني وهي مستشارة أمريكية في علم الاحْراج: "لقد تحولت مزرعته محمية استوائية للحياة البرية. ولا يزال لديه بعض الماشية، لكنه عاكف على زرع الاشجار وتربية مزيد من الاغوانات التي تؤمن له ربحاً أوفر."

عام ١٩٨٨ نفدت منحة "معهد سميثسونيان"، فدعيت فيرنر الى جامعة كوستاريكا الوطنية لتصبح استاذة ادارة الحياة البرية. وفي السنة التالية دُمجت وظيفتها في البرنامج الالماني الدولي للتبادل الثقافي. وكان لدى فيرنر ٢٣٥٠ إغوانة حين أسست محطة جديدة للابحاث في محمية خاصة للحياة البرية مجاورة لـ"محمية كارارا البيولوجية" قرب ساحل المحيط الهادئ. فنمت المستعمرة، وفي مايو (أيار) تم تفقيس ٣٠ ألف بيضة، وستطلق الاغوانات لاحقاً في الاحراج المحيطة بقرى كوستاريكا.

تحوّل ايجابي. تحتفظ فيرنر بمكتب في بناما تعود اليه غالبا لزيارة المزارع المزدهرة. و"مؤسسة الاغوانة الخضراء" التي أسستها عام ١٩٨٥ تدير برامج لاعادة إسكان القرى الريفية، وتتابع أبحاث الاغوانة، فيما تنصرف فيرنر الى جمع المال اللازم لنشر الخطة في أنحاء الامريكتين. وهي حصلت على مساعدات مالية من مؤسسات بيئية مثل "إنتر – أميريكان" و"الصندوق العالمي للحياة البرية" في الولايات المتحدة. والى الآن، نال أكثر من ٣٠ طالبا درجات جامعية لعملهم في مزرعة فيرنر لتربية الاغوانة. وهي باشرت برنامجاً تدريبياً لدارسي الاغوانة من هندوراس وغواتيمالا ودول أخرى.

لكن فيرنر ترى أن واجبها الاهم ايصال الرسالة الى سكان القرى. وهي تحاضر وتوزع منشورات في الاماكن العامة وأندية الشبيبة. وبغية لفت انتباه الاولاد، وضعت حظائر إغوانات في أماكن مجاورة للمدارس. تقول كيث أوبرغ ممثلة كوستاريكا لدى مؤسسة "إنتر – أميريكان": "إنها تتحدث الى السكان المحليين بنبرة عفوية محببة فتنال رضاهم، وذلك غير عادي في العلماء."

وكان للمزارع الزاهرة تأثير جانبي مثير، اذ حفزت السكان المحليين على زرع الاشجار وحمايتها، لأن الاغوانة تقتات بأوراق الشجر. وذلك أمر في منتهى الاهمية، لأنه يعني تحوُّلا ايجابياً في أمريكا الوسطى والجنوبية حيث تتلف سنويا ملايين الهكتارات من الغابات الاستوائية. فاذا أدرك الناس ان الاشجار تدر عليهم أرباحاً من خلال تربية الاغوانة، فقد يُنقذ مزيد من الغابات الغالية الضرورية للحفاظ على مستوى عال من الاوكسيجين ومستوى متدن من ثاني أوكسيد الكربون في جو الارض.

قال أوسكار أرياس سانشيز الرئيس السابق لجمهورية كوستاريكا الحائز جائزة نوبل، بعدما زار مزرعة فيرنر في فبراير (شباط) ١٩٩٠: "إن انجازات داغمار فيرنر عظيمة حقاً. فهي، الى عملها الرائع في إنقاذ الاغوانة من الهلاك، تنقذ بيئتها أيضاً. ان لها ديناً كبيراً على شعوب أمريكا الجنوبية."

نويل فيتماير ■

مشكلة مستعصية

طلبت المعلمة من التلاميذ الذين يعانون مشاكل في نظرهم أن يجلسوا قريبين من اللوح. وما لبثت أن وصلت تلميذة متأخّرة، فكرّرت المعلّمة سؤالها: "أتعانين أي مشكلة في عينيكِ؟"

أجابت الفتاة بعد لحظة تفكير: "نعم، لا يمكنني أن أكحل رموشي."

ب.ر.

كسول!

استغرق ابني في النوم صباح يوم عطلة، ولم يردّ على نداءاتي المتكررة. فدخلت غرفته المعتمة ونزعت عنه ملاءته وقلت له: "هيا انهض يا وليد، انّه صباح ربيعي جميل، حتى العشب نما وصار لونه أخضر."

فدفن وليد رأسه تحت الوسادة متكاسلا وتأوّه قائلا: "هذا يعني أن عليّ أن أجزّه أيضاً، أليس كذلك؟"

م.ب.

طبيب العائلة

زوجي طبيب صحة، وغالباً ما يلتقي مرضاه في أماكن اجتماعية. ذات يوم كنا نتناول طعام الغداء في مطعم حين انتبه الى وجود عائلة من "زبائنه" هناك. فمضى اليهم لالقاء التحيّة، واذا بابنتهم الصغيرة تبتسم له ابتسامة معرفة ثم تفتح فمها وتقول: "آاااه!"

م.ا.

عصابات شرسة تنهب السفن
وتخطفها وقد خرجت جرأتها على كل الحدود

قراصنة!

شاطىء في ليلة قمراء، ورجل بساق خشبية، وصبي. صاحب الساق الخشبية يتكلم: "هاي! جيم، يا عزيزي، يؤلم لونغ جون العجوز أن يتركك فجأة هكذا. لكن حمولة من تلفزيونات سوني الصغيرة تمخر الليلة عباب مضائق جاوة.[1] انها ثمينة جداً يا عزيزي، لامعة كأكواز الرمان ويانعة للقطاف."[2]

هل يبدو لكم ذلك ضرباً من الخيال؟ فكروا ثانية. فالقراصنة الحقيقيون موجودون فعلاً. وهم رجال عصابات يقتنصون الغنائم مستخدمين سيوفاً وخطاطيف[3] وخرقاً ملونة يعصبون بها رؤوسهم وزوارق آلية سريعة ومتفجرات ودعماً مالياً وفيراً. انهم، كما يقول قبطان سفينة نجا من براثنهم، "مجموعة خطرة جداً."

(١) جزيرة في اندونيسيا
(٢) استعارة من اجواء رواية "جزيرة الكنز" يبرز فيها الكاتب التشابه بين قراصنة الامس واليوم
(٣) الخُطاف حديدة معقوفة

في ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٩١ تسلقت عصبة من القراصنة المدججين بأسلحة رشاشة متن السفينة التجارية "هاي هيو - ١" قبالة شاطىء فيتنام، وسأل أفرادها القبطان إن كان يحمل أجهزة فيديو على متن سفينته.

أجابهم القبطان: "نعم، نحو ٨٠٠ جهاز."

فكبَّله القراصنة بالاصفاد هو وبحارته الثلاثة عشر وساقوهم الى عنبر السفينة حيث أقفلوا عليهم باب حجرة سلاسل المرساة التي لا تتجاوز مساحتها تسعة أمتار مربعة.

أمضى القبطان ورجاله أربعة أيام لم يستطيعوا خلالها الا التنصت. وكان أول ما تناهى الى سمعهم صوت تشغيل آلة رافعة، ثم صوت سفينة أخرى ترسو الى جانب سفينتهم. وحين عثرت السلطات على "هاي هيو - ١" كان وزنها نقص ٤٠٠ طن من الاجهزة الالكترونية والدراجات النارية والمعلبات.

لا تقتصر حوادث كهذه على آسيا. فلكل من شرق المتوسط وغرب افريقيا والبرازيل وسواها "لونغ جون" محلي.

في العام ١٩٩٠، صعد قراصنة الى متن السفينة الحاوية "آشلي لايكس" فيما كانت على مقربة من غواياكيل في الاكوادور. وكانت شقيقتها "ستيلا لايكس" تعرضت لثلاثة حوادث مماثلة في تلك المنطقة.

وفي غرب افريقيا يعمل قراصنة شباب في مجموعات يراوح عديدها بين ١٥ و١٠٠. وهم ينتظرون رسو السفن، ثم يتوجهون اليها في قوارب خشبية ذوات محركات، ويتسلقونها.

يقول مايكل نيكل قبطان الناقلة الامريكية "فاريل لاينز": "للقراصنة مستعمرات دائمة قبالة شاطىء لاغوس في نيجيريا. وقد صعدوا الى متن سفينتنا وهي بعد في ميناء ابيدجان بساحل العاج. فاضطررنا الى تحصين انفسنا في الداخل."

وقد يبقى القراصنة على متن السفينة ساعات يحطمون خلالها أقفال الحاويات ويسرقون ما فيها. وذات مرة ضاق مسؤولو شركة "كارلاندر لاين" النروجية ذرعا بمحاولات ابعاد قراصنة لاغوس، فاستخدموا نبَّالين محليين لرشقهم بالاسهم.

كلّ ما يطفو! يقول ستيفن شميدت نائب رئيس العمليات في شركة "بريزيدنت لاينز" الامريكية: "الى سنوات قليلة خَلت كانت ضخامة السفن الحاوية وسرعتها تنجيانها من القراصنة. لكن ذلك انتهى الآن." وهو يعرف بواخر (لغير شركته) هوجمت وهي مبحرة بسرعة ٢٠ عقدة (٣٧ كيلومتراً في الساعة). فالقراصنة اليوم يهاجمون كل ما يطفو على وجه الماء، بما في ذلك ناقلات المواد التي لا تعبأ في صناديق أو أكياس (كالقمح) وناقلات النفط. ففي العامين الماضيين شملت لائحة الضحايا ناقلة النفط الكورية "أوشن رنر" (١٢٠ ألف



طن) وناقلة النفط الامريكية "أوشن سيتي" (٨٠ ألف طن) وناقلة المعادن الخام اليونانية "كونكار دينوس" (١١٤ ألف طن).

وفي حين كان لصوص الامس يقيسون غنائمهم بأمتار الحرير وأرطال الجواهر والافاويه، فان لصوص اليوم يقيسونها بأطنان الاسمنت والقهوة وبطاريات السيارات وقضبان الفولاذ والثياب الداخلية. وقد تضمنت لائحة أعدها فليمنغ رامسبي رئيس دائرة الخدمات في "المجلس البحري للبلطيق والعالم" وهو أكبر اتحاد عالمي لمالكي السفن، بضائع سُرقت حديثاً ثم بيعت خلال ساعات أحياناً بواسطة تجار مسروقات. ومنها: ٣٠٠٠ طن من السكر كانت متجهة من ايطاليا الى لبنان و٢٥٠٠ طن من رُبّ البندورة (الطماطم) كانت متجهة من اليونان الى الجزائر.

يقول رامسبي: "استولى القراصنة على سفينة كانت تعبر جزر الفيليبين وغنموا منها ٣٠٠٠ طن من الفولاذ. وهم

PHOTO: R. IAN LLOYD



يدخل مضيق ملقة نحو ٣٠٠ سفينة يومياً مما يجعله انشط مسارح القرصنة في العالم.

استبقوا القبطان وأجبروا البحارة على العودة الى الميناء في قارب نجاة."

وقد تصل قيمة الغنيمة الى ملايين الدولارات، لكنها غالباً لا تتجاوز عشرات الآلاف.

كوارث محتملة. يشهد العالم ما يزيد على ١٢٠ عملية قرصنة سنوياً. وتزداد هذه العمليات سريعاً في بعض المناطق، الامر الذي دفع "اتحاد النقل الدولي"، وهو تجمع لاصحاب السفن مقره لندن، الى مناشدة حكومات الدول المجاورة لبحر الصين الجنوبي في مايو (أيار) ١٩٩١ كبح جماح القراصنة بعدما زادت عملياتهم أكثر من ستة أضعاف خلال العام ١٩٩٠ (من ٦ عمليات الى ٤٠).

بيد أن الخبراء يعتقدون أن الحوادث التي يتم الابلاغ عنها لا تتجاوز نسبتها الاربعين في المئة. ويفسر مايكل فارلي الامر، وهو مدير جمعية مالكي السفن في هونغ كونغ: "لا فائدة فعلية من الابلاغ عن تعرضكم لعملية قرصنة، اذ من الممكن أن تفقدوا صدقيتكم، فذلك يشير ضمناً الى أن سفنكم غير مأمونة."

ويعتقد بعض القباطنة والبحارة أن هذه الحوادث تنعكس سلباً على سمعتهم الملاحية، كما أنهم يخشون أعمال انتقام شخصية. ويذكر مايكل نيكل أن قراصنة في غرب افريقيا قتلوا عدداً من القباطنة الدانمركيين الذين حاولوا ردعهم. ويضيف: "بعد ذلك توقف الدانمركيون عن الذهاب الى تلك المنطقة."

وليست هناك دار مقاصة مركزية تحفظ سجلا يبين ما تتكبده صناعة النقل البحري من خسائر بسبب أعمال القرصنة. ولكن تشير معلومات شركات التأمين الى أن حجم الخسائر في بعض السنوات يصل الى ١٠٠ مليون دولار. في الفيلبين، مثلاً، سُرقت خلال الاعوام الثلاثة الماضية ثماني سفن شحن

بحمولاتها. ويعتقد الخبراء ومن بينهم اريك ألن مديـر "المكتب البحري الدولي"، وهو فرع لغرفة التجارة الدولية مختص بمكافحة الجريمة، ان مجمل الخسائر على نطاق عالمي يقارب ٢٥٠ مليون دولار سنوياً.

وأدهى من ذلك أن أعمال القرصنة قد تفرض على العالم ضريبة أغلى كثيراً. يقول مايكل غراي وهو محرر في صحيفة "لويدز ليست انترناشونال" التي تعنى بالنقل البحري: "يقلقني دائماً أن تجنح ناقلة نفط أو حاوية مواد كيميائية وترتطم بالشاطىء لمجرد أن مسدساً وُجِّه الى رأس القبطان. فهذا قد يتسبب في كارثة بيئية هائلة."

إن حلّت كارثة كهذه، فغالب الظن أن تصيب مياه سنغافورة ثاني أنشط موانىء العالم، لاضطرار السفن المتنقلة بين بحر الصين الجنوبي والمحيط الهندي الى الابطاء في هذه المياه لكي تستطيع اجتياز ممرات ضيقة، ومنها قناة فيليب ومضيق ملقة الذي يدخله نحو ٣٠٠ سفينة يوميا وينفَّذ فيه معظم عمليات القرصنة في العالم. وتؤمن كوكبة من الجزر الصغيرة القريبة غير المأهولة مخبأ للقراصنة.

هواة ومحترفون. تجري عمليات القرصنة عادة في الصباح الباكر ما بين الاولى بعد منتصف الليل والسادسة فجراً. فيقترب زورق سريع يحمل ثلاثة رجال أو اربعة من مؤخر السفينة حيث يرمي الرجال خطاطيفهم لتعلق بحافة السفينة، ثم يشرعون في التسلق الى متنها. وما ان يصلوا حتى يتجهوا مباشرة الى قمرة القبطان التي تحتوي على خزنة السفينة المتضمنة عادة نحو ٥٠ ألف دولار مخصصة لدفع رواتب البحارة ورسـوم الموانىء والـوكـلاء. يجبـر القراصنة القبطان على فتح الخزنة فيجردونها من محتوياتها. ويستولون على ما يمكن انتزاعه من ممتلكات البحارة القيّمة، ثم يختفون في الظلام في أقل من ربع ساعة.

وهذا ما حـدث تمامـاً للسفينة الاوستـرالية الحـاوية "تي ان تي اكسبرس" (٢٠ ألف طن) وشقيقتها "براسل" في العام ١٩٩٠. وقد أفاد تيم بوند قبطان "تي ان تي اكسبرس" أن أربعة رجال، يرتدي أحدهم قناعاً على طراز النينجا،[٤] اعتلوا متن سفينته قبيل الفجر فيما كانت على بعد ٣٠ كيلومتراً من جنوب سنغافورة، فأفرغوا الخزنة ونهبوا محتويات قمرته ثم أوثقوه وهربوا.

بعض القراصنة الأسيويين هم من صيادي الاسماك أو المزارعين الفقراء المتلهفين لسرقة ما تقع عليه أيديهم، حتى ألبسة النوم والثياب الشتوية. لكن أولئك الذين يستخدمون الرادار لتحديد مواقع أهدافهم ويشوشون ترددات أجهزة الـلاسلكي في السفن المستهـدفــة ويجوبون المضيق في زوارق سريعة كتلك

(٤) النينجا (Ninja) مقاتلون شرسون يكثر ذكرهم وظهورهم في افلام سينمائية حديثة.

التي يستخدمها رجال خفر السواحل، فانهم بالتأكيد محترفون. وهم أيضاً قادرون على تنسيق عمليات هجوم معقدة كتلك التي تعرضت لها السفينة الحاوية "زيم يوكوهاما" في مضيق سنغافورة عام ١٩٨٩. وهي عملية تطلبت أسطولا من ١٢ زورقاً آلياً حملت عشرين رجلا.

لكن أجرأ القراصنة في العالم، كما يقول اريك آلن، هم أعضاء في عصابات الجريمة المنظمة التي تعمل انطلاقاً من سنغافورة وهونغ كونغ وتايلاند وتايوان وماليزيا واندونيسيا والفيليبين. هؤلاء لا يكتفون بسرقة البضائع، بل يعمدون الى اغراق السفن وتحويل وجهاتها واختطافها بحسب الطلب.

اكتشف محققون يعملون مع آلن أن في وسع أي زبون قادر على دفع مبلغ يراوح بين ١٠٠ ألف دولار و٣٠٠ ألف، الوقوف على شرفة غرفة في فندق يطل على خليج مانيلا وتعيين السفينة التي يريد سرقتها، مع الطاقم أو من دونه. (وعبارة "من دونه" تعني إما قتل البحارة واما اجبارهم على العودة سباحة.) وبهذه الطريقة اختفت عشر سفن نقل وهي راسية في خليج مانيلا منذ العام ١٩٨١. يقول آلن: "لو أن طائرة فُقدت، لتم انذار كل مطارات العالم، لكننا في عالم البحار نفتقد نظاما كهذا."

مخطوفة بائسة. يفيد كيو شياو – لين وهو مفتش سابق في شرطة تايوان وأبرع المحققين العاملين مع آلن، أن زعماء القراصنة هم في حركة دائمة، يطيرون بين الموانىء الآسيوية في أجنحة ركاب الدرجة الاولى ويقيمون في أفخم الفنادق ويعيشون حياة ترف وبذخ. وتتحرك الاموال النقدية اللازمة لدفع مصاريف الترف والرشوات وتزوير الوثائق عبر شبكة مصرفية غير مشروعة قادرة على تحويل مبالغ تصل الى ثلاثة ملايين دولار في ساعات قليلة.

أما أكثر هذه النشاطات اثارة فهي عمليات الاحتيال التي تتطلب وجود "سفينة شبح." ولتحقيق ذلك تسرق العصابة سفينة تغير اسمها وعلمها وطلاء مداخنها. ثم ينطلق بها القراصنة – مزوَّدين أوراق تسجيل تبدو أصلية – بحثاً عن مغانم سهلة. وعندما يصلون الى مرفأ لا تشك سلطاته في أمرهم، يقدمون عروضاً مغرية لنقل البضائع. فيعمد التجار المحليون، وقد أعجبتهم الاسعار، الى ائتمانهم على بضائعهم التي تذهب الى غير رجعة. ولا تلبث السفينة أن تظهر باسم جديد وأوراق جديدة لتكرر عملية الاحتيال مع ضحايا جدد.

انتحلت احدى هذه السفن البائسة أربع هويات مختلفة خلال أربعة أشهر. حدث ذلك حين استولى أربعة رجال مدججين بالسلاح على السفينة "سيلفر مد" (٥٣٥٠ طناً) المسجلة في ليبيريا، فيما كانت راسية في خليج مانيلا في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨. وبعد أسبوعين، شوهدت قرب سنغافورة وهي تحمل اسم "لا بامبا"." وشوهدت لاحقاً في مياه

ماليزيا. ثم اتجهت جنوبا باسم "سي ركس" ناقلة شحنة من ألواح الخشب لم يعثر لها على أثر. وبعد تغيير اسمها مجدداً الى "ستامفورد" أُوقفت أخيراً في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ قبالة شاطىء لوزون في الفيلبين وهي تحمل اسم "ستار ايس."

تدابير رادعة. كيف ينجو القراصنة بفعالهم؟

الامر سهل في الواقع. فمع تحول السفن الى اعتماد مزيد من تقنيات التسيير الآلي، أصبحت تعمل بطواقم أصغر بحيث لا تحتاج سفينة حاوية تبلغ حمولتها ٢٣ ألف طن الى أكثر من ١٢ بحاراً. كما أن البحارة لا يحملون، عادة، أسلحة نارية تبعاً لسياسة اتحادات النقل البحري.

التي يخشاها مرتكبو هذه العمليات. فالقرصنة لا تُعتبر قرصنة بموجب القانون الا اذا حدثت في المياه الدولية حيث تصل عقوبتها أحيانا الى الاعدام، وفي ما

ويمكن الحصول على أوراق تسجيل مزورة وغير ذلك من الوثائق في مقابل ٥٠ ألف دولار للسفينة الواحدة (عشرة أضعاف الرسم الشرعي) من مراكز تسجيل في بلدان مثل بناما والهندوراس حيث يتمتع المسؤولون بحصانة ديبلوماسية، كما يقول اريك ألن. ونادراً ما يتحقق الشاحنون من صحة هذه الاوراق، إما كسلا واما خشية جرح المشاعر.

ولا تتضمن القوانين كثيراً من البنود

عدا ذلك لا تخرج عن كونها سرقة كبيرة تقع في اطار القانون الجزائي للبلد المعني. يقول مسؤول كبير في "الاتحاد الوطني للشحن البحري" في سنغافورة: "ما ان تغادر السفينة مياهنا الاقليمية حتى يخرج الامر من أيدينا."

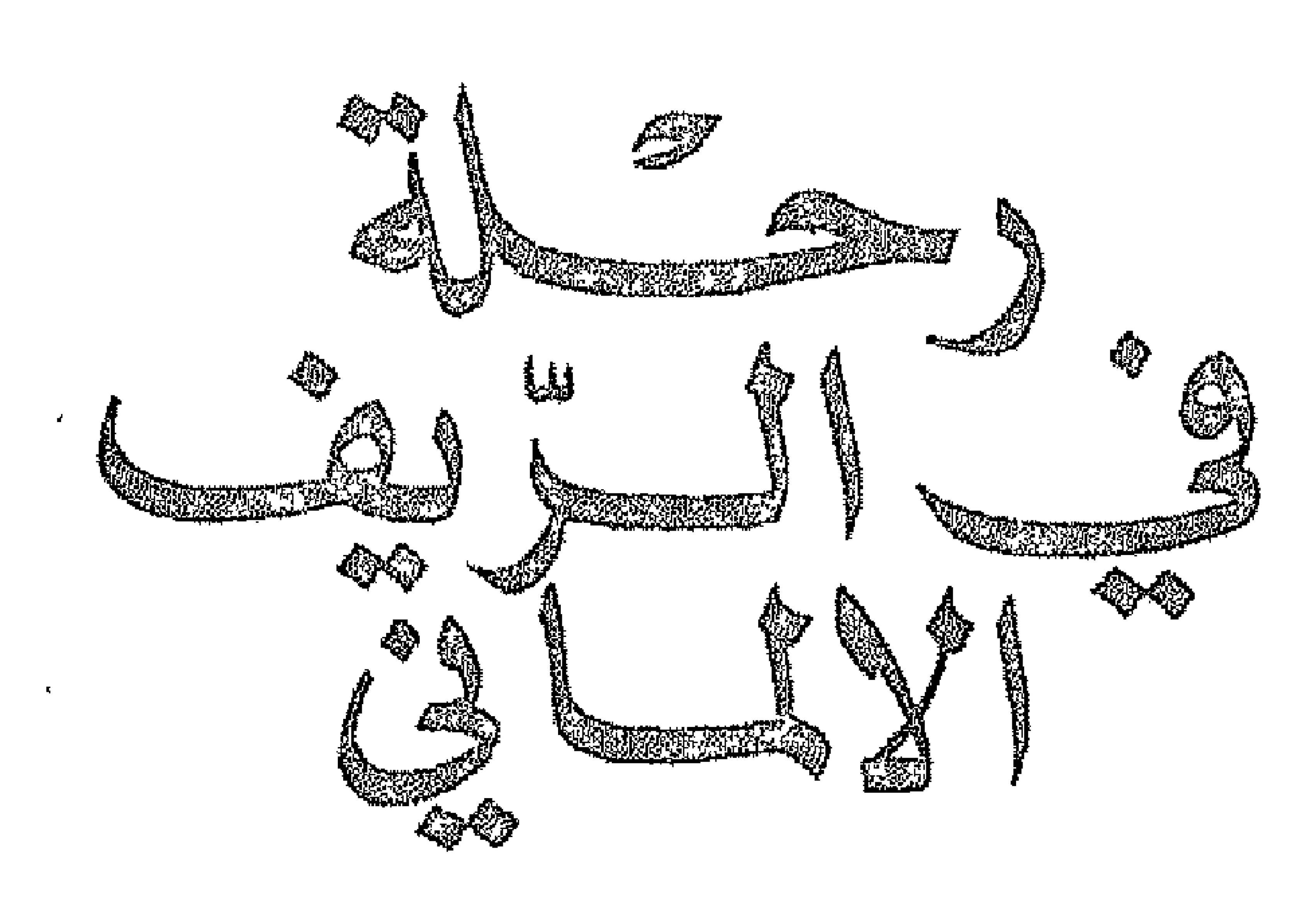
لكن كيث غراهام أستاذ مادة القانون الدولي في اكاديمية كاليفورنيا البحرية يعتبر هذا العذر "مجرد تفاهة". فالقراصنة لا يتمتعون برعاية أي بلد، لذا يُعتبرون قانوناً "أعداء البشرية جمعاء."

والى أن يحين ذلك، يبدو أن للمشكلة حلا بسيطا. يؤكد الخبراء أن السفن التي تعبر مياها تكثر فيها القرصنة تستطيع الحؤول دون هجمات القراصنة، باستثناء قلة من المحترفين الشديدي البأس، وذلك بجعل مظهرها أقل جاذبية، أي باضاءة كل الانوار الخارجية وزيادة السرعة ووضع حراس مرئيين، خصوصا في الليل وفي مؤخر السفينة. كذلك بالتأكد من أن خراطيم الاطفاء جاهزة دائما لاطلاق المياه، فضغطها قد يمكّن بحاراً يقظا من اسقاط المهاجمين وقذفهم بعيداً.

ويضيف اريك ألن أن "السفن الاشباح" يمكن وقفها بسهولة هي أيضا اذا صرف الزبائن وقتا كافيا للتحقق من صحة أوراق التسجيل.

عندما ينفذ القيمون على النقل البحري هذه التدابير سيفهم القراصنة أن "مهنتهم" باتت خطرة وأن الوقت حان للتخلي عنها.

ألن فارنام ■



مناظر تسحر الالباب في تخوم براندنبرغ

كتب المؤلف الألماني تيودور فونتان في مقدمة كتابه "رحلات عبر تخوم براندنبرغ": "على مَنْ يرغب في زيارة التخوم أن يحمل محبة الارض وأهلها." فسارت في خطاه أجيال تعرفت الى ذلك الريف المتعرج بين نهري الالب والاودر والذي بقي، في عدة نواح، كما وصفه فونتان قبل مئة عام. فما زالت أشجار الزان العتيقة الحانية تحت وطأة ثقلها تدلي أغصانها الى بحيرة ستشلن، وما زالت قوارب التجذيف تؤجّر صيفاً لنزهات رومنسية.

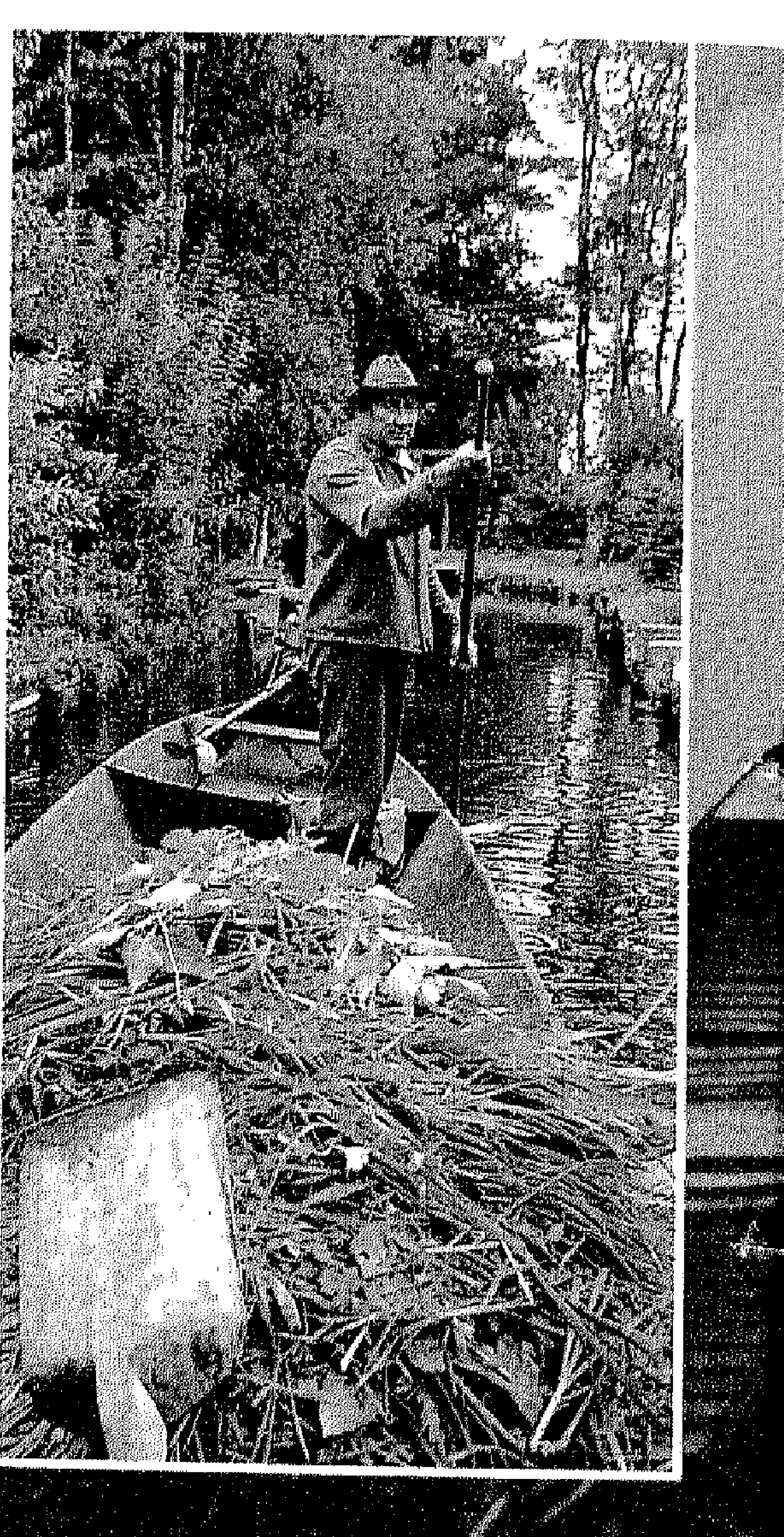


وبراندنبرغ، التي تبلغ مساحتها ٣٠ ألف كيلومتر مربع، هي كبرى ولايات ألمانيا "الشرقية." لكنها الصغرى من حيث عدد السكان بعد ولاية مكلنبرغ - بوميرانيا، اذ لا يزيد تعدادها على مليونين ونصف مليون. أما تخومها* فريف منبسط تنقِّطه بحيرات وقنوات وأنهر لا تحصى، وتتخلله تلال خفيضة يدعوها السكان "سويسرا التخوم." ويكمن سحره في مروجه المتموجة بلطف وغاباته وأراضيه الخصبة. وتعود التربة الرملية للمنطقة الى كثبان الداخل التي تذروها الريح، والى ذوبان الثلج والجليد في الوهاد. ولطالما دعيت التخوم في ما مضى "مرملة الامبراطورية الرومانية."

كانت تخوم براندنبرغ دائمة الفقر قياساً الى مناطق ألمانية أخرى. ومع ذلك تزخر الارض حول برلين بأبنية وصروح شاهدة على التاريخ. وتذكِّر الاديرة

(*) The Brandenburg March





(فوق) داخل كوخ البواب في غوليفتز.
(الى اليمين) مزارع يشحن الغلال في مركب.
(اقصى اليمين) قوارب في بحيرة في كورين وسط محمية طبيعية.
(اعلى اليمين) زوجة مزارع تسوق أبقاراً عائدة للمبيت.



برج سانت لورنس يعلو فوق منازل هافلبرغ الباروكية والكلاسيكية المحدثة.
(تحت) زوجة مزارع تعنى بحديقة مطبخها.

البندكتية الشهيرة في لهنن وكورين وزينا باستعمار بلدان أوروبا الشرقية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وقد مكث الامبراطور شارل الرابع في بلدة تنجرموندي المتاخمة لنهر الالب بين ١٣٧٣ و١٣٧٨. ويستحضر النصب التذكاري المقام في ساحة فهربلين ماضي بروسيا الحربي حين أجبر الامير الاكبر فريدريك غليوم الجيش الاسوجي (السويدي) على التقهقر عام ١٦٧٥. ومن الآثار الباقية قصر سيسيلنهوف الذي مكث فيه غليوم الثاني، آخر أباطرة ألمانيا، قبل نفيه عام ١٩١٨. وتعود شهرة هذا القصر، الذي بات اليوم فندقا فخما، الى اعتماده مكانا لتوقيع معاهدة بوتسدام بين جوزف ستالين وهاري ترومان وكلمنت أتلي في أغسطس (آب) ١٩٤٥.

كانت تخوم براندنبرغ موطنا للقبائل الجرمانية والسلافية، ثم تحولت أيضا ديارا للمهاجرين الهولنديين واليهود وللهوغنوت الفرنسيين والبروتستانت اللاجئين من النمسا. كما وردت على المنطقة أعداد من الساكسون زادت في



قصر سيسيلنهوف في بوتسدام.

خليط الجنسيات. وأهل تخوم براندنبرغ معروفون بالفطنة والظرف والواقعية والانفتاح والعمل الجاد. وظهر إقدامهم عام ١٩٣٤ عندما "اخترعوا" مصعداً للسفن في نيدرفنو ما زال الى اليوم يتيح للسفن ارتقاء فارق ٣٦ متراً بين شطري قناة أودر – هافل التي تشكل جزءاً من الممر المائي بين مدينتي برلين وستيتن.

بعد توحيد النقد الالماني عام ١٩٩٠ اضطر المزارعون في منطقة هافل الخصبة الى بيع نتاجهم على قارعة الطرق لصعوبة بيعه في المتاجر المحلية. ولجأ بعضهم الى نقله في مراكب الى أسواق برلين عبر نهر هافل وقناة لاندفير.

وتأسست جمعية اقليمية لترويج الصناعة في تخوم براندنبرغ في سبتمبر (أيلول)، انضم اليها أكثر من ٣٣ ألف مؤسسة تجارية خلال الاشهر التسعة الأولى من العام ١٩٩٠. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) تأسس في بلدة تلتو مركز للتكنولوجيا حظي بدعم وزارة الاقتصاد والتكنولوجيا من ولاية نورثراين – وستفاليا.

ومذ انهار الجدار الفاصل اكتشف سكان برلين مجدداً منطقة الاستجمام المتاخمة لمدينتهم. وتتدفق السيارات أرتالاً في طرق القرى الوادعة والمروج الخضِرة. ويرحب سكان التخوم بالسياح كما كانوا يفعلون في الماضي، اذ ما زال قضاء النزهات في ربوعهم جزءاً من حياتهم، كما ثمار اللفت والمقامات القروية والمنازل الريفية التي تثير حنيننا الى الماضي.

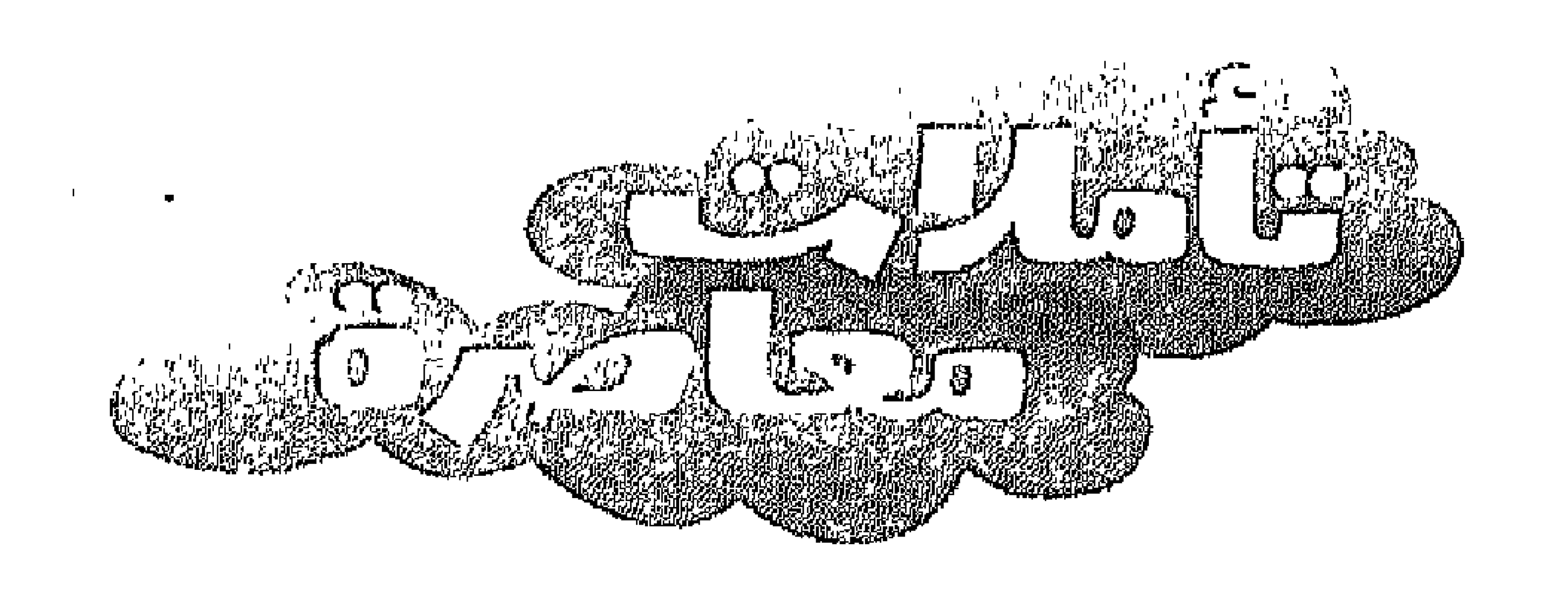
ماريان هوفاغن ■

طرب ممنوع

كان ابني وزوجته مسافرين في سيارتهما. فتوقفا في بلدة لتناول العشاء. وكان الوقت متقدماً فلم يجدا سوى مطعم واحد مفتوحاً تعزف فيه فرقة موسيقية. وما كادا يدخلان حتى بادرتهما النادلة بأن عليهما دفع رسم إضافي للفرقة الموسيقية. فردّ ابني: "لكننا نبغي ان ناكل، ليس إلا."

فقالت النادلة: "إذا تفضلا، ولكن اياكما أن تبدوا مطروبين وإلا دفعتما الثمن."

أ.د.



خداع الآخرين

■ سهلٌ على الانسان ان يخدع ذاته. وممكن أن يخدع أولئك الذين يعمل لديهم، وصعب عليه أن يخدع أولئك الذين يعمل معهم. ولكن مستحيل أن يخدع أولئك الذين يعملون لديه.

هاري تاير

الجاذبية

■ الجاذبية غامضة. قد تكمن في طريقة تصرف، أو في نبرة صوت، أو في حركة يدين. لكنها، مهما تكن، يجب أن تبقى لغزاً، وخصوصاً بالنسبة الى صاحبها. اذ ما إن يدرك المرء الميزة التي يجدها الناس جذابة فيه حتى تصبح تكلفاً. وليس أقل جاذبية من التكلف.

ركس هاريسون، ممثل بريطاني

الرأي العام

■ ليحذر السياسيون الذين يعتمدون نتائج استطلاعات الرأي لتقرير مواقفهم واتجاهاتهم. فالشعب لا يستطيع توقع ردود فعله ازاء أحداث مستقبلية أو افتراضية.

هذا درس تعلمناه من حرب الخليج: قبل الحرب كان أقل من ٥٠ بالمئة من الامريكيين يدعمون عملا عسكرياً سريعاً، وما ان بدأت الحرب حتى تغير الرأي العام الى حد مثير فأيدت الغالبية العظمى من الامريكيين قرار دخول الحرب.

لا يعني هذا ان على الساسة تجاهل الرأي العام، لكن المفتاح لاعادة انتخابهم هو التمييز بين ما يفكر فيه الناس اليوم وما سوف يفكرون فيه في الانتخابات التالية. وقد يعني ذلك اقناع الناس بتغيير آرائهم، وهذا هو الفرق بين أن يكون المرء قائداً أو تابعاً.

همفري تايلور

نفوس كبيرة

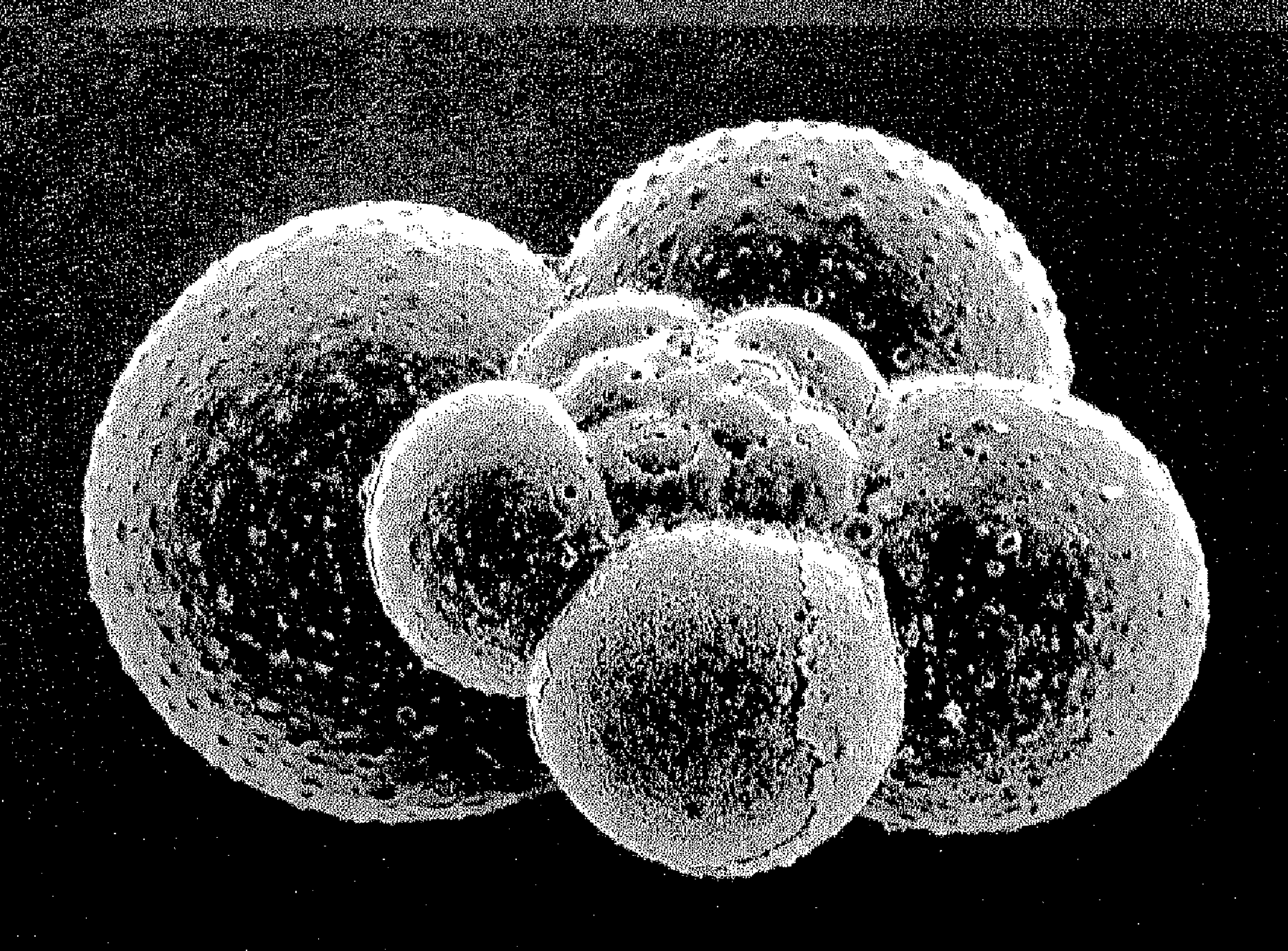
■ ما أبهج صحبة الناس السموحين الكرام، انهم يترفعون عن توافه الامور ويركزون فكرهم، غريزياً، على كل ما هو خيِّر وإيجابي حولهم، خلافاً لذوي النفوس الصغيرة الذين يجهدون لاظهار تفوقهم وبراعتهم ومعرفتهم وأصالتهم، وهم أبداً يتذمرون. أصحاب النفوس الكبيرة لا يعرفون الحسد ولا الغرور، وهم يسعدون بكل ما هو حقيقي ومتين، أينما وجد. والجميل أنهم يجدونه في كل مكان.

فان ويك بروكس، كاتب امريكي

اعمل اليوم

■ أحاول أن أعتمد فلسفة تلك العجوز التي قالت إن أفضل ما في المستقبل أنه يأتيك يوماً بعد يوم.

دين اتشيسون، سياسي امريكي راحل



حشناوات البحار

حيوانات مجهرية أمّنت معلومات قيّمة عن التقلبات المناخية في تاريخ الارض

انسابت سفينة الابحاث "بانوليروس ٢" في المحيط الاطلسي قرب جزر برمودا. وغاص البروفسور كريستوف هملبن عالم الاحاثة المجهرية[1] الى عمق ١٠ أمتار في المياه الصافية حاملا جرّة. اقتربت منه كرة صغيرة تغطيها أشواك، ففتح غطاء الجرّة قليلا والتقط الكائن الصغير.

وهو أُخبر لاحقا في مختبر "محطة برمودا للابحاث البيولوجية" ان هذا الكائن هو مُنخْرَب[2] شوكي من فصيلة "أوربولينا أونيفرسا."[3]

---

(١) Micropaleontologist. وعلم الاحاثة يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المتحجرات او المستحاثات الحيوانية والنباتية.

(٢) Foraminifer. والمنخُربات حيوانات بحرية دنيا مثقّبة الاصداف.

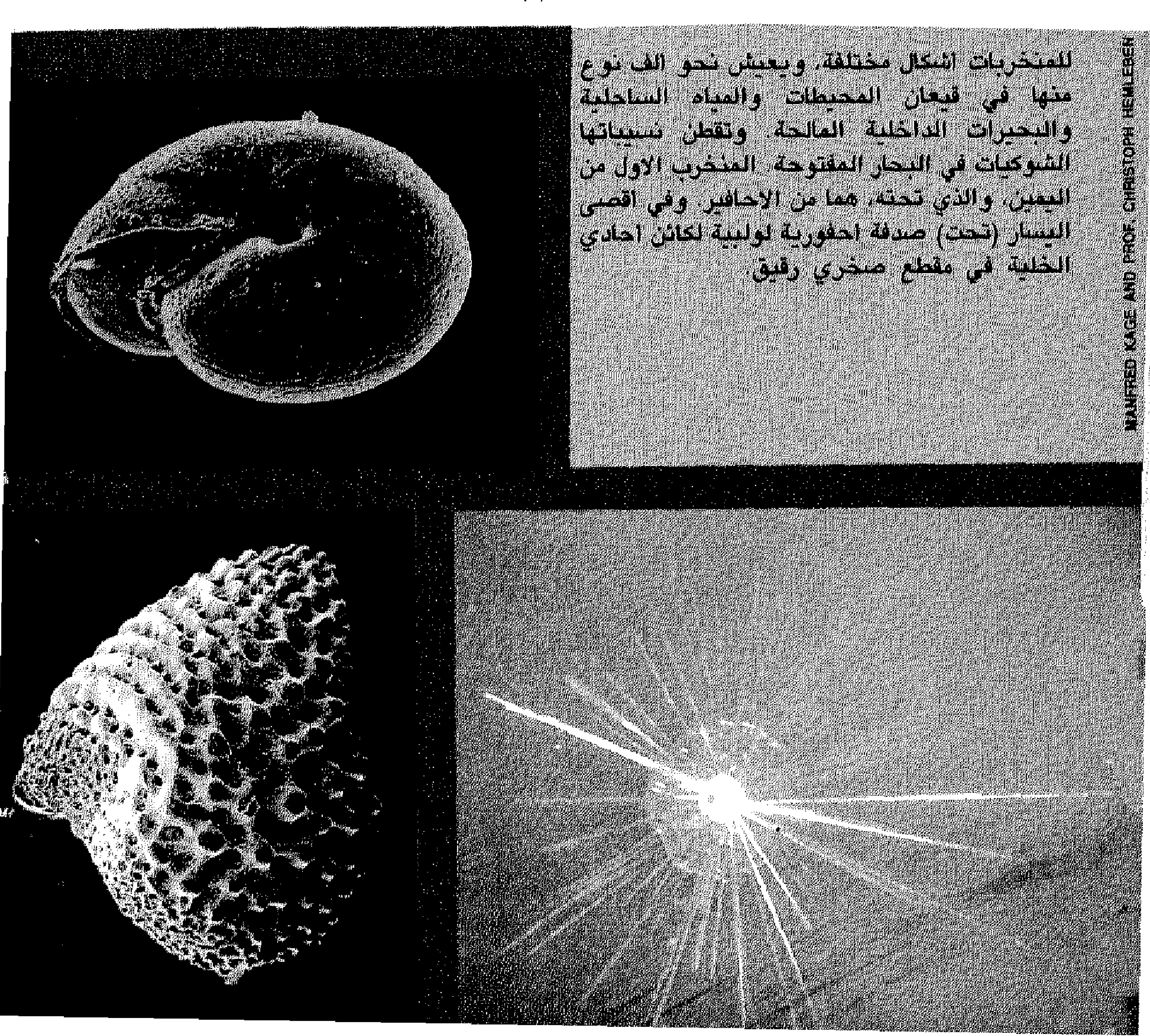
(٣) Orbulina universa.

يعيش أربعون نوعا من هذه الحيوانات البحرية الطافية ذوات الخلية الواحدة في محيطات العالم. ويراوح حجم الواحد منها، مع صدفته الكلسية، بين ٠،١ مليمتر ومليمتر واحد. وهي تدعى منخربات بسبب ثقوب التنفس الدقيقة التي لا تحصى في صدفتها.

تكون الاصناف المفترسة من المنخربات مسلحة بمئات الشعيرات، لا تتجاوز ثخانة الواحدة منها جزءين من ألف من المليمتر لكن طولها قد يصل الى سنتيمتر. وتلتقط المنخربات بواسطتها هدبيات وقشريات ويرق حلازين.[٤]

عندما يبلغ المنخرب يومه الثامن والعشرين يغوص الى عمق ١٠٠ متر في المحيط وينقسم الى نحو ٢٠٠ ألف خلية ابنة. وفي طريق العودة الى الضوء ينفق ٩٩ في المئة من هذه الصغار ضحايا الحيوانات الاخرى ونقص التغذية. والى أصداف المنخربات البالغة، تغرق مليارات من الاصداف الكلسية المتناهية

(٤) Ciliates, copepods and snail larvae



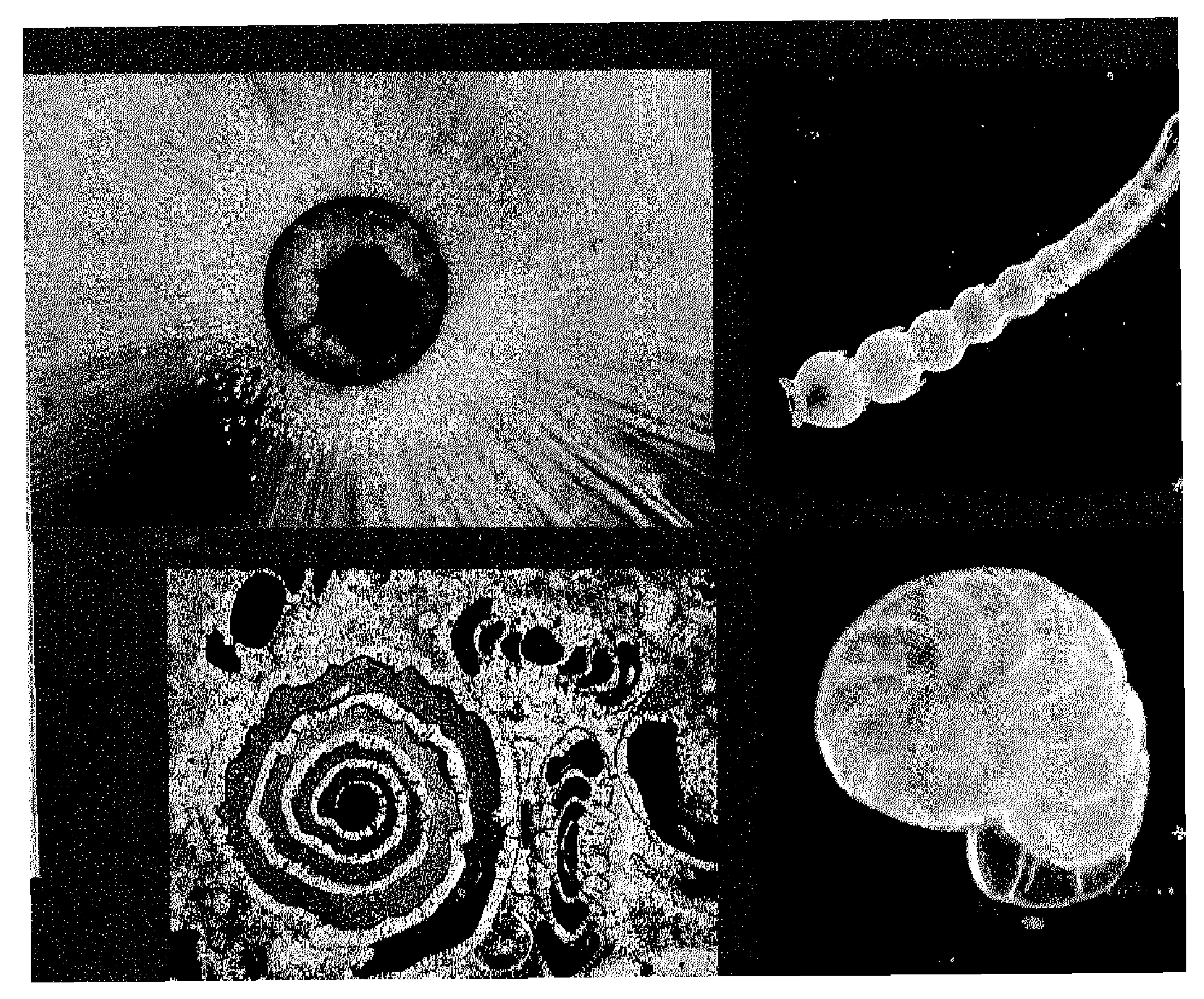
للمنخربات أشكال مختلفة. ويعيش نحو ألف نوع منها في قيعان المحيطات والمياه الساحلية والبحيرات الداخلية المالحة. وتقطن نسيباتها الشوكيات في البحار المفتوحة. المنخرب الاول من اليمين، والذي تحته، هما من الاحافير. وفي أقصى اليسار (تحت) صدفة احفورية لولبية لكائن أحادي الخلية في مقطع صخري رقيق.

MANFRED KAGE AND PROF. CHRISTOPH HEMLEBEN

في الصغر الى قاع البحر، كما دأبت طوال ١٢٠ مليون سنة ماضية: جيل كل شهر.

هناك تختلط بأصداف المنخربات التي تعيش على أرض المحيط. وتشتمل عائلة المنخربات على ألف نوع سكنت قيعان البحار منذ ٥٧٠ مليون سنة، لكنها تعيش أيضاً في المياه الساحلية الضحلة والبحيرات الداخلية المالحة. وعبر العصور، كوّنت بقايا المنخربات والكائنات الاخرى طبقة من الاصداف تبلغ سماكتها بضع مئات من الامتار وتغطي ثلث مساحة قيعان البحار.

ان الانتشار الواسع للمنخربات وقدرتها على التكيف والتغيّرات المناخية للمحيطات عبر ملايين السنين، جعلاها هدفاً للابحاث. وكانت شركات النفط العالمية هي الاولى في اعتماد نتائج أبحاث علماء الاحاثة المجهرية الذين حددوا أعمار الطبقات الرسوبية استناداً الى أنواع المنخربات المكتشفة فيها، واستطاعوا بذلك تقدير امكان وجود النفط

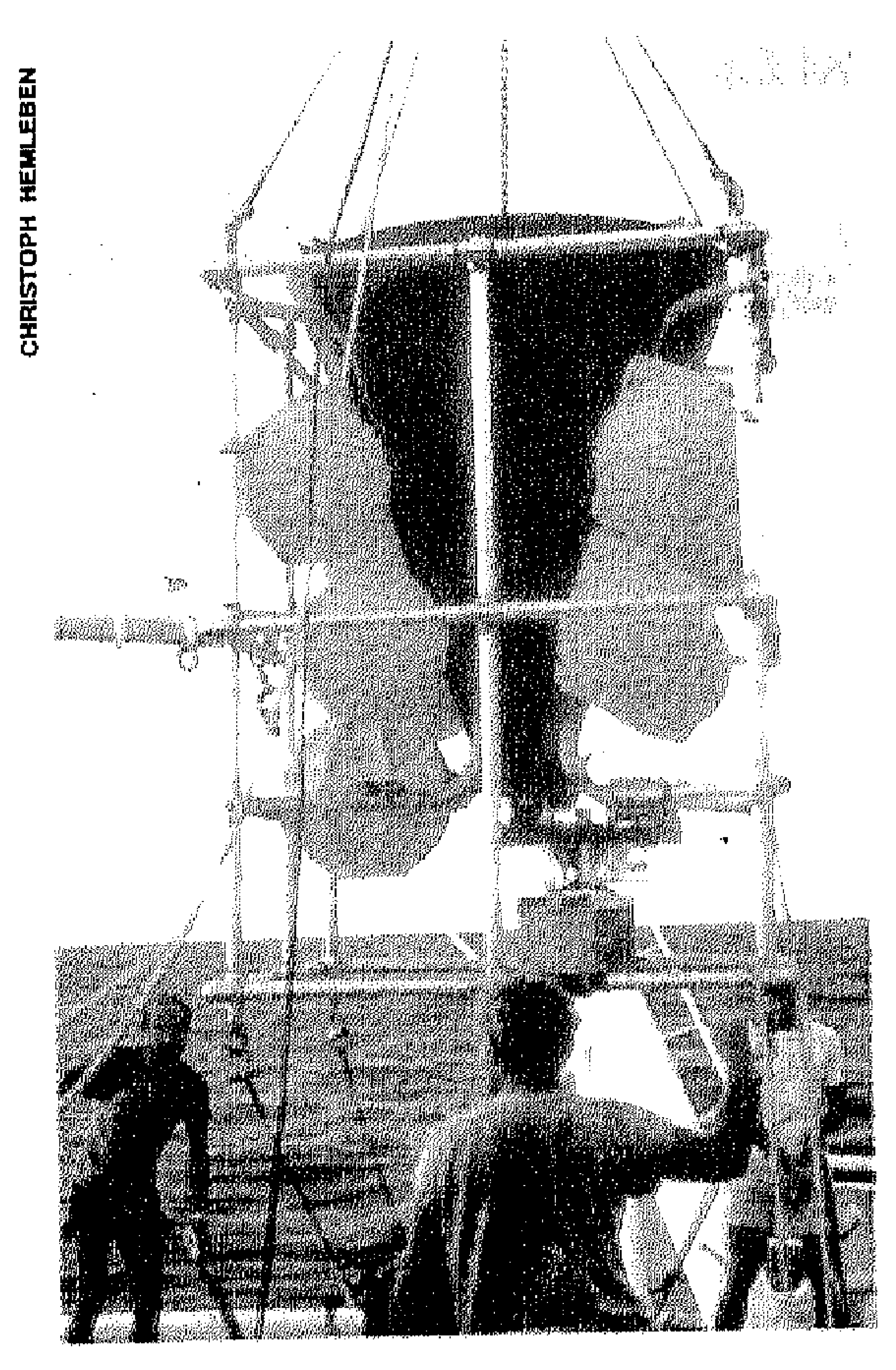


وعلى أي أعماق. وفيما يُستخدم علماء فيزياء الارض اليوم في مشاريع حفر خاصة مستعينين بأجهزة قياس حديثة، تبقى معلومات علماء الاحاثة ضرورية في البحث عن مخزونات نفط جديدة.

بالنسبة الى البروفسور هملبن، تشكل الاحافير مفتاح البحث في التغيّرات المناخية في المحيطات وعلى الارض. وهو ركّب، مع زملاء له، "أفخاخا" رسوبية على أعماق تصل الى ٤٠٠٠ متر تحت سطح البحر. وتتسرب الاصداف باستمرار الى الافخاخ الواسعة المفتوحة على شكل قمع. ويتولّى جهاز تحكّم بواسطة الكمبيوتر تحريك حاوية جديدة كل شهر تركّز عند قاعدة القمع. وعندما تنقضي السنة يسحب الفخ الى السطح وتحلل محتوياته. والى ذلك، تستخرج من قاع البحر عينات طبقية يصل طولها الى ٢٤ متراً وقد يبلغ عمر طبقاتها السفلى مليونين ونصف مليون سنة.

يستدل العلماء من تركيب الصدفة، كما من حجمها وكثافتها، الى الظروف البيئية التي صمدت المنخربات أمامها خلال حقبات مبكرة من تاريخ الارض. يقول هملبن: "اننا نعرف درجات الحرارة ومعدلات الملوحة حيث تتمكن بعض أنواع المنخربات من البقاء، كما نعرف كيف تؤثر الاحوال البيئية وموارد الغذاء في نموها، ومن ذلك نكوّن صورة دقيقة عما كانت أحوال المناخ في زمن حياة العينات المستخرجة."

أجرى هملبن أبحاثا في شمال



CHRISTOPH HEMLEBEN

علماء يجمعون اصداف منخربات في افخاخ رسوبية معلقة بعوامات.

الاطلسي وفي البحر الاحمر بالتعاون مع علماء احاثة وجيولوجيين. والبحر الاحمر حقل فريد لتحديد الاحوال المناخية، لان تأثير تبدل المناخ بين الحقبات الباردة والحارة واضح استثنائياً هنا. فالروافد الداخلية قليلة، وعندما تكون الارض على أبواب عصر جليدي جديد، تنحبس كميات من المياه أكثر من العادة في منطقة القطبين وفي الانهار الجليدية، فينخفض مستوى البحر الاحمر وتزداد ملوحته.

أثبتت تحاليل العينات المحفورة أن الارض خَبرت خلال المليوني سنة الاخيرة خَمس حقبات دافئة وأربعة

عصور جليدية كبرى على الاقل. ودام الانتقال من حقبة جليدية الى أخرى دافئة ما بين بضع مئة سنة وبضعة آلاف سنة. وهذا تبدل سريع جداً من وجهة نظر جيولوجية. وفي المقابل، استغرق تبريد الارض (الانتقال الى عصر جليدي) كل مرة ٧٠ ألف سنة أو أكثر، غالبا ما تخللتها فترات دافئة قصيرة.

ان تقويم الاحوال المناخية في العصور السالفة قد يحمل الاجابة عن سؤال طالما طرحه العلماء وعامة الناس: هل مناخ الارض في حال تحوّل؟

يقول هملبن: "يبدو كأننا وصلنا الى أوج حقبة دافئة. فنادراً ما كانت الارض خلال الـ٤٠٠ ألف سنة الماضية أدفأ منها الآن. ومتوقع أن تهبط حرارة الكرة الارضية تدريجا من الآن فصاعداً... اللهم الا اذا أفسد الانسان ايقاع الطبيعة."

يورغن ناكوت ■



عمى الألوان

ذهب زوجي المصاب بعمى الألوان الى متجر للادوات المنزلية، وطلب مصباحين: واحداً زهرياً وواحداً أصفر. فأحضر له الموظف مصباحين وسأله بارتياب: "أهذا طلبك؟" فتظاهر زوجي بانعام النظر فيهما ثم قال: "نعم."

واذ همَّ الموظف بوضع المصباحين في علبة صاح به صاحب المتجر الذي كان يراقب ما يجري: "ما هذا؟ لقد طلب منك الزبون مصباحاً زهرياً وآخر أصفر، فلماذا تعطيه واحداً أخضر وآخر أزرق."

فارتبك الموظف وقال معتذراً: "عفواً، فانا مصاب بعمى الالوان!"

ا.س.

جغرافيا رياضية

طلب منا أستاذ الجغرافيا أن نستعين بصور من الاقمار الاصطناعية وبابحاث سابقة لتوقع حال الطقس خلال الشتاء. ووعد بان يمنح علامات اضافية للطالب الذي تصدق توقعاته لعدد عطل نهاية الاسبوع الماطرة.

وبدا في نهاية الفصل أن توقعات واحد من الطلاب جاءت صحيحة تماماً. فسأله الاستاذ: "ماذا استخدمت؟ صور أقمار اصطناعية أم أبحاثا سابقة؟"

أجاب الجغرافي الشاب: "لا هذه ولا تلك. لقد أحصيت عدد مباريات كرة القدم المقرر اقامتها هذا الفصل."

ك.ب.

فاز جان - كلود كيلي بثلاث ميداليات ذهبية في دورة الالعاب الشتوية عام ١٩٦٨. وهو اليوم يحقق لأبناء بلده حلماً راودهم زمناً طويلاً



يتسمّر نحو ملياري مشاهد أمام شاشات التلفزة في أنحاء العالم ليشاهدوا افتتاح دورة الالعاب الاولمبية الشتوية صبيحة ٨ فبراير (شباط) ١٩٩٢، في حضور ٣٥ الف شخص يملاون مدرجات الملعب في بلدة البرفيل الصغيرة الواقعة في منطقة السافوا جنوب شرق فرنسا. ويقف على منصة الاستعراض رجل أنيق المظهر وسيم القسمات يراقب بفخر واعتزاز ثمرة جهد استغرق عشر سنين. فهذا الحدث هو بالنسبة الى جان - كلود كيلي وأبناء منطقته السافوا تحقيق لحلم قديم، وهو بالنسبة الى الفي رياضي مشارك بداية احدى أروع دورات الالعاب الشتوية.

لا يكثر كيلي من اطلاق الوعود، لكنه متى قطع وعداً وفى به. حين تقاعد من

"مهنته" الاولى في السن الرابعة والعشرين كان أبرز متزلج في تاريخ الرياضة. واليوم، وقد بلغ الثامنة والاربعين، يعتبر رجل أعمال ناجحا في ثلاث قارات. وهو يسترعي الانتباه على رغم ضآلة بنيته. وفي حين تراه بادي الاسترخاء، يطالعك بعينين زرقاوين تنمّان عن استعداد للوثوب.

عندما زرت مقر اللجنة المنظمة للألعاب الأولمبية الشتوية «COJO» في ألبرفيل قبل أشهر من موعد افتتاح الدورة، لاحظت خلو الجدران من الساعات. ولكن إن أدرت أيا من أجهزة الكمبيوتر المنتشرة في المكان، ظهر على الشاشة أولاً عدد الايام الفاصلة عن بدء المباريات في ٨ فبراير (شباط).

يقول كيلي: "العدّ العكسي اليومي حافز أكثر اثارة."

لاشك في أن الحظ ابتسم لجان – كلود كيلي، وإنْ يكن هو نفسه لا يؤمن بالحظ كثيراً. يقول: "يحالفني الحظ بمقدار ما أعمل." وعلى رغم أن أصدقاءه يتحدثون عن خصاله الفطرية التي جعلت منه بطلاً، كتصميمه وانضباطه، فان قدرته على العمل وتخطي العقبات هي من أبرز مزاياه.

ويقول صديق طفولته جان – بيار غيرال: "مر كيلي في حياته بتجارب قاسية حفرت في نفسه عبراً ودروساً".

ثلوج سرمدية. تعتبر ألبرفيل البوابة الغربية لوادي تارنتيز في منطقة السافوا. أما بلدة فالديزير الصغيرة حيث ترعرع جان – كلود فهي ثانية أعلى معالم الوادي وأقصاها شرقا حيث يرتفع جدار مثلَّم من القمم الجبلية المغطاة بثلوج سرمدية. ولطالما جال في فكر جان – كلود، الذي كان يذهب الى مدرسته تزلجاً، أن الخروج من المدرسة أكثر افادة من دخولها. وكان والده روبرت يناشد القيمين على مصاعد التزلج في المنطقة نُصح ابنه بضرورة المثابرة على دروسه. لكنه أدرك بمرور السنين أنه يجبه ارادة صلبة.

يقول بوب بيتي الذي تولى تدريب فريق التزلج الاميركي فترة طويلة: "اذا أردتم أن تعرفوا كيف غدا جان – كلود بطلاً، فعليكم أن تسألوا روبرت كيلي. انه مكافح."

كان روبرت كيلي قائد طائرة مقاتلة في الحرب العالمية الثانية، وشارك في "غزو" الحلفاء فرنسا. وفي العام ١٩٤٦ انتقل وزوجته مادلين وولديه من الالزاس، مسقط رأسه، الى فالديزير حيث فتح متجراً للوازم الرياضية. وُلد ابنه الثالث ميك عام ١٩٥٠، لكن مأساة حلت بالعائلة بعد سنتين اذ هجرت مادلين زوجها وأولادها ورحلت. فأصاب هذا الحدث جان – كلود بجرح عميق لم يجد له متنفساً إلا في الخروج مع صديقه جان – بيار غيرال لصيد السمك وتسلق الجبال.

وفيما دانى الصديقان سن المراهقة لاحظ غيرال في كيلي اصراراً عنيفاً على

الفوز في كل ما كانا يفعلانه. وهو يذكر: "كان كيلي سقيما يشكو من علّة رئوية استدعت بقاءه فترة في مصح. لكنه كان يتمتع بميزة خاصة، برغبة جامحة في أن يكون الافضل على الدراجات الهوائية وفي السيارات وعلى المزالج." وتلك كانت الميزة التي ما انفك أونوريه بونيه مدرب منتخب التزلج الفرنسي يبحث عنها في سعيه الدائم الى اكتشاف رياضيين واعدين، فلم يتردد في ضم جان - كلود الى فريقه عام ١٩٦٠.

بعد مدة قصيرة فقد جان - كلود السيطرة على سيارته فيما كان يقودها على طريق جبلية. وخرج سالماً، لكن الراكب الى جانبه قتل، وكان صديقاً وزميلاً في الفريق. فترك الحادث ندباً عاطفياً في نفس جان - كلود، لكنه مضى يبذل ذاته للفريق. وكان المدرب يشجعه قائلاً: "زد سرعتك دائماً، وكن كلّي التركيز." وهذا ما فعله تماماً، ومع أنه كان يتعثر باستمرار، فلم يدعه بونيه ينسحب من أي سباق أو يتخلف عن أي تمرين. وكان يقول له: "أكمل السباق، ولا يهمني كم يستغرق ذلك من وقت."

وفي وقت لاحق من تلك السنة التقى كيلي متزلجاً من كاليفورنيا يدعى جيمي هوغا جاء يشارك في مباراة في فالديزير تدخل في اطار بطولة العالم. وسرعان ما غدا الشابان صديقين حميمين. كان جيمي مرحاً وغير رسمي على نحو استهوى زميله الفرنسي الاكثر جدية، فأدى ترحالهما معاً الى جعل كيلي أقل تزمتاً. لكن تحوُّل كيلي عن الجدِّية وقف عند حدّ معيَّن. ففي أحد السباقات التي أقيمت في يوغوسلافيا عام ١٩٦٢ وصل الشابان متأخرين، فقفزا من كرسي مصعد التزلج ليختصرا المسافة الى خط الانطلاق. لكن جان - كلود أخفق في تفادي أحد أعمدة الاسلاك، فسقط متأوهاً.

فسأله هوغا: "ما بك؟"

أجاب كيلي: "لقد أصيبت ساقي."

وكان مسمار لولبي ناتىء من العمود غار فيها الى عمق ثمانية سنتيمترات.

لم يدرك هوغا مبلغ اصابة كيلي، فاستنهضه صائحاً: "هيا، قم بسرعة والا خسرنا دورنا."

لم يخسر الاثنان دورهما، وفاز كيلي في السباق. وفيما كان هوغا يهنىء صديقه لاحظ فجأة ما حدث له. ويذكر: "أذهلتني قدرة كيلي على كتم الالم والتركيز على الفوز فحسب."

الفوز بالذهب. حين رأى المدرب دلفين بلاك المتزلج الشاب "طائراً" فوق أحد الممرات المائية المتجمدة، قال له: "ستكون البطل يوما ما."

وبعد سنوات أقرَّ كيلي: "صدَّقت ما قاله لي بلاك. فعلى المرء أن يصدق مَنْ يثق بقدراته."

بيد أن ثقة كيلي بذاته اهتزت في السنوات التي تلت فوزه الكبير في فالديزير في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦١. فلقد أقعده كسر في رجله عن

مشاركة المنتخب الفرنسي في مباريات كأس العالم عام ١٩٦٢ في شاموني جنوب شرق فرنسا. وبعد سنتين خسر السباقات الثلاثة التي شارك فيها في دورة الالعاب الاولمبية في انسبروك بالنمسا من جراء اعتلالات في معدته. يذكر هوغا: "قال جان-كلود انه يريد التخلي عن رياضة التزلج، لكني كنت أعلم أنه لن يفعل. لقد جعلته الخسارة أكثر تصميما على الفوز."

وجاءت المكافأة أخيراً عام ١٩٦٧ عندما حلّ كيلي أول في سباقات بطولة كأس العالم محققا ٢٣ انتصاراً في ٣٠ سباقا. وهو وعد صديقه جان-بيار غيرال باحراز ثلاث ميداليات ذهبية في دورة الالعاب الاولمبية الشتوية في غرونوبل بفرنسا، وهذا نصر لم يحققه سوى المتزلج النمسوي طوني سايلر عام ١٩٥٦.

وفي اليوم المقرر لسباق الانحدار كشط كيلي معظم الشمع عن مزلاجيه وهو يتمرن استعداداً على رقعة جليد. واذ لم يتسنَّ له وقت لابدال مزلاجيه غار قلبه في صدره هلعاً، فصاح به مدربه بونيه: "لا تستسلم، أبذل وسعك!"

انطلق كيلي باندفاعة هائلة وبسرعة بلغت، لدى اجتيازه علامة منتصف المسافة، ١٥٠ كيلومتراً في الساعة. وكان حفظ كل منعطف عن ظهر قلب. وبلغ خط النهاية متقدما طليعة المتسابقين الآخرين بـ ٠٫٠٨ ثانية. فحصل على الميدالية الذهبية. كما فاز ببطولة سباق التعرج الطويل وسباقات التعرُّج العادي في الايام التالية ليصبح بطلاً ثلاثيا للالعاب الاولمبية!

قبل أشهر من أولمبياد ١٩٦٨ عرض متعهد نجوم الرياضة مارك ماكورماك على كيلي أن يصبح مدير أعماله في الولايات المتحدة. وفي السنين العشر التالية تجاوزت شهرة كيلي الاوساط الرياضية اذ ظهر اسمه على سيارات ونظارات شمسية ومزالج وساعات. كما أنه جرب التمثيل السينمائي حيث التقى الممثلة الفرنسية الجميلة دانيال غوبير، فتزوجا عام ١٩٧٣، وتبنى كيلي ولدين لها من زواجها الاول ورزقا بنتاً. وبنيا منزلاً في جنيف استقروا فيه وعاشا بسعادة.

وفي العام ١٩٧٧ اشترى كيلي نصف ملكية مؤسسة فرنسية صغيرة تصنع ألبسة تزلج. وبحلول العام ١٩٨٠ بات رجلاً غنياً. لكنه لم ينسَ واجباً قديماً، أن يردّ بعض الجميل الى المكان الذي أطلقه. وكان أبناء السافوا يحلمون منذ سنين باضافة الالعاب الاولمبية في جبالهم، لكنهم كانوا يفتقرون الى ما يلزم من بنية تحتية وفنادق تتيح لهم تقديم عرض يغري القيمين على هذه الالعاب. فوجد كيلي في ميشال بارنييه، وهو سياسي شاب طموح من المنطقة، شريكا مناسباً لمساعدة أبناء السافوا في تحقيق حلمهم.

الكرامة الوطنية. بحلول العام ١٩٨٣ تمكن كيلي وبارنييه من جمع ١٥ مليون

فرنك[1] من منتجي المزالج الفرنسيين وسواهم من رجال الاعمال. فسطّرا عرضا الى اللجنة الاولمبية الدولية اقترحا فيه بلدة ألبرفيل موقعا مضيفا.

وفي العام ١٩٨٥ بدأت قرى السافوا تجمع الاموال وتشارك في الحملة. فكتب تلاميذ المدارس رسائل الى أعضاء اللجنة الاولمبية وأرسلوا اليهم رسوما. وزار كيلي أكثر من نصف أعضاء اللجنة المؤلفة من ٩١ عضوا لاقناعهم باعتماد ألبرفيل موقعا للمباريات. يقول ليو لاكروا وهو عضو سابق في منتخب التزلج الفرنسي: "لاشك في أن جان – كلود ألهم المنطقة برمتها وضع ثقلها في المجهود."

اجتمع أعضاء اللجنة الاولمبية في لوزان بسويسرا في ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ لاختيار الموقع المضيف لدورة الألعاب الاولمبية الشتوية السادسة عشرة. لكن باريس كانت تقدمت بعرض لاضافة الالعاب الصيفية، ووفق التقليد المتبع لا يمكن بلدا واحدا اضافة الالعاب الصيفية والشتوية. ولما كان معروفا أن خوان انطونيو سامارانش، وهو اسباني كان يرئس اللجنة، آثر اقامة الالعاب في مسقط رأسه برشلونة، طلب كيلي وبارنييه من رئيس بلدية باريس ورئيس الوزراء الفرنسي آنذاك جاك شيراك، أن يقدّم الكرامة الوطنية على المصالح البلدية ويلقي خطابا مؤثرا لمصلحة ألبرفيل. فلبى شيراك النداء، وربح أبناء السافوا رهانهم في جولة الاقتراع الخامسة التي أجرتها اللجنة الدولية لاختيار المكان المضيف. وصرَّح كيلي لوسائل الاعلام: "هذا الفوز هو ميداليتي الذهبية الرابعة، وفرنسا هي الرابحة الكبرى."

حب ضائع. كانت دانيال أصيبت قبل سنة ونصف سنة بداء السرطان، فعضّ كيلي على جرحه وواصل قيادة حملة ألبرفيل. ولكن عندما أعلن هو وبارنييه أوائل ١٩٨٧ ضرورة استثناء احدى قرى وادي تارنتيز من المشاركة في استقبال المباريات لاسباب تتعلق بالموازنة، هبت عاصفة احتجاج واتهم كيلي بتفضيل بلدته فالديزير. واذ وجد نفسه عاجزا عن جبه أصدقائه وجيرانه ومرض زوجته، لم يجد بدا من الانسحاب من الحملة الأولمبية.

وبعد جراحة فاشلة لاستئصال سرطان دانيال لم يترك كيلي اختصاصيا إلا استشاره ولا بحثا أو اكتشافا طبيا إلا تابعه. وفيما مضى سرطان زوجته يستشري بلا هوادة، واصل كفاحه من دون أن يفضي بدخيلته الى أحد. ويقول أبوه متنهدا: "حتى أنا لم أعلم بخطورة مرض دانيال إلا قبل وفاتها بخمسة أشهر."

وقبيل وفاتها في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧، طلبت دانيال من كيلي العودة الى نشاطاته الاولمبية. فحوَّل عاطفته الجارفة من حبه الضائع الى

(١) الدولار الامريكي يعادل حاليا نحو ٥،٢ فرنكات فرنسية.

قيادة الدورة الاولمبية. قال بصوت رقيق: "لقد غادرتني دانيال باكراً. وكان عليّ القبول بأن حياتي معها انتهت بعد ٢٠ سنة."

منحدر "ذكي." عمد كيلي وبارنييه، بصفتهما الرئيسين المشاركين للجنة الألعاب الاولمبية الشتوية، الى معالجة مشاكل النقل، يساعدهما فريق محلي قوي وتعضدهما السلطات المحلية والمركزية. وكان ازدحام السير في السافوا عائقاً قديم العهد. أما اليوم فقد سَهُل الوصول الى ألبرفيل بعد شق طريق جديدة طولها ٦٠ كيلومتراً. وبما أن المشاهدين يحتاجون الى مكان للاقامة والمنامة، جاب كيلي وادي تارنتيز مناشداً الناس تحسين بيوتهم "لتبدو جميلة كثلوجهم." ولم تكن حملته مجرد محاولة لتجميل المحيط، بل هي أتاحت للمتعهدين استثمار أموالهم على أفضل وجه.

لكن مشكلات الموازنة التي كانت تبرز بين حين وآخر أيقظت في كيلي حرصاً فُطر عليه رجال أعمال السافوا. من هذه المشكلات الكلفة المقدرة لإنشاء مسلك للمزالج المزدوجة[٢] في لابلان وما يقتضيه من اجراءات سلامة باهظة الكلفة. لذلك لجأ كيلي الى خفض المصاريف الاجمالية باقتطاعه نصف الموازنة المخصصة لاحتفالات الافتتاح، مصرّاً على أن "الالعاب الاولمبية شأن رياضي لا يستدعي اقامة احتفالات مكلفة تتخطى امكاناتنا."

استخدمت أجهزة الكمبيوتر في مقر اللجنة المنظمة للالعاب الاولمبية لادارة كل الشؤون، بدءاً ببطاقات الدخول وانتهاء بتصميم منحدرات التزلج. ولكن، بالنسبة الى كيلي، لا شيء يعادل اللمسة البشرية. فحين بدأ برنار روسي اعادة تشكيل منحدر التزلج في جبل بلفارد، قال له كيلي: "أريد منحدراً ذكياً يختبر المهارة أكثر مما يختبر السرعة المحض." وكان بلفارد أحد الجبال التي تدرب عليها كيلي، فقال لروسي: "لا تبخل بشيء، فهذا منحدرنا، هنا سباق السباقات."

وأدرك روسي مراد صديقه.

قال لي كيلي في ختام زيارتي لبلدة ألبرفيل: "عندما تبدأ الألعاب ننكفىء نحن ليحتلّ اللاعبون المسرح. ومتى انتهت الالعاب سأعود الى داري لوصل ما انقطع من حياتي."

أخبرتُ كيلي أنه يذكرني بالممثل السينمائي ألن لاد في فيلم "شين."[٣]

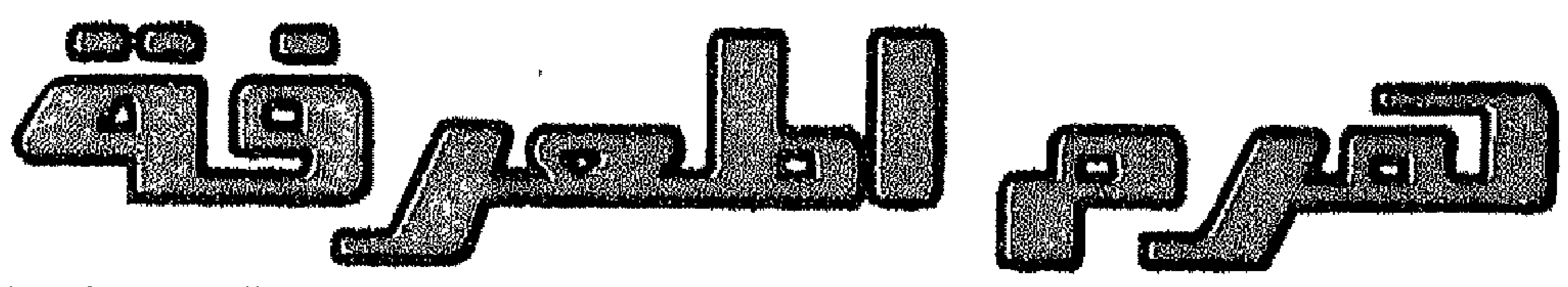
فقال: "تماماً." ثم التفت الى رياضي شاب لم يكن ولد عندما أُنتج الفيلم، وقال له: "يروي هذا الفيلم قصة رجل يضع الامور في نصابها، رجل كان أسرع من شهر مسدساً. لقد شاهدت هذا الفيلم عشر مرات."

تأملت كيلي فلم يساورني شك في صدق كلامه.

روجر كابلان ■

(٢) Bobsled
(٣) Shane

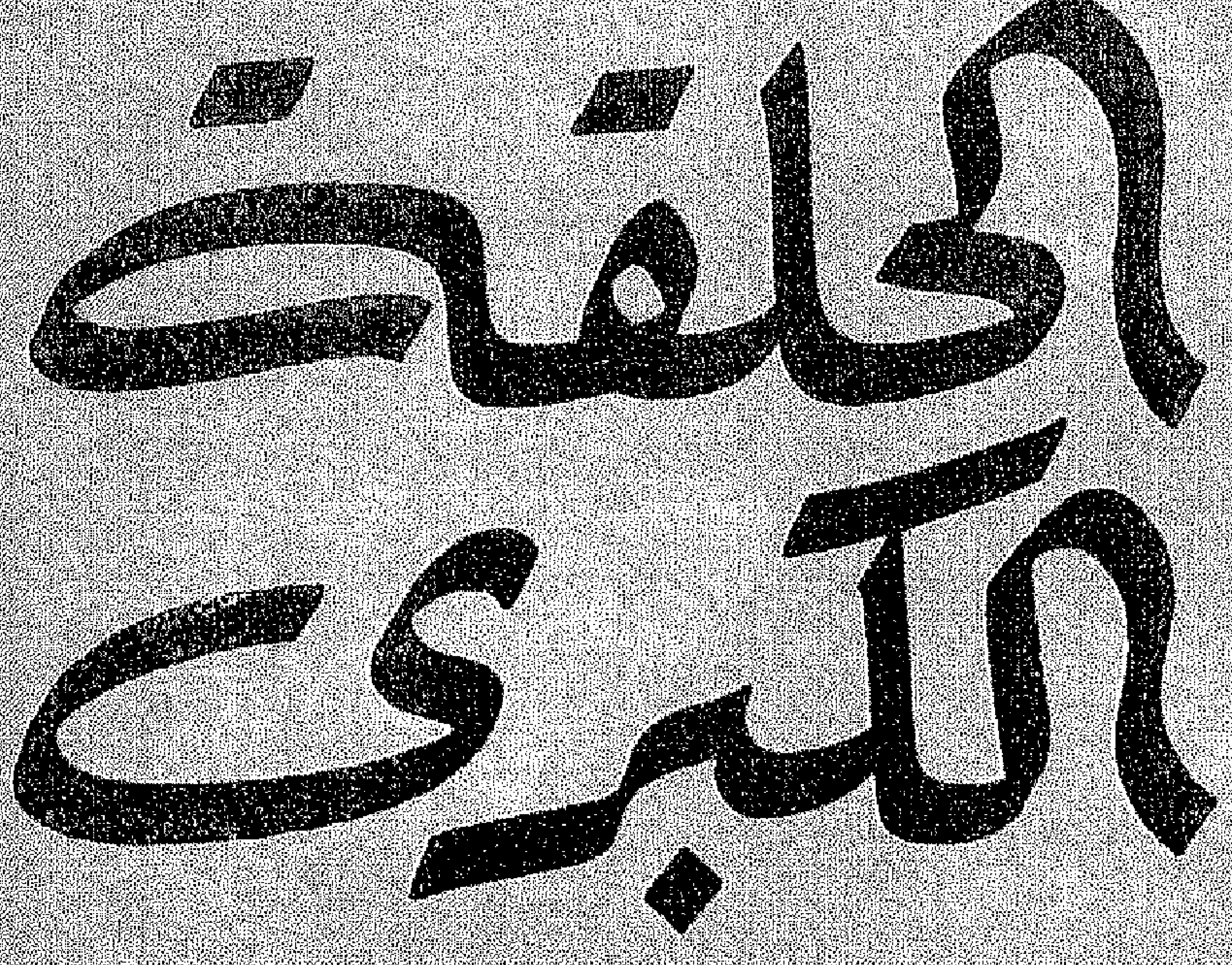
لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

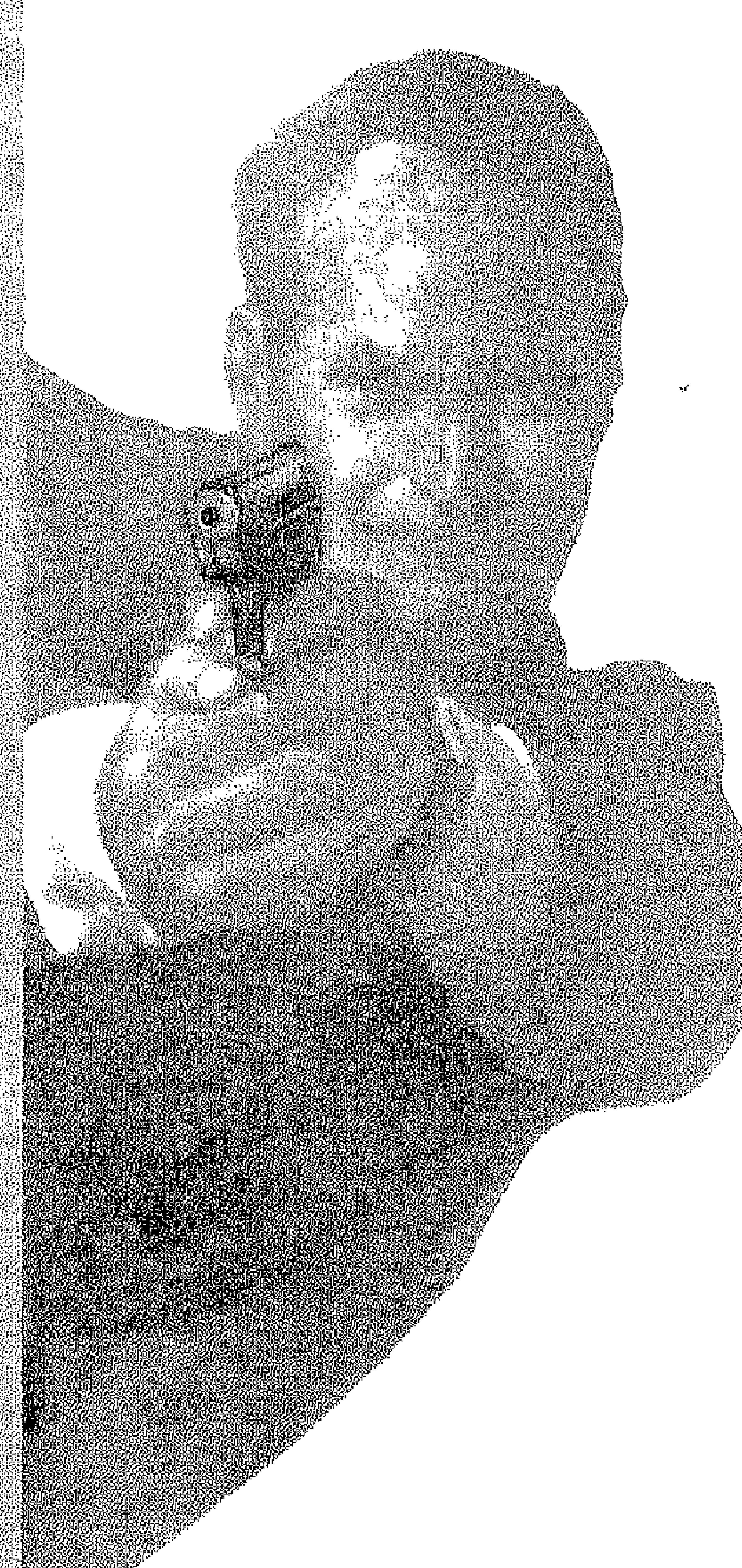


لعبة عربية تثقيفية مشو

- ▲ هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- ▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- ▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- ▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- ▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- ▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- ▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- ▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- ▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

كتاب الشهر





بقلم ناثان أدامس

لم يتوقع إدوارد مادونا أن يتحول التحقيق الروتيني الذي بدأه في قضية ضبط كمية صغيرة من الهيروييين عملية مطاردة اعتبرت من الاوسع في تاريخ مكافحة تجارة المخدرات، تصدى فيها فريق شباب من عملاء مكافحة المخدرات لمنظمة تهريب قاسية لا ترحم تدعى "عصابة الحلقة الكبرى."

واجه مادونا في بادىء الامر صعوبة في اقناع مديرية مكافحة المخدرات في الولايات المتحدة بالبعد الخطير لهذه القضية. وهو لم يكن في أي حال سوى محقق عادي في مدينة سياتل بولاية واشنطن، بينما كان زملاؤه في الساحل الشرقي للولايات المتحدة زمرة بائسة قليلة العدد تفتقر الى الخبرة وتُعرف بـ"المجموعة ٤١."

وكان لا بد لهم للنجاح في مهمتهم من الاقدام على ما لم يجرؤ أحد عليه في مكافحة المخدرات، ألا وهو اختراق العالم الخفي لـ"الكارتل" الصيني للمخدرات وكشف رئيسه الداهية جوني كون واقتياده الى المحاكمة. وتعمل لدى كون المحنك في إدارة امبراطوريته عصابة من أشد المجرمين بطشاً ووحشية. فهل يتمكن أولئك المحققون الأغرار من تحقيق هدفهم؟




VISA CLASS

كان ادوارد مادونا (٣٣ عاما) العميل الخاص في مكتب مديرية مكافحة المخدرات في مدينة سياتل، يتطلع الى قضاء يوم أحد هادىء ينصرف فيه الى العناية بحديقته. كان ذلك في ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٨٥. لكن جهاز الاتصال المثبت الى وسطه بدأ يرسل ذبذبة بعد دقائق من انتصاف النهار، فدخل مادونا منزله واتصل بمكتبه ثم أقفل الخط حانقا.

وقال لزوجته: "قبض رجال الجمارك على اثنين من مهربي المخدرات كانا في طائرة آتية من طوكيو. يبدو أن الامر لا يتعدى كمية صغيرة، ربما ٥٠ غراما."

بعد ساعة وقف مادونا يراقب مفتشي الجمارك في مطار سياتل وهم يثقبون ١٣٨ مستوعباً معدنيا عازلا لحفظ مكعبات الثلج كان الراكبان صرحا بها في وثيقة الشحن على أنها عينات انتاجية. وأفرغ المفتشون ٩٦ كيلوغراماً من الهيروبين النقي، وهي أضخم شحنة من نوعها آتية من شرق آسيا تصادر في الولايات المتحدة.

ولكن رافق هذا الانجاز نبأ سيىء، فقبل وصول مادونا سمح لاحد المهربين، وهو صيني من هونغ كونغ ناحل ذو شاربين يدعى فانغ هان - شنغ، بدخول غرفة الحمام بمفرده لقضاء حاجته. وبعد دقائق تبعه مفتشون للتحقق من وجوده هناك فرأوا على



الارض شاربين مستعارين وشاهدوا نافذة الحمام الصغيرة مفتوحة. لقد توارى المهرب.

وكان المهرب الآخر محتجزاً في غرفة تحت مراقبة شديدة. وهو ادعى أنه مهندس كهرباء جاء في رحلة عمل. وقال بانكليزية متعثرة: "أنا لا أعرف شيئاً عن الهيروويين. أنا مكلف تسليم صديق مكعبات الثلج، ومن المفترض أن أنقلها الى شيكاغو حيث طلب مني أن أنتظر اتصالاً هاتفيا."

طلب العميل الخاص مادونا من مفتشي الجمارك السماح له بالاختلاء بالمتهم. كان الرجل صغير القامة ناحلها، وهو أطلع مادونا على جواز سفره، فسأله هذا: "هل أنت تشن تسونغ – منغ؟"

أجاب الصيني وقد بدأ جبينه يندى: "نعم أنا طومي تشن."

كان مادونا رقيباً سابقاً في الشرطة التحق بمديرية مكافحة المخدرات قبل ثمانية أشهر فقط، آملاً أن يعوض في حرب المخدرات ما فاته في وظيفته الروتينية السابقة. لكن القضايا التي أسندت اليه اقتصرت على تحقيقات في عمليات اتجار محلية بمادتي الكوكايين والماريوانا تُعتبر ثانوية في الأهمية.

ألقى مادونا نظرة فاحصة على المهرب، فبدا له جليا أن الرجل مرتعب، ولكن ممن؟

قال له: استرخِ يا طومي. لا أحد يريد ايذاءك. ولكن لدينا مشكلة كبيرة تتمثل في مستوعبات مكعبات الثلج، ولا أرى الا مخرجا واحداً."

ثم عرض مادونا على تشن صفقة اشترط فيها عليه، إن هو أراد فرصة لينجو من عقوبة بالسجن مدتها عشرون سنة، أن يتابع سفره الى شيكاغو ويسلم البضاعة ويكشف للمحققين هوية أصحابها ويشهد ضدهم.

قال تشن هازاً رأسه برفض قاطع: "لا، لا، لا يمكنني أن أفعل ذلك."

حدق مادونا مشدوهاً الى الرجل موضحاً له تكراراً أن لا خيار أمامه. وتساءل: "كيف يعقل ألا يدرك هذا الرجل أن اللعبة انتهت؟"

رضخ تشن أخيراً للواقع مبدياً استعداده للذهاب الى شيكاغو وانتظار الاتصال الموعود. لكنه رفض الادلاء بشهادة، "والا قضوا علي وعلى جميع أفراد عائلتي."

سأله مادونا: "ومن سيقضي عليك؟"

لكنه لم يحظ بجواب.

بعد ساعتين اصطحب مادونا تشن في طائرة الى شيكاغو، ونزلا في فندق هيلتون قرب المطار وفقاً لتعليمات قال تشن انها أعطيت له. وتولى أحد عملاء مديرية مكافحة المخدرات حراسة تشن في غرفته، وتوزع ثلاثة عملاء في الممشى، وأقام مادونا في غرفة مجاورة. رن الهاتف في غرفة مادونا قبيل الحادية عشرة ليلاً. وطلب المتكلم

التحدث مع حارس تشن. طرق مادونا جدار الغرفة، فانسلّ الحارس الى الداخل للرد على المكالمة.

وما هي الا ثوان حتى سمع مادونا ضجة عالية في غرفة تشن، فهتف بالذين يتولون المراقبة وهو يخفّ الى الغرفة المجاورة: "أسرعوا الى هناك!"

لكن تشن كان قد توارى.

لقد تمكن المهرب من خلع النافذة المقفلة وخرج منها، فسقط من ارتفاع ست طبقات على مظلة صلبة، ثم تمكن من القفز طبقتين أخريين الى الشارع تحته. وما لا يسهل تصديقه أن تشن لم ينجُ من الهلاك فحسب، بل توارى تحت جنح الظلام.

اتصل مادونا لاسلكيا بالشرطة والمستشفيات ومحطات وسائل النقل وزودهم أوصاف الهارب. وتساءل وقد عرته قشعريرة: "ما هذا الرعب القاتل الذي يدفع بأحدهم الى القفز من نافذة في الطبقة الثامنة؟"

بعد نصف ساعة لمح شرطي في محطة للركاب رجلاً آسيويا أشعث الشعر نازفا كان على وشك ركوب حافلة متوجهة الى نيويورك.

كان الرجل مصابا بكسر في كاحله وبجروح داخلية حادة، ومع ذلك تمكن من ايقاف سيارة أجرة قرب الفندق وكاد ينجح في الفرار.

صوت من الداخل

صباح اليوم التالي عاد مادونا المهربَ تشن في المستشفى حيث نقل للمعالجة، وجلس على جانب سريره وذكره بالعقوبة التي تنتظره: "عشرون سنة سجنا، هذه فترة طويلة يا طومي!"

لكن تشن الذي أدار وجهه الى الحائط محدقا الى الفراغ كان قد أخذ قراره. فهو يفضل دخول السجن على البوح بما يعرف. وبدا واضحا أنه كان يعيش رعبا قاتلاً لم يفقهه مادونا.

عاد مادونا الى مكتبه في سياتل ووضع تقريره مضمّناً اياه فرار تشن المذهل ورفضه التعاون. كانت الادلة المتوافرة ١٣٨ وعاء لمكعّبات الثلج و٩٦ كيلوغراما من الهيروين ومهربا كسيحا، وهي لم تقد الى أي نتيجة مفيدة. ولم تكن لدى مادونا فكرة عما اذا كانت الشحنة يتيمة أم هي واحدة من شحنات عدة. وزاد في احباطه عدم تمكنه من معرفة مرسلها.

شارف صيف ١٩٨٥ الانتهاء وظل طومي تشن صامتا لا يستجيب لالحاح مادونا المتكرر. وبحث هذا في أوراق تشن الشخصية وبطاقات سفره وأرسل نسخا عن

مفكرته المتضمنة أسماء وأرقام هواتف مبهمة الى مكاتب مديرية مكافحة المخدرات في أنحاء العالم.

لكن أحداً لم يتعرف الى صورة المهرب أو يسمع باسم طومي تشن أو فانغ هان – شنغ المهرب الآخر الذي نجح في الفرار.

لم يسعْ مادونا التخلي عن متابعة التحقيق. فعمد الى وثائق السفر المصادرة في المطار، وبعد التدقيق فيها رسم "مشهداً" للحادث: رجلان صينيان يسافران معا من بانكوك أو طوكيو ومعهما مصنوعات معدنية وينزلان في فنادق هيلتون. ثم اتصل مادونا بـ"بنك المعلومات" لدى مصلحة الجمارك.

يُطلب من كل زائر للولايات المتحدة ملء قسيمتين لدائرتي الجمارك والهجرة يمكن ادخالهما كمبيوتر "الجهاز الوطني لمنع ادخال المخدرات عبر الحدود" (NNBIS) [١]. فهل يتمكن هذا الجهاز من تحديد الاشخاص الذين تطابق أوصافهم "الرسم" الذي ابتدعه؟

كان مادونا مدركاً أن ذلك عمل ضخم يتطلب التدقيق في مئات الالوف من البيانات العائدة الى دائرتي الجمارك والهجرة. لكن منسِّق المعلومات وعد بأن يجعل الجهاز يقوم بالعمل المطلوب.

بحلول آخر شهر أغسطس (آب) أُعلم مادونا بأن ثمة ١٩ زائراً تطابق أوصافهم رسمه. ونُبِّه الى أن هؤلاء هم من المشتبه فيهم "المحتملين" ويمكن أن يكونوا أبرياء.

أكبَّ مادونا في سياتل على جهاز الكمبيوتر لديه وأخذ يعرض على الشاشة المعلومات التي اختزنها من جهاز «NNBIS.» وكانت سجلات السفر كثيفة بحيث صرف زهاء ساعة لمراجعة تواريخ الوصول والاقلاع وأرقام الرحلات وبلدان المنشأ وعناوين الاقامة في الولايات المتحدة.

ولم يكد ينتهي من العرض حتى استوى في جلسته: لقد أصاب الهدف بحدسه.

اكتشف مادونا أوجه شبه عدة في كل من المشتبه فيهم. فكثيرون منهم قاموا بما لا يقل عن اثنتي عشرة رحلة منذ العام ١٩٨٣، وغالبا ما وصلوا مصحوبين بأوعية معدنية لمكعبات ثلج أو بزهريات معدنية يُصرح أنها "نماذج مبيعات." ونادراً ما تغيرت وجهتهم النهائية: أحد فنادق هيلتون، في مدينة نيويورك عادة.

كان فانغ هان – شنغ قام بأربع رحلات سابقة مماثلة. بينما أحضر طومي تشن ٩٨ مستوعبا لمكعبات الثلج قبل توقيفه بشهر واحد. وكان كلا المهربين مسافراً مع آخرين ظهرت أسماؤهم على شاشة الكمبيوتر. وبدا أنهم كانوا يحضرون من كل ناحية في الشرق الأقصى.

(١) National Narcotics Border Interdiction System

اعتدل مادونا في جلسته وقد أخذه الذهول. فالمعلومات المتوافرة من جهاز «NNBIS» تشير الى أنه رفع الغطاء عن شبكة مخدرات هائلة. وبات في امكانه أخيراً، بعد أشهر من المحاولات غير المجدية، التحرك واقتفاء "العقول المدبرة" المتوارية في خفايا عالم المخدرات.

طلب مادونا من دوائر الامن افادته عن دخول أي من المشتبه فيهم البلاد ثانية. وطلب أيضا تسجيلا لجميع المكالمات الخارجية التي تجرى من غرف المشتبه فيهم في الفنادق التي ينزلون فيها أثناء زياراتهم الولايات المتحدة. فسجلت مئات المكالمات التي شملت بلدانا بعيدة جداً مثل هونغ كونغ وتايوان.

وأرسل مادونا أيضا تقريراً الى مركز مديرية مكافحة المخدرات في العاصمة واشنطن تضمّن الادلة التي استخلصها والتي تشير الى أن المزوِّدين الصينيين قد يكونون هم المسيطرين على سوق الهيروين في الولايات المتحدة. وأضاف أن ما يصل الى ٦٥ في المئة من الهيروين يدخل البلاد عبر منظمة واحدة.

بعد ذلك اتصل مادونا بمديرية مكافحة المخدرات في نيويورك. وسرعان ما اتضح له أن أي تحقيق في شأن تجار المخدرات الشرقيين ليس من أولويات المسؤولين في المديرية. وهم أوكلوا الى عميل واحد مجهَد مساعدته فلم يستطع تقديم عون يذكر، وكان على مادونا أن يتكل على نفسه.

في ٣٠ أغسطس (آب) طبعت آلة التلكس في مكتب مادونا رسالة وجيزة ملحة مفادها أن عملاء مديرية مكافحة المخدرات في بانكوك اكتشفوا مكان وجود فانغ، المهرِّب الفار، وأنهم يعتقدون أنه ذهب ضحية عملية اغتيال محترفة برصاصة اخترقت قلبه.

درب الهيروين

عرف مادونا أن قطع أحجيته كانت مبعثرة في المقلب الآخر من الكرة الارضية، وأن عليه للعثور عليها السفر الى هناك. فرتب لقاء مع فريق مديرية مكافحة المخدرات في تايلند وطلب من ادارة شرطة هونغ كونغ ايفاد محقق لاشتباهه بوجود حلقة لشبكة مخدرات في هونغ كونغ.

توصف بانكوك في كتب السياحة بأنها مدينة ساحرة، سكانها ٥٫٥ ملايين، تلتمع في صفحة قنواتها المائية الهادئة انعكاسات هياكل الباغودة[٢] المذهبة. لكن بانكوك، على روعتها، تشكل المحطة الرئيسية التي تتفرع منها درب تجارة الهيروين. ففيها أكثر من ١٠٠٠ كيلومتر من الطرق المعبدة والمسالك الوعرة والممرات الحرجية

(٢) الباغودة هيكل صيني او ياباني او هندي متعدد الادوار.

الشديدة الانحدار، تربط حقول الخشخاش المخفية في مينمار (بورما) بخليج تايلند وبحر الصين الجنوبي. وخلف مظاهر الجمال والرقة يقوم عالم خفي غامض يسود فيه الفساد والعنف والجشع والقتل.

كان الامر مثيراً بالنسبة الى ادوارد مادونا الذي لم تطأ قدماه أرضاً خارج أمريكا الشمالية. فصباح ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ دخل مكتب مديرية مكافحة المخدرات في بانكوك والتقى عدداً من العملاء والمحللين. وبادره المفتش السري البريطاني الآتي من هونغ كونغ ماداً يده: "أنا جون بريتشارد."

كانت تلك بداية صداقة بينهما.

أصغى مادونا بانتباه الى بريتشارد وهو يشرح له بنية مجموعات التهريب الصينية في هونغ كونغ. قال انه لم يكن في الامكان اقتفاء اتصال واحد من الاتصالات التي حددها مادونا الى أي منظمة اجرام معروفة. ولاحظ أن "من نلاحقه، أيا يكن، ذكي جداً."

وشرع بريتشارد ومادونا يتفحصان جوازات السفر الثمانية والوثائق الأخرى التي اكتشفتها السلطات التايلندية بعد مقتل فانغ. وكان أحدها صادراً من هونغ كونغ وآخر من سنغافورة وثالث من لاباز في بوليفيا.

قال بريتشارد: "صاحبنا فانغ متعدد الهويات. ولكن مهلاً، ما هذا؟"

تبين لبريتشارد، بينما كان يحدق الى الجواز الباهت البالي الصادر من هونغ كونغ، أن الصورة فيه لا تشبه فانغ. وقال لمادونا: "انني أعرف صاحب هذه الصورة. انه يدعى لي كوون ويلقب "النمر". وهو عضو سابق في حركة الشبيبة التي ساندت ماوتسي تونغ في الستينات. ونحن نراقبه منذ زمن."

قبل سنة، في ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤، اعترض زورق لجمارك هونغ كونغ سفينة صيدٍ تحمل ١٣٥ كيلوغراماً من الهيروين التايلندي معبأة في براميل للوقود، وشحنة صغيرة من الاسلحة تضم مسدسات أوتوماتيكية وكواتم صوت. وعلم ضباط مكافحة المخدرات من أحد بحارة السفينة، وهو الوحيد الذي أبدى استعداداً للتعاون، أن منظمي الشحنة هم من سكان هونغ كونغ. لكن هؤلاء تمكنوا جميعاً من الفرار قبل القبض عليهم. وكان "النمر" لي بينهم.

لقد وفّر جواز السفر لمادونا أخيراً دليلاً على ارتباط مصرع فانغ بقضية المخدرات في سياتل وهونغ كونغ. كما وجد مادونا حليفاً.

كان بريتشارد، كما مادونا، بدأ العمل شرطياً يتولى أعمال الدورية في مسقط رأسه بدفورشاير ببريطانيا. والتحق عام ١٩٨١ بدائرة الشرطة في هونغ كونغ، لكنه لم يعيَّن في مكتب مكافحة المخدرات قبل سوى ثمانية أشهر. وباتت مهمته الآن كشف الارتباط

بين عصابات الهيروييين المحلية وقضية مادونا. وميزته أنه كان يتكلم اللغة الكانتونية (نسبة الى مدينة كانتون في الصين).

قال مادونا لزميله بريتشارد في مطار بانكوك، معلقا على مهمتهما: "نحن أعمى يقود أعمى."

فنبهه بريتشارد: "احترس يا إد." كانا كلاهما يعرفان أن عملاء مكافحة المخدرات هم دوما أهداف للعنف الذي يرافق تجارة المخدرات.

فرد مادونا: "ثق بأني لن أنسى ذلك." ثم حمل حقيبته وتوجه الى ردهة المسافرين.

الحلقة الكبرى

عاد جون بريتشارد الى مكتبه الضيق في هونغ كونغ الواقع في الطبقة العاشرة من مبنى دائرة الشرطة في شارع أرسينال والمطل على ميناء فيكتوريا حيث ترسو سفن شراعية وزوارق صينية ذوات مجذاف واحد. فطالعته كومة من تقارير الاستطلاع هي خلاصة مئات من ساعات العمل التي نفذتها وحدته منذ أعلمته مديرية مكافحة المخدرات بضبط مستوعبات مكعبات الثلج في يونيو (حزيران) والاشتباه في وجود صلة لها بهونغ كونغ.

وكان فريقه المؤلف من خمسة صينيين حدد وكالة السفر التي اشترى منها المهربان بطاقتي سفرهما الى سياتل. ولكن تبين أن ثمن البطاقتين دفع نقداً لئلا يترك المهربان أي أثر يكشف هويتهما. وكان على بريتشارد أن يواصل التدقيق في أرقام الاتصالات الهاتفية الواردة على أرقام في هونغ كونغ وتايوان مسجلة في دفتر عناوين طومي تشن.

ثم عكف على درس تسجيلات التحقيق في قضية سفينة الصيد واعادة التدقيق في المستندات حتى ساعة متقدمة من الليل. ولفت نظره تقرير فيه تحليل فائق السرِّية يصف نشاطات منظمة اجرامية جديدة في هونغ كونغ تدعى "عصابة الحلقة الكبرى"[٣] وهي "كارتل"[٤] لنحو ٣٥٠ مجرماً عتياً كان يتخذ من مدينة كانتون في جمهورية الصين الشعبية مقراً له، ثم نقل هؤلاء عملياتهم الى هونغ كونغ في أواخر السبعينات، لكن الدلائل أشارت الى أنهم ما زالوا على صلة وثيقة بمجموعات في البر الصيني يزودونهم الهيروييين من مينمار. و"النمر" لي هو أحد زعمائهم.

تابع بريتشارد بحثه، فعثر على مرجع سابق في ملف آخر يشير الى عصابة الحلقة الكبرى في قضية كندية بتاريخ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣. فقد أوقف رجال

(٣) Big Circle Gang

(٤) الكارتل (cartel) اتحاد بين جماعات من اجل عمل مشترك.

الشرطة في تورنتو رجلين ينقلان ٣،٥ كيلوغرامات من الهيروين مخبأة في حقيبة سفر ذات قعر مزدوج مرسلة الى نيويورك. وتبين من السجلات أن الرجلين توقفا في سنغافورة قبل أن يصلا الى كندا. وقد أجرى أحدهما اتصالاً من سنغافورة بتاجر فرو في هونغ كونغ يدعى كون يو – ليونغ.

قال بريتشارد لنفسه بصوت عال: "أنا أراهن يا سيد كون على أنك تتاجر بأكثر من الفراء." وتابع التدقيق في ملفه.

ادعى كون يو – ليونغ الملقب "جوني كون" أنه مصدِّر بسيط. ولد في شنغهاي، وهو يعيش مع زوجته في شقة فخمة في كولون الواقعة في الجهة الاخرى من الخليج قبالة وسط هونغ كونغ.

لم يصدّق رجال الشرطة رواية كون الزاعمة أن المكالمة من سنغافورة كانت من شخص أراد الاتصال بأحد الضيوف في منزله. ولكن لم يكن لديهم دليل ثابت على ضلوعه في صفقة المخدرات في تورنتو.

وضع بريتشارد الملف جانبا. لكن الاسمين، كون يو – لونغ وجوني كون، ظلا يترددان بالحاح في ذاكرته، وبات منزعجا كمن يحسّ حكاكا في جلده تعجز يده عن مطاولته. وحين أعاد قراءة استجواب بحّار سفينة الصيد اتضح له السبب. كان جوني كون أحد الذين ساهموا في نفقات الرحلة، وقد هرب الى تايوان.

تناول بريتشارد الملف التالي، فوجد أن الشرطة حصلت على تفويض لتفتيش شقة كون حيث عثرت على صناديق ملأى بوثائق تكشف عمليات ست شركات في هونغ كونغ يديرها جوني كون.

وفي كشوف حساباته بانت قيود بألوف الدولارات المودعة مصارف مختلفة، وهي تفوق كثيراً مردود تجارة الفراء التي يدّعيها. وكانت ثمة جداول رواتب لستين موظفاً وردت أسماء كثيرين منهم في ملفات سابقة على أنهم أعضاء في عصابة الحلقة الكبرى. وكان بينهم "النمر" لي.

تكاملت هذه المعلومات كتركيبة فسيفساء معقدة. لقد اكتشف مادونا وبريتشارد عملية تهريب واسعة للهيروين الى الولايات المتحدة، وباتا يتعقّبان زمرة من أخطر تجار المخدرات في العالم.

في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ طار بريتشارد الى سياتل لتقديم ما لديه من أدلة في محاكمة طومي تشن والادلاء بشهادته في شأن بطاقتي السفر اللتين اشتراهما تشن وتوقفه في هونغ كونغ وهو في طريقه الى الولايات المتحدة مع فانغ هان – شنغ.

كان مادونا في الانتظار لدى وصول بريتشارد، وقال له مكتئبا: "جون، لم نحرز أي

تقدم في قضية تعقب كون وسائر أفراد العصابة. وهم ربما أدخلوا طناً من الهيرويين منذ عملية مستوعبات مكعبات الثلج."

فرد بريتشارد: "بل أحرزنا تقدما، وقد يأتينا الجواب من طريق أرقام الهاتف في دفتر تشن التي لم نستنفدها بعد."

لفت نظر بريتشارد، أثناء المحاكمة، رجل صيني في نحو الاربعين يرتدي بذلة ثمينة ويجلس بين النظارة. وكان في احدى عينيه انحراف شديد فبدت كأنها تحدق الى السقف. وهو جلس هادئاً يدون ملاحظات ولا يتحدث الى أحد. لكن بريتشارد الذي كان يراقبه عن كثب لاحظ التفاتة تعارف بينه وبين تشن.

اقترب بريتشارد من الرجل تدريجا، فلمح ملفا الى جانبه طُبع عليه اسم وعنوان: "سو وكاربهاري، محاميان – كولون، هونغ كونغ."

تذكر بريتشارد أن هذين هما المحاميان نفسهما اللذان مثلا المهرب في قضية كندا والمتهمين في قضية سفينة الصيد. وها هما الآن يتابعان قضية طومي تشن. فهل هذه مجرد مصادفة؟

عصبة الاثني عشر

في ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) دين تشن وحكم عليه بالسجن عشرين سنة. وبعد يومين عاد بريتشارد الى هونغ كونغ، والى التهام الشطائر الباردة والقهوة الفاترة في مقر الشرطة.

وكان كلما اطلع على تقارير التحريين العاملين في امرته ازداد اقتناعا بأنهم سائرون في الطريق الصحيح. كان كون أجنبيا دخل البلاد بطريقة غير مشروعة وزعم أنه لاجيء وأُعطي ترخيصا بالاقامة عام ١٩٦٢. وبعد خمس سنوات غادر هونغ كونغ الى فيتنام الجنوبية (آنذاك) وجعل من سايغون قاعدة لعملياته، حيث كان يبيع الجنود الامريكيين في اواخر الستينات مجوهرات ذهبية وفراء وساعات مهرّبة. وفي العام ١٩٧٤ بدأ يتجر بالهيروين في تايلند، وبعد ست سنوات بلغ عدد موظفي شركاته ٣٠٠ في هونغ كونغ وحدها، الى ١٥٠ آخرين في البر الصيني. وكان يمتلك أيضا شركتين في الحي الصيني تشايناتاون في نيويورك، تتعاطى احداهما تجارة الفرو والاخرى بيع العقارات والاراضي.

وبات جوني كون (٤٢ عاما) يلبس بذلات فاخرة من أجود أنواع الحرير ويغشى أفخم المطاعم، تلمع في معصمه ساعة مرصعة بالالماس ثمنها ٣٠ ألف دولار، وأظفاره مقلمة مصقولة.

ولكن على رغم فخامة مظهر كون كان بريتشارد يعرف أنه وعصابته مجرمون قساة

لا يعرفون الرحمة، وأن معاونيه هم من "الحرس الحمر" السابقين المتخصصين بتجارة الهيروين والسطو والاغتيال. وقد اشتبه بريتشارد في أن يكون كون نفسه أعطى الأمر بتصفية فانغ.

أمضى بريتشارد ردحاً طويلا من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ يعمل كل ليلة وحيداً في مكتبه. ومن بين مئات تسجيلات التنصت الهاتفية على الارقام المأخوذة من مفكرة العناوين الخاصة بتشن، كان يعيد التدقيق في كل اتصال أجراه كون أو معاونوه. وكان لا بد للتحقيق أن ينتهي عاجلا أو آجلا.

وقد حدث ذلك أخيراً، ذات ليلة في أواخر يناير (كانون الثاني). اذ تبين أن مكالمة واحدة سجلت عام ١٩٨٣ الى تايبه عاصمة تايوان من هاتف في هونغ كونغ عائد الى أحد معاوني كون الكبار. وقد ظهر الرقم نفسه في دفتر عناوين طومي تشن. وجدتُها!

اتصل بريتشارد بمادونا في مركز مكافحة المخدرات في سياتل وقال وهو يزف اليه الخبر: "ألم أقل لك أن تصبر؟"

أكبّ بريتشارد حتى الصباح على كتابة التقرير الرسمي. وكانت سلسلة الادلة واضحة تثبت أن الشبكة التي يديرها جوني كون هي المسؤولة عن شحنة الهيروين القياسية الى سياتل في يونيو (حزيران)، وربما عن شحنات كثيرة بعدها الى الولايات المتحدة.

كانت اماطة اللثام عن حلقة كون انتصاراً على كل العوائق. لكنها بداية فقط، اذ لم يكن هناك سوى شاهد واحد هو بحار سفينة الصيد، وما لم يتوافر شهود أخر فسيكون توجيه الاتهامات والاعتقالات والادانة مجرد حلم.

ولكن على مسافة محيط وقارة كانت المساعدة في الطريق على نحو غير متوقع وعلى أيدي وحدة أغرار قليلي الخبرة تابعة لمديرية مكافحة المخدرات تدعى "المجموعة ٤١".

وقف العميل الخاص ريتشارد لامانيا (٣٧ عاما) في أحد المكاتب الحكومية في نيويورك وحدّق الى العملاء في "المجموعة ٤١" وخاطبهم بحدة قائلا: "لا يهمني ماذا كنتم قبل تسلمي المسؤولية هنا. ستكون المجموعة ٤١ أفضل مجموعة في مديرية مكافحة المخدرات!"

وكان لامانيا كلّف في وقت سابق من يناير (كانون الثاني) ذاك تولي مسؤولية المجموعة، وراعه ما كانت عليه. فقد أحدثت "المجموعة ٤١" لكشف مؤامرات تهريب المخدرات، لكنها لم تحقق شيئا يذكر. والاعتقالات التي قامت بها كانت قليلة جداً.

كانت المجموعة في الحقيقة مهملة بين مجموعات المكافحة، واقتصر نشاط أفرادها على الاعمال المكتبية بدل المهمات الميدانية، حتى أنها لم تكن تملك سيارة مراقبة.

كانت معنويات المجموعة في الحضيض، فثلاثة من عناصرها الخمسة طلبوا اعفاءهم، وكثيراً ما كان المدَّعون العامون في المبنى يجندونهم كحراس شخصيين بدل تشجيعهم على ملاحقة قضايا المخدرات التي انتدبوا لها.

كانت مديرية مكافحة المخدرات في الواقع لا تملك أي دفاع ضد خطر الهيرويين المستورد من القارة الآسيوية. لكنها كانت اختارت على الاقل الشخص الملائم للمهمة، وهو لامانيا. وقد تميز هذا بكونه أسيويا متخصصا، وهو المحقق الابيض الوحيد الذي يتكلم اللغتين الكانتونية والماندرين.[5] وكان أمضى ست سنوات ونصف سنة في الشرق الاقصى، في هونغ كونغ أولا ثم في بانكوك. لقد أعد نفسه لتحدي الصعاب، وصمّم على أن يحذو عملاؤه حذوه.

قال لهم: "أريدكم أن تخبروني لحظة يطلب منكم أحد المدَّعين القيام بمهمة حراسة. انكم تعملون لي وليس لهم. والآن، لنوجّه نشاطنا الى القبض على المهربين."

لم يكتف لامانيا بذلك، بل زاد عدد عناصره مجنداً عملاء آخرين من فروع لمديرية مكافحة المخدرات في ضواحي نيويورك. ولفت انتباهه بين هؤلاء شاب خبير بتحركات الشوارع يدعى كيفن دونلي (٢٩ عاما) فكلفه التحقيق في قضية كون. وبعد لقائه زملاءه الجدد وصفهم دونلي مازحا بـ"عصبة الاثني عشر."

ما خفي كان أعظم!

لم يكن مضى على عمل أعضاء الوحدة أسبوع حتى ورد عليهم أول انذار. ففي الثامنة مساء ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ أُبلغ الى لامانيا أن مفتشي الجمارك في مطار جون ف. كينيدي بنيويورك قبضوا على امرأة صينية معها ٢٠ كيلوغراماً من الهيرويين موضبة داخل اطارات صور معدنية كبيرة. وكان العملاء يحاولون مراقبة عملية تسليم البضاعة المفترض أن تتم في أحد فنادق مانهاتن. فانضم اليهم لامانيا واستجوب المرأة بلغة الماندرين. قالت له انها جاءت من طوكيو وقد طُلب منها احضار الاطارات الى صديق. وادعت أنها لم تكن تعلم باحتوائها على الهيرويين. وأضافت أن شخصا سيتصل بها في الفندق لتسلمها.

قال لامانيا: "حسنا، سننتظر."

أظهر جواز سفر المرأة أنها في الثانية والخمسين ومن سكان تايوان. وهي بدت مثقفة وأنيقة، لكنها كانت قلقة أيضا.

(٥) الماندرين هي اللغة الصينية الرسمية المنطوقة في نحو اربعة اخماس الصين، وهي اساسا لغة الشمال.

بعد ساعتين رن الهاتف. فطلب لامانيا من المرأة أن ترد بلغة الماندرين، وبهدوء كأنما ليس في الامر شيء. الا أنها بدل ذلك انطلقت في سيل من الكلام بلهجة صينية عرفها لامانيا لكنه لم يفهمها. وبدا واضحاً أنها كانت تنذر المتكلم بأنها موقوفة وأن ثمة اناسا معها في الغرفة.

فانتزع لامانيا سماعة الهاتف من يدها وأقفل الخط.

لزمت المرأة الصمت المطبق ولم تدل بشيء آخر واقتيدت الى السجن. ولكن لازم لامانيا شعور غامض لم يفارقه بأن ثمة أمراً مألوفاً في اعتقالها.

وحين دخل مكتبه في اليوم التالي أكبَّ على مراجعة تقارير لمديرية مكافحة المخدرات تتضمن قضايا مشابهة لقضية المرأة الصينية. فوقع على قضية مصادرة أوعية المكعبات الثلجية في سياتل قبل سبعة أشهر. وتبين له أن ثمة تشابها مذهلا بين القضيتين. فقد استخدم في كلتيهما مهربون صينيون ومصنوعات معدنية مصممة بمهارة لاحتواء المخدرات. فهل ثمة صلة بين القضيتين؟

اتصل لامانيا هاتفيا بسياتل. وهناك دوّن مادونا التفاصيل وسأل عن رحلة المرأة والمحطات التي مرت بها قبل وصولها الى نيويورك.

فأخبره لامانيا: "جاءت مباشرة من طوكيو، لكن بطاقات السفر دلت على أن رحلتها بدأت في بانكوك."

عرف مادونا أن هذه هي الوجهة نفسها التي سلكها فانغ هان – شنغ وطومي تشن. ثم سأل لامانيا: "هل تعرف الفندق الذي نزلت فيه المرأة في تايلند؟"

أجاب لامانيا بعد تفحص افادة المرأة: "فندق مونتيان."

ضغط مادونا السماعة لدى سماعه هذه المعلومات المثيرة. فمونتيان كان الفندق نفسه في بانكوك الذي نزل فيه طومي تشن. قال: "هذه شحنة أخرى من كون!"

أطلع مادونا زميله على آخر ما توصل اليه التحقيق، فضلا عما تبلغه من جون بريتشارد في هونغ كونغ. وشدد على ضرورة أن يحصلا على بعض الدعم، والا فلن يستطيعا الذهاب أبعد في التحقيق.

أجاب لامانيا: "سأتكلم مع المقر الرئيسي في هذا الشأن."

بعد ثلاثة أيام من مصادرة المخدرات في مطار جون ف. كينيدي بنيويورك، توجه لامانيا لمقابلة كاثرين بالمر، وهي مساعدة للمدعي العام ملحقة بدائرة العدل في المنطقة الشرقية. كانت بالمر في الثلاثين من عمرها وتفتقر الى الخبرة في دعاوى المخدرات. وتردد أنها التحقت بالدائرة حديثا لتتخلص من رتابة العمل في مكتب محاماة في وسط مدينة نيويورك.

صدم لامانيا اذ دخل مكتب كاثرين بالمر، فهو لم يتوقع أن تكون مختلفة عن غرفة أي مدَّع عرفه سابقا.

أجال نظره في مكتبها مندهشا، فقد غطت الجدران صور تذكارية من مباريات البايسبول (كرة القاعدة) وصفوف من الاعلام الرياضية المثلثة والقبعات وصور الفرق الرياضية. وفي احدى الزوايا استقر مضرب مائل، وعلقت على طرف الطاولة كرة موقّعة من كارل يسترزمسكي ضارب الكرة الاسطوري.

قال لها لامانيا: "أرى أنك هاوية."

أجابت: "أنا من أنصار فريق بوسطن ريد سوكس. هل من خدمة يا ريتش؟"

تناقشا في القضايا التي كان يعمل عليها. فأخبرها عن الطريق التي سلكها المهربون والوسائل المتشابهة التي استخدمت في عمليتي سياتل ومطار جون ف. كينيدي، وأعرب لها عن اعتقاده أن تجار المخدرات الآسيويين هم في طريقهم الى السيطرة على معظم سوق الهيروييين في مدينة نيويورك، وأن الكميات التي صودرت في مطار سياتل ومطار جون ف. كينيدي ليست سوى عينة، وما خفي كان أعظم.

وشدّد لامانيا على أن لا أمل في التصدي لهذه الشبكة الا بوضع استراتيجية موحدة. لذا فهو في حاجة الى مزيد من الدعم. فالمجموعة ٤١ تشبه فريقا من الدرجة الثالثة يلعب ضد فرق من الدرجة الاولى، وهو يحتاج الى "هداف خارق"،فهل في استطاعته الاعتماد على بالمر؟

أجابته مبتسمة: "هيا بنا الآن!"

أدرك لامانيا أنه كان يطلب من بالمر المجازفة في دعم القضية، لأنه لم يكن هو ولا مادونا قادرين على أن يعداها بشيء ملموس. ولكن، من جهة أخرى، لن يكون



في استطاعته تحقيق أي تقدم من دون تعاون مكتب المدعي العام، ومساعد المدعي العام هو الذي يضع يده على التحقيق ويصدر مذكرات التفتيش. وفي النهاية، فان كسب قضايا الاتهامات والمحاكمات أو خسارتها متوقفان على بالمر.

بعد أسبوعين طار مادونا الى نيويورك للمشاركة في "مجلس حرب." وأحضر معه العناوين وأرقام الهاتف وخلاصة تحريات بريتشارد عن منظمة جوني كون. بدا له واضحاً أن صفقة المخدرات المخبأة في اطارات الصور التي صودرت في مطار جون ف. كينيدي هي نموذج لطريقة عمل تشن وفانغ. وسرعان ما أخذ التحقيق المشترك بين لامانيا ومادونا يترجم نشاطا متناميا للمجموعة ٤١ الساعية الى تحويل النظرية حقيقة ادعائية.

"احتجزوه!"

تابعت المجموعة ٤١ خلال أشهر مارس (آذار) وابريل (نيسان) ومايو (أيار) ١٩٨٦ اقتفاء أرقام الهاتف بحثاً عن أدلة وشهود. ومرة أخرى لم يتحقق أي تقدم مهم. ثم، في ساعة متقدمة من ليل ١٨ يونيو (حزيران)، استيقظ مادونا من نوم عميق على رنين الهاتف بجانب سريره في سياتل. كان المتكلم بريتشارد من هونغ كونغ. قال: "لقد تمكنوا منه."

سأله مادونا مترنحاً: "من هو الذي تمكنوا منه؟"

أجاب: "شاهِدنا!"

فقد تعقّب قتلة محترفون بحار سفينة صيد السمك وأطلقوا عليه الرصاص من الخلف من مسدس عيار ٠،٤٥ أمام أفراد عائلته، ثم مال أحد المسلحين فوقه ببرودة وأطلق رصاصة "الامان" في رأسه قبل أن يلوذ وصحبه بالفرار. وهكذا، في لحظة قاتلة، انهارت الدعوى على جوني كون.

قال بريتشارد لمادونا: "آسف يا صديقي، لقد عدنا من حيث بدأنا."

ولم تكن الأمور في نيويورك أيضاً تسير كما أراد لامانيا والمجموعة ٤١. كان دونلي ورجاله يخرجون يومياً الى الشوارع ويكتسبون خبرة في حبائل العالم الآسيوي التحتي ويجندون مخبرين ويضيفون مزيداً من العملاء. لكنهم لم يحققوا أي تقدم في تحديد مكان الموزعين المحليين لبضاعة جوني كون.

كان مادونا يتعرض لضغط متزايد في سياتل لتخصيص وقت أكبر لقضايا أخرى. وكذلك الحال بالنسبة الى بريتشارد في هونغ كونغ. وكان مضى على بدء التحقيق ١٥ شهراً من غير أن يؤدي الى نتيجة. لكن فرصة لاحت لهما أخيراً في ٢٢ سبتمبر (أيلول) حين حققت "رسوم" مادونا بواسطة الكمبيوتر نجاحاً.

ففي مطار سياتل – تاكوما أوقف أحد مفتشي دائرة الهجرة رجلا تايوانيا حمل جواز سفره تأشيرة دخول بدت مزورة. ولكن ما لم تبدِ مديرية مكافحة المخدرات اهتماما بالقضية فكل ما سيكون في الامر أن الرجل سيرحَّل.

سأل مادونا: "ما اسمه؟" وبعد لحظات راح يجيل نظره في قائمة الاسماء التي وردت على جهازه. وتوقف عند أحدها هاتفا: "احتجزوه! أنا في طريقي اليكم!"

كان الرجل يدعى ين تشنغ – لينغ ويعرف أيضا باسم آه – لينغ، وهو أمريكي جنوبي تبناه والدان صينيان وتضمنت جوازات سفره تواريخ ولادة مختلفة وجنسيات عدة بحسب معطيات الكمبيوتر في "الجهاز الوطني لمنع ادخال المخدرات عبر الحدود." كما تبين أنه دخل الولايات المتحدة نحو ٢٠ مرة منذ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤، وصرح مرتين في البيانات الجمركية عن شحن كميات كبيرة من الزهريات المعدنية. وقد رافقه فانغ هان – شنغ مرتين و"النمر" لي مرة واحدة.

كان آه – لينغ رجلا قصيرا نشيطا أنيقا في نحو الاربعين، صفف شعره في تقليعة غريبة، وصبغه بلون أزرق خفيف. وازدانت اصابعه بالجواهر، وبانت آثار التبرج على وجهه. لكنه بدا شديد الثقة بنفسه. وظل مصراً على أن ثمة خطأ في توقيفه. فهو آه – لينغ، رجل أعمال يتعاطى التصدير، وهذه بطاقته المهنية تثبت ذلك.

ألقى مادونا نظرة سريعة على عنوانه في تايبه ثم رمى البطاقة على الطاولة وقال له: "هذه مذكرة اتهام، وهذا اسمك عليها. فلنتكلم على مستوعبات مكعبات الثلج والزهريات التي سلمتها لحساب السيد كون."

قرأ مادونا تاريخ كل رحلة قام بها آه – لينغ الى نيويورك وشيكاغو والفنادق التي نزل فيها وتاريخ مغادرته، ثم قال له بحدة: "اننا نعرف كل شيء عنك. انظر بنفسك. هذه الاتهامات كفيلة بزجك في السجن مدى الحياة."

كانت تلك خدعة، لكنها جازت على آه – لينغ.

شرع آه – لينغ في قراءة قائمة مادونا، فازداد قلقه. واذ راح يمرر اصبعه على قائمة التواريخ بدأ ينهار بوضوح، وتهالك في كرسيه. واستغرقه الامر فترة ليتكلم. وأخيرا، تنفس عميقا وقال: "أراني مرتاحا الى أن المسألة انتهت، ذلك لانني كنت مدركا أن هذا سيحصل."

أقر آه – لينغ بأنه عمل مع جوني كون منذ العام ١٩٨٣، وأخبر عملاء مكافحة المخدرات أنه هو الذي عرّف كون الى فانغ، الرجل الذي وصفه بأنه كان بمثابة أخ له. وكان فانغ نفذ ثلاث عمليات تهريب، وحين أخفق في المرة الاخيرة "قتلوه."

عثر رجال المكافحة في حقيبة آه – لينغ اليدوية على ظرف صور، اخرجها مادونا ووضعها على الطاولة وسأل الموقوف: "من هم هؤلاء الأشخاص؟"

أدرك آه – لينغ أنه يواجه حكماً بالسجن مدة طويلة وأن لا خيار له الا التعاون، فوضع اصبعه على صورة وقال: "هذا كون،" دالا على رجل عريض الوجه يضع شعراً مستعاراً وشاربين زائفين. ثم أشار الى صورة "النمر" لي وأعضاء آخرين في مجلس "الحلقة الكبرى."

كان آه – لينغ حمل تلك الصور في حقيبته منذ مقتل فانغ متحينا الفرصة ليريها أحداً. وقال إن الصور ليست سوى البداية، فهو يعرف كيف تعمل "عصابة الحلقة الكبرى" ويعرف الشحنات التي هربتها مدى سنوات ويعرف أيضاً الذين أمدّوها بالمخدرات.

محاسب العصابة

استجوب مادونا ولامانيا آه – لينغ ما بين ٢٤ و٢٦ سبتمبر (أيلول) في غرفة فندق في ضواحي سياتل ووسط حراسة مشددة. فأفاد أن كون لجأ الى أربع طرق تهريب مختلفة الى الولايات المتحدة. وقد قام آه – لينغ نفسه برحلات كثيرة لهذه الغاية لم يعد يتذكر عددها. وكان بعد تسليمه المخدرات الى وسيط صيني أو زعيم مافيا محلية، يعود الى هونغ كونغ وحقائبه محشوة بالعملات النقدية التي بلغت مليون دولار وأكثر أحيانا. (كان المال يسلم الى ممثلي كون الذين يبيضونه[٦] عبر الجهاز المصرفي الصيني ويعيدون توظيفه في صفقات هيرويين تايلندية أخرى بأسعار الجملة أي ما يعادل ٨٠٠٠ دولار الكيلوغرام).

سأل مادونا ولامانيا آه – لينغ عما اذا كان يريد التعاون معهما. وبعد هنيهة صمت هز هذا رأسه ايجابا. فاقتربا منه أكثر وطلب منه لامانيا: "ماذا لو تقدم على خطوة أخرى يا آه – لينغ؟ هل أنت مستعد لأن تكون عميلا سريا لنا، فتبقى مع كون وتزودنا كل شيء: الكميات المصدرة وممولي المخدرات والطرق الجديدة التي تشحن عبرها؟ والأهم من كل ذلك أن تفيدنا عن جوني كون وتحركاته."

وهما تعهدا له في المقابل أن يعملا ما في وسعهما لتخفيف الحكم عليه. وحذراه من الا يخدع نفسه، فالخطر ماثل أبداً في لعبته المزدوجة، فاذا اكتشف أمره فلن يبقى حياً.

فهز آه – لينغ رأسه وقال بهدوء: "سأفعل ذلك."

عاد آه – لينغ الى هونغ كونغ حيث التقى بريتشارد وأكبّا معا على تفحص صور

(٦) تبييض النقود (laundering) يعني توظيف اموال من مصادر غير شرعية وتنقيلها بين مؤسسات مالية مختلفة لاخفاء مصادرها. واهم مصادر هذه الاموال المخدرات والعاب الميسر و"الرقيق الابيض" والتهرب من دفع الضرائب.

قديمة لدى الشرطة لافراد عصابة "الحلقة الكبرى." وبمقارنة الأسماء مع حصيلة عمليات التنصت الهاتفية المسجلة، استطاع بريتشارد ومحللون في الشرطة رسم صورة بيانية للمنظمة تدعى "جدول تحليل الارتباط." وهي شملت كل علاقة مشبوهة بين تجار المخدرات والشركات المقامة واجهة لنشاطاتهم ومزودي المخدرات التايلنديين. وعندما اكتمل الجدول بدا شبيها ببيت عنكبوت ضخم متشعّب بشكل قفّاز اليد.

كان البعد الكامل للبنية التحتية للمنظمة هائلا. فثمة عناوين مخابىء، ومناطق لتوزيع الهيروين في هولندا وألمانيا الغربية، ومستودعات في مانيلا وبناما، ومصنع تجميع ساعات في الباراغواي، وكازينو في تايوان، وحانة وناد ليلي في طوكيو، وشركات لتصدير الفراء في الصين. وكان كل منها، بحسب آه – لينغ، يبيِّض الارباح العائدة من المخدرات أو يتولى تمرير شحنات الهيروين والكوكايين. ودفعت هذه المعلومات الاستخبارية تحقيقات مديرية مكافحة المخدرات بسرعة مذهلة في غضون أسابيع.

ظل آه – لينغ طوال خريف ١٩٨٦ يوافي بريتشارد ومادونا بتقاريره. وغالبا ما كان يجري اتصالاته بسياتل من عواصم آسيوية مختلفة في ساعات متقدمة من الليل. وكان يلتقي أيضا عملاء في هونغ كونغ في مداخل أبنية خالية.

ولكن بدا أن جوني كون أخذ يبقي مسافة بينه وبين آه – لينغ، فلم يعهد اليه في مهمات جديدة. وفي حين ظل هذا على اتصال مستمر مع أعضاء في المنظمة، فهو لم يلتقِ جوني كون منذ أشهر، الامر الذي أثار قلق مادونا فتساءل: "هل افتضح أمره؟ لكن هذا مستحيل، والا لكان آه – لينغ هلك."

وكانت كاثرين بالمر تتصل بمادونا أسبوعيا لتطلع منه على أحدث المستجدات، فكان مادونا يزودها كل شاردة وواردة. لكن القضية لم تشهد أي جديد. وفي هذه الاثناء كانت الساعات الطويلة من العمل غير المثمر قد نالت من مادونا، فبدا محياه الفتيّ متغضنا واسودّ الجلد تحت عينيه.

في ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ لاحت لمادونا فرصة، اذ أيقظه رنين جرس الهاتف بجانب سريره في الحادية عشرة ليلا. وكان المتكلم أحد الموظفين في مكتب مديرية مكافحة المخدرات في أمريكا الجنوبية، الذي قال: "وردت الآن برقية الى واشنطن تفيد أن قنصل الولايات المتحدة في الباراغواي أبلغ الى الدوائر المعنية الامريكية أن الشرطة قبضت على أحد الصينيين بتهمة الاتجار بالكوكايين." ووفق الروتين المتبع، وزعت برقية التلكس على العملاء الذين يلاحقون قضية كون.

سأل مادونا: "ما اسمه؟"

فأجاب الموظف: "ريكي تشن."[٧]

كان بريتشارد وآه – لينغ عرفا أن تشن (٣٣ عاماً) من سكان هونغ كونغ هو محاسب "الحلقة الكبرى." وحين استجوبته الشرطة – والاستجواب قد يكون وحشياً في بلدان أمريكا الجنوبية – اعترف بأنه طار من هونغ كونغ الى الباراغواي عبر نيويورك ومعه مبلغ ٢٥ ألف دولار أعطاه اياها كون لشراء مخدرات.

أدرك مادونا للحال أن تشن، اذا ما وافق على التعاون، سيكون الشاهد الثاني الضروري لادانة "عصابة الحلقة الكبرى" وزعيمها. ولكن ثمة مشكلة: فهل يرضى المسؤولون الباراغوايانيون تسليمه؟ علماً أنه لم يكن هناك بعد أي أساس قانوني لترحيله.

تفتّق حل لكاثرين بالمر. فهي عرفت أن القانون القائم يفرض على كل شخص يُخرج معه من الولايات المتحدة أكثر من عشرة آلاف دولار أمريكي نقداً، وان كان توقفه في البلاد قصيراً، التصريح عن المبلغ للدوائر الجمركية. ويعتبر تجاهل ذلك انتهاكاً للقوانين الاتحادية.

وقالت بالمر لريتشارد لامانيا: "أراهنك على أنه لم يصرّح بشيء من ذلك."

أجاب لامانيا: "من السهل جداً التدقيق في الامر." واتصل بالمسؤولين فتأكد له أن تشن لم يعطِ أي تصريح.

قالت بالمر: "اذاً، علينا أخذ المبادرة. سنحاول سريعاً وضع أساس قانوني لتسليم تشن."

وفي أقل من أسبوع تمكنت بالمر من اقناع المسؤولين الامريكيين بعقد اتفاق يقضي بترحيل تشن من الباراغواي وتسليمه الى مديرية مكافحة المخدرات. وكان تشن مسروراً جداً للتخلص من عذاب السجن في أمريكا الجنوبية ومستعداً للادلاء بكل معلوماته.

من خلف الدخان

في ٩ مارس (آذار) ١٩٨٧ سُلّم تشن الى عملاء مكافحة المخدرات ونقل جواً الى نيويورك. واقتيد في اليوم التالي الى مكتب بالمر حيث كشف أبعاد امبراطورية كون المالية وممتلكاته في الولايات المتحدة.

وبتجنيد تشن للشهادة باتت كاثرين بالمر على قابي قوس من توجيه الاتهام. فجأة زالت كل العقبات التي كانت تحول دون نجاح مادونا ولامانيا والمجموعة ٤١ في مهمتهم.

(٧) الاسم مستعار لحماية الشاهد.

في ابريل (نيسان) علم مادونا ولامانيا أن آه – لينغ تلقى اتصالا من جوني كون للمرة الاولى منذ خمسة أشهر، طالبا منه التوجه الى سنغافورة.

قال مادونا لزميله: "ذكره بأن يكون متنبهاً."

وصل آه – لينغ الى سنغافورة في ١٤ ابريل (نيسان) وتوجه في سيارة أجرة الى أحد الفنادق الفخمة، حيث استقبله جوني كون عند باب جناحه وقاده الى كرسي خال. ولف الصمت عدداً من معاوني كون هناك. قُدم الى آه – لينغ فنجان من الشاي بينما راح كون يتفحصه ملياً من خلال ضباب دخان سيجارته.

ثم أعلن كون فجأة: "ثمة خائن بيننا، هل يمكنك أن تتصور من يكون؟"

أحس آه – لينغ كأن أصابع من الجليد تلتف حول عنقه، لكنه استطاع بعد بُرهة أن يقول: "هذا صحيح، ان سوء الحظ لاحقنا في الفترة الاخيرة، ولا بد من معرفة الخائن أيا يكن."

نفض كون سيجارته في منفضة. وبدا قلقاً. فرجاله يُقبض عليهم، وقد ساءت سمعته لدى ممونيه بالمخدرات، وهم لن يبيعوه بطريقة "الامانة" بل عليه الآن أن يدفع ثمن كل شحنة سلفا ونقداً.

شاهد غال

لم يعد في وسع كون أن يجازف. فقد أعلمته مصادره أن تشن أوقف في الباراغواي وربما كان يتعاون مع المدعي العام في نيويورك. فاذا ثبت ذلك فلن يكون تشن في منأى عن انتقام زعماء العصابة. وسيعرفون من مخبرين مكان احتجازه، وسيقتل كما حل بالآخرين.

تساءل آه – لينغ عما اكتشفه كون أيضاً. أتراه يتلاعب به؟ هل يخرج حيا من هذا الجناح؟

ابتسم له كون بهدوء قائلا ان لا شيء من هذا القبيل هو الذي دفعه الى استدعائه الى سنغافورة. فاعتقال تشن اضطر الحلقة الى وقف عملياتها عبر بناما. ولا بد من ايجاد وسائل وطرق بديلة. وأسرّ كون الى آه – لينغ: "ستضطلع من الآن فصاعداً بدور أكثر فاعلية وأوسع نشاطا."

غرق آه – لينغ في كرسيه وقد غمره الارتياح. وأوضح له كون أن ثمة خططا لا تزال قائمة لشحن كميات كبيرة من الهيروييين. تصل الى حدود طن، لكن عمليات الشراء ستتطلب كثيراً من الوقت والتحضير. وستشحن المخدرات من تايلند في سفن حاويات الى مانيلا أولا ثم الى الساحل الغربي لامريكا. وستكون مهمة آه – لينغ استئجار مستودعات في لوس انجلس بكاليفورنيا.

قال له كون: "إننا نعتمد عليك."

استمر آه – لينغ طوال شهر يوليو (تموز) في الابلاغ عن تحضيرات كون لشحن كميات من الهيروويين في حدود الطن. وفي ذلك الشهر طار مرتين الى نيويورك حيث أبلغ الى بالمر ولامانيا ومادونا أن كون ما زال يرسل الهيروويين الى نيويورك ومیامي.

في ٢٩ أغسطس (آب) التقى آه – لينغ عملاء في هونغ كونغ وأفاد أن كون بدأ شراء كميات من الهيروويين وخزنها في تايلند في اطار أحدث شحنة له، وأنه سيتقاضى مليون دولار لاتمام الصفقة. وأضاف أن كون أكد له أيضاً أن الهيروويين يرسل بانتظام، مرة في الشهر، من جمهورية الصين الشعبية الى أوروبا والولايات المتحدة بكميات تراوح بين ٣٥ و٤٥ كيلوغراماً.

في غضون ذلك أصبحت تصفية تشن هاجس كون.

أدرك ريتشارد لامانيا وكاثرين بالمر الخطر الذي يتهدد تشن. وفي سبيل توفير أقصى ما يمكن من الحماية له وضعاه في رعاية أمنية اتحادية.

في أوائل سبتمبر (أيلول) وضعت بالمر اللمسات الاخيرة لقضيتها تمهيداً لتقديمها الى المحكمة العليا آملة أن تنال حق توجيه اتهامات ضد كون وما لا يقل عن عشرة من أفراد "عصابة الحلقة الكبرى."

في ٢٣ سبتمبر (أيلول) حظيت بالمر، من حيث لم تتوقع، بشاهد آخر هو لاو شو – مينغ أحد المساعدين النافذين لمجلس "الحلقة الكبرى." وكان قرر تهريب كمية من المخدرات لحسابه الخاص الى الولايات المتحدة، فقبض عليه في لوس انجلس وفي حوزته خمسة كيلوغرامات مخبأة في حقائبه.

طار مادونا من سياتل والتقى لاو في السجن الاتحادي. فتبين له أنه ذلك الرجل الغريب الأنيق الذي لفت انتباه بريتشارد أثناء محاكمة طومي تشن قبل نحو سنتين. وكانت احدى عينيه لا تزال مصوبة الى الاعالي والاخرى ترف بسرعة وعصبية.

بادره مادونا: "قيل لي إنك راغب في مساعدتنا، أهذا صحيح؟"

كان لاو راغباً فعلا في التعاون، اذ لم يكن في نيته دخول السجن. وكشف لمادونا كيف كان القتلة الذين يعملون للمنظمة يتعقبون الشهود بمعاونة ضباط شرطة فاسدين وبواسطة شبكة من التحريين الخاصين منتشرة في أنحاء العالم. وصمت لاو برهة ثم أضاف: "أنا نفسي بعثت برسالة الى طومي تشن بعد محاكمته، أهدده بقتل زوجته وأفراد عائلته اذا هو تكلم. وقد أكون أنا أيضاً رجلا هالكاً."

ثم تحدث عن جريمة قتل أخرى وقعت حديثاً، حين حاول أحد منافسي كون في الحلقة الكبرى الانفصال، فتعقبه رجال كون الى الباراغواي حيث سحقوا جمجمته بمطرقة ورمَّدوا جثته.

سأله مادونا: "هل توافق على أن تكون شاهدا؟"

أجاب: "نعم."

فاتصل مادونا ببريتشارد في هونغ كونغ ثم بلامانيا في نيويورك وزف اليهما الخبر. وبعد يومين كان لاو جالسا في مكتب كاثرين بالمر يكرر أمامها روايته.

وفي ١٥ ديسمبر (كانون الاول) التأمت هيئة محلفين كبرى في نيويورك للنظر في قضية مسؤولية كون عن خمس شحنات مخدرات، بدءا بالكمية المصادرة من سفينة الصيد ومن مستوعبات مكعبات الثلج في سياتل. وفي ٢١ ديسمبر (كانون الاول) قدمت بالمر مرافعتها.

بعد يومين وافقت هيئة المحلفين على توجيه تهم ضد كون و١٤ من صحبه. وخُتمت ملفات الاتهامات وحفظت في سرية تامة لئلا يدري بها كون والآخرون قبل توقيفهم.

الرجل الحرباء

تكثفت مطاردة جوني كون، فاستُنفرت دوائر شرطة مكافحة المخدرات، بما فيها الانتربول، في ١٢ دولة على الاقل. لكن كون بقي طليقا متملّصا في تنقل زئبقي دائم. وظل آه – لينغ وحده على اتصال به عبر مكالمات هاتفية سرية كانت تجرى في وقت متقدم ليلا.

وكانت لقاءاته مع عملائه تتم في أماكن مختلفة. ففي ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ عقد اجتماعا في طوكيو، وفي أوائل فبراير (شباط) عقد آخر في أحد فنادق تايبه، ثم في ٢٥ فبراير (شباط) أمر آه – لينغ بالتوجه الى طوكيو. وكانت الترتيبات أنجزت لشحن دفعة أولى من الهيروين تبلغ نحو ٤٠٠ كيلوغرام من بانكوك الى مانيلا. لكن مشكلة واجهت كون تتعلق بتأمين أموال نقدية ثمنا للمخدرات، وتطلبت تدخل آه – لينغ.

كانت التكاليف الضخمة لمشتريات الهيروين استنزفت موارد كون، وتعين عليه أن يبيع بعض عقاراته في نيويورك وسان فرنسيسكو. وقدر أن يحصل بذلك على نحو ٢٠ مليون دولار، فكلف آه – لينغ التوجه الى الولايات المتحدة وايجاد مشترين.

قال لامانيا لبالمر: "معنى ذلك كميات ضخمة جداً من المخدرات!"

ثم رسم مع كيفن دونلي وادوارد مادونا في سياتل خطة يطلب وكلاء العقارات بموجبها من كون الحضور شخصيا لتوقيع عقود البيع. وحين يُستدرج كون الى الولايات المتحدة يقبض عليه عملاء مكافحة المخدرات. في غضون ذلك يشن رجال الشرطة بامرة بريتشارد في هونغ كونغ حملة اعتقالات تشمل أعضاء آخرين في "عصابة الحلقة الكبرى."

أطلع بريتشارد آه – لينغ على الخطة المدبّرة، وكان على هذا أن يسافر الى نيويورك ويعود منها ليشرح لكون أن الشاري أصر على حضور المالك شخصياً لانجاز المعاملات النهائية.

خامر كون شك وأوجس خديعة. وتساءل: هل صحيح أن لا بد من ذهابه؟ وما الفائدة من توكيل محامين ودفع بدلات أتعابهم؟ لكنه وافق أخيراً على الذهاب، فقد اجتذبه المال كمغنطيس. وفي مكالمة هاتفية مراقبة طلب من كون أن يلتقيه الثامنة مساء ١٣ مارس (آذار) في مقهى فندق هيلتون بنيويورك. والتزاماً منه الحذر المطلق لم يذكر كون كيف سيأتي ومتى ومن أين.

قبل يومين من الموعد المتوقع لوصول كون توجه مادونا من سياتل الى المقر الرئيسي لمديرية مكافحة المخدرات في نيويورك لحضور اجتماع أخير نوقشت فيه التعليمات النهائية تمهيداً لاعتقال كون. ولم يكن أحد من العملاء رأى قبلاً "الرجل الحرباء" الذي يتنكر بأشكال مختلفة. فوزع عليهم مادونا ولامانيا الصور القليلة التي كانت في حوزتهما وأمراهم: "احفظوا صورته في ذاكرتكم جيداً والتزموا الحذر. ان كون نادراً ما يسير الا ومعه من يحمي ظهره."

اتصل مادونا ببريتشارد في هونغ كونغ، مشدداً على ضرورة ألا يتعدى الفارق الزمني في توقيت تحركهما جزءاً من الثانية. فما ان يعتقل كون في نيويورك حتى تعطى الاشارة لمباشرة توقيف الاعضاء الآخرين.

فرد بريتشارد: "هذه المهمة غاية في السهولة."

الساعة الصفر

كان الطقس مساء الاحد ١٣ مارس (آذار) بارداً وعاصفاً. وضرب عملاء المجموعة ٤١ طوقاً حول فندق هيلتون وتوزعوا في الشارع مختبئين في مداخل الابنية المقابلة لردهة الاستقبال. وجلس مادونا الى طاولة في مقهى الفندق يراقب ساعته. كان ذلك قبل دقائق من "الساعة الصفر." وجلس لامانيا قبالته، وقريبا منهما جلس كيفن دونلي العميل الاول في المجموعة، وراح ينقر على الطاولة بعود شراب متظاهراً باللامبالاة فيما داخله يعتمل اثارة، اذ لم يغب عن باله تحذير لامانيا من ان كون يؤمن دائماً حماية قوية لظهره، وربما كان رجاله منتشرين مثلهم يترصدون ويراقبون.

وتجاوز الوقت الساعة الثامنة. وغصّت الردهة بالناس. لكن أحداً لم ينضمّ الى آه – لينغ الذي بقي منتحياً احدى الزوايا.

وتلاحقت صور مراحل التحقيق كشريط سينمائي في مخيلة مادونا: بداية القصة في مطار سياتل – تاكوما، ومعلومات الكمبيوتر، والبحث المستمر، وهاوية البايسبول

مساعدة المدعي العام القليلة الخبرة، والشرطي السابق في هونغ كونغ الذي أصبح أفضل صديق. باستثناء لامانيا، بدأ العملاء يلاحقون القضية أغراراً يتحدون شبكات تجارة المخدرات الاوسع انتشاراً والافضل تنظيماً. ومذذاك تحول كل واحد منهم محترفاً بامتياز، وازداد مادونا معهم قوة وثقة بالنجاح. وهو الآن يكاد لا يصدق أن القضية توشك على الانتهاء.

وما عتّم أن قطع حبل أفكاره مرور رجل صيني حسن الهندام مشى متمهلاً متلفتاً كمن يبحث عن شخص ما. كان الرجل قصير القامة مكتنزاً، وفي معصمه ساعة لماعة مرصّعة بالحجار الكريمة، وعيناه قاتمتان تتحركان كالزئبق.

حبس مادونا أنفاسه. هل هذا رجل أعمال أم...؟ بدا له واضحاً ان لا حرس معه ولا كشافة كامنين قرب الباب لانذاره. أحسّ مادونا ضيقاً وحيرة. فهو يعلم أن كون لا يسافر بعيداً الا ومعه مسلحوه. أما دونلي فتطلع الى الرجل وتابع النقر على الطاولة.



عاد الرجل بعد لحظات، فنظر الى آه – لينغ وأشار اليه لينتقل الى قاعة الطعام.
جلس كون وآه – لينغ في المطعم، وتبعهما العملاء الثلاثة بعد لحظات وجلسوا قريباً من المدخل حيث يستطيعون مراقبة الأبواب بعيداً من الرجلين لئلا يثيروا الانتباه. وراقب مادونا، بطرف عينه، كون وآه – لينغ وهما يبحثان في قضية البيع. وبعد ساعة نهض كون وارتدى معطفه وخرج من الباب الخلفي المفضي مباشرة الى الشارع، وخفَّ مسرعاً متوجها جنوبا. فتبعه رجال المكافحة. وقال مادونا وقد أصبحوا قريبين منه: "الآن!" وما هي الا لحظات حتى أدركوه، فشهر دونلي مسدسه وهتف لامانيا: "سيّد كون! رجال المكافحة الاتحادية، أنت موقوف!"
استدار جوني كون ببطء وقد خلا وجهه من أي تعبير، وقال بهدوء: "انكم مخطئون، أنا السيد ونغ."
ثم حضرت سيارة للمكافحة فهتف لامانيا: "كبلوا يديه ولنذهب من هنا."
دُفع كون الى المقعد الخلفي للسيارة وهو ما زال يردد محتجا أنهم قبضوا على الرجل الخطأ. وفي الطريق الى مقر مديرية المكافحة تلا عليه لامانيا حقوقه.
وقرابة منتصف الليل اتصل لامانيا هاتفيا ببريتشارد وأنبأه باعتقال كون. وبعد ساعتين تلقى اتصالا أبلغ فيه أن شرطة هونغ كونغ اعتقلت معظم المطلوبين المحليين في العصابة.

المرأة التنّين

عكفت كاثرين بالمر في مكتبها على اعداد مذكرة استدعاء كون الى المحكمة في اليوم التالي، ثم وضعت المسودات النهائية لطلبات تسليم معاوني كون الذين قبضوا عليهم في هونغ كونغ. وما ان أنهت عملها حتى غلبها الانهاك فنامت على الأريكة.
اقتيد جوني كون في العاشرة قبل ظهر ١٤ مارس (آذار) ١٩٨٨ الى المحكمة الاتحادية في بروكلين. وبدا واثقاً ببراءته حتى سماعه تلاوة التهم الموجهة اليه وعلمه بالقبض على الآخرين وأنه لن يطلق بكفالة.
وفي الطريق الى زنزانته التفت الى كيفن دونلي وقد استدقت حدقتاه حتى أصبحتا كرأسي ابرتين وقال بصوت بارد خفيض: "سيموت الآخرون ثم تموت أنت!"
لم يكترث دونلي لكلام كون واعتبره تهديداً فارغا. لكن مديرية المكافحة علمت لاحقا أن ثمة خطة مدبّرة لخطف دونلي وحقنه جرعة قاتلة من الهيرويين. وكادت كاثرين بالمر أن تقضي ضحية انتقام تجار المخدرات الآسيويين الذين أرسلوا الى مكتبها حقيبة يد مفخخة داخلها بندقية مقصَّرة معدة للانطلاق لحظة فتحها. لكن رجال المكافحة تنبهوا الى الخطر ومنعوا بالمر من فتح الحقيبة.

بعد سجن القائد تفرقت "عصابة الحلقة الكبرى" وتبعثرت. وفي ١٨ مارس (آذار) قبض رجال بريتشارد على أحد كبار معاوني كون لدى عودته الى هونغ كونغ من مانيلا. وسُلِّم الى الولايات المتحدة في ٢٥ مارس (آذار) ثم انتحر شنقاً في زنزانته. في غضون ذلك قبض رجال المكافحة في الحي الصيني بنيويورك على موزع آخر لكون، وعُلم أن ثمة موزعا ثالثا في الصين.

وضاعفت مديرية مكافحة المخدرات حراستها للشاهدين تشن وآه - لينغ، فكانت تنقلهما باستمرار الى أماكن مختلفة. وصادر عملاؤها رسائل بعثها كون من السجن عارضا مبالغ طائلة لقتل أولئك الذين سيشهدون ضده. لكن الخوف الذي كان يثيره سابقا في قلوب أعضاء "عصابة الحلقة الكبرى" تلاشى. حتى ان طومي تشن، المهرب الذي اعتقل في مطار سياتل، قبل التعاون في مقابل أن ترأف به المحكمة.

وأخيراً، بعد مساومات تمهيدية استمرت أكثر من سنة، اعترف جوني كون بصحة كل الاتهامات التي وجهت اليه. وفي ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ حكم عليه بالسجن ٢٧ سنة في سجن اتحادي.

لكن المجموعة ٤١ لم تنتظر نتيجة المحاكمة للاحتفال بما أنجزته. فبعد يومين من اعتقال كون حجز لامانيا ومادونا وعملاء المجموعة مقهى في شارع مانهاتن وأقاموا حفلة احتفاء بانتصارهم في معركة المخدرات الطويلة. وكانت كاثرين بالمر ضيفة الشرف. وقال لامانيا إنه لولا اخلاصها ومثابرتها لما استطاعوا بلوغ النجاح. وعرف الجميع قوة شكيمتها وفضلها في كسر حلقة المخدرات الجهنمية، وأطلق عليها سكان الحي الصيني لقب "المرأة التنين."

ونوّه المدعي العام الامريكي ريتشارد ثورنبرغ لاحقا بخدماتها المميزة، وهذا هو الشرف الارفع الذي تمنحه الدائرة.

ومنح بريتشارد، الذي صار الآن كبير مفتشي دائرة التحري، شهادة استحقاق من حاكم هونغ كونغ وجائزة الخدمة العامة من دائرة العدل في الولايات المتحدة، وهذه واحدة من المناسبات القليلة تمنح فيها الجائزة لضابط أمن غير أمريكي.

وظل لامانيا وبالمر يقودان حملات اختراق لمعاقل تجار المخدرات في آسيا. وبفضل جهودهما كشف النقاب عن معظم شبكات تهريب الهيروين الآسيوية.

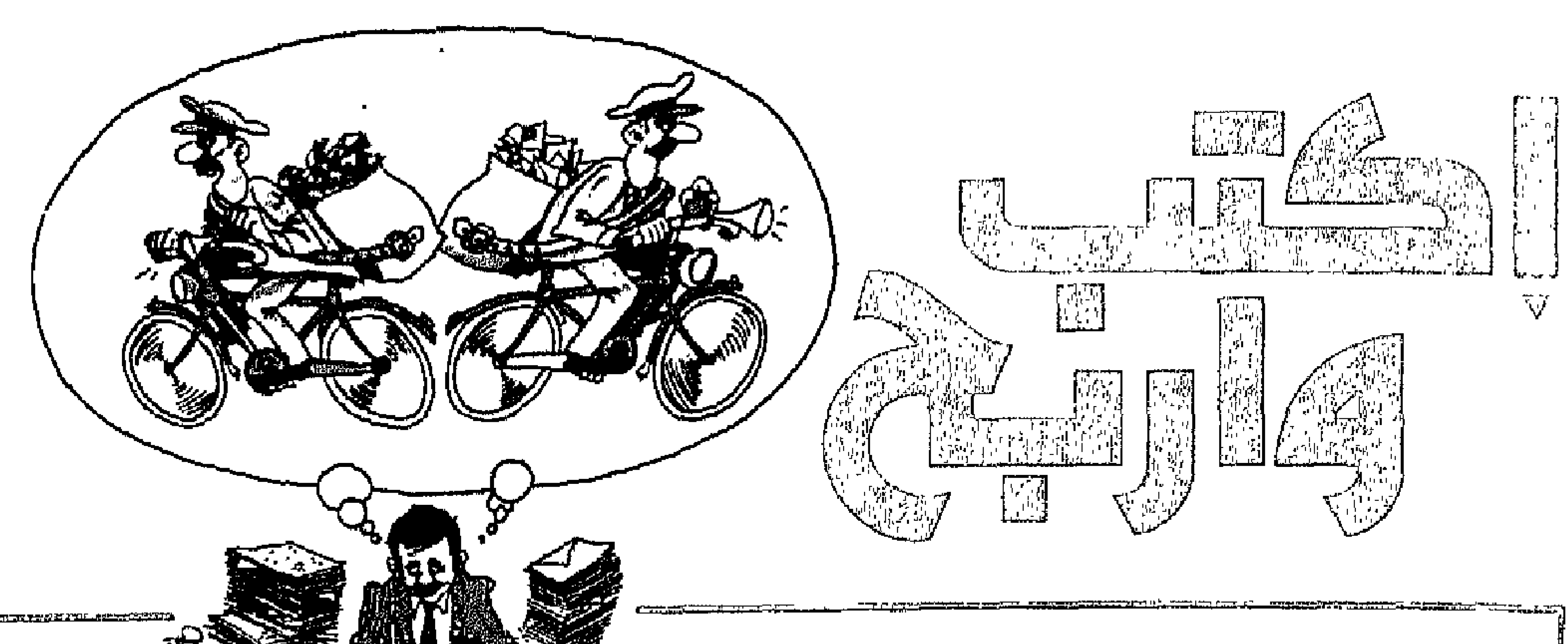
ناثان ادامس ■

ترجمة الياس عقل

الكتب سند لنا في وحدتنا، وهي تجنبنا ان نصبح عبئا على انفسنا.

جيريمي كولير، كاتب بريطاني

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية
أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى
وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملًا، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



"فضة الغابة" – زيتية للفنانة الامريكية اليزابيث أوالت، ١٩٨٨